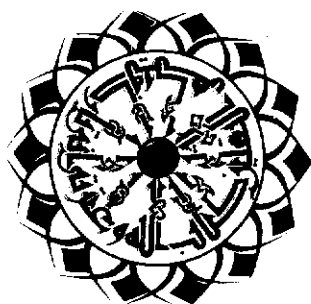


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سِرِّ التَّقْلِيْبِ

مَجَلَّةُ إِسْلَامِيَّة جَامِعَةٍ

الْعِدَدُ الْخَامِسُ عَشَرَ . السَّنَةُ الرَّابِعَةُ . رَجَبُ - رَمَضَانَ ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي:

* الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم، ص.ب: (٨٩٤ - ٣٧١٨٥)

* هاتف: ٧٤٠٢٩٤ فاكس: ٧٣٥١٧٩

محتويات العدد

كلمة التحرير

* إن مغالب الحق مغلوب..... بقلم رئيس التحرير ٤

من آفاق القيادة الإسلامية

* عيد الله الأكبر..... ولي أمر المسلمين آية الله السيد الخامنئي (دام ظلّه) ١٨

دراسات

* التكافل الاجتماعي والنشاط الاقتصادي العام في مدرسة أهل البيت (ع) (٢)

..... السيد محمد باقر الحكيم (العراق) ٢٨

* تزكية النفس من منظور الثقليين (٣) علائم فاضحة السيد كاظم الحائري ٧٠

* الاسس المبدئية للوحدة الإسلامية في مدرسة أهل البيت (ع): الاساس الثاني:

التشريع الاجتماعي والسياسي العام الشيخ فؤاد كاظم المقدادي ١٠٥

* ظروف حديث الغدير وقيمته الحضارية (٢) عز الدين سليم (العراق) ١٤٨

* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الشيخ مصطفى قصير (لبنان) ١٧٠

* استعادة العزة في فكر الامام الحسين (ع) وحفيده السيد الخميني (قدس سره)

..... د. محمد علي آذر شب ١٩٤

* الوضع الفكري والسياسي للشيعية في العصر الحديث

..... الشيخ محمد علي التسخيري ٢١٢

من فقه مدرسة أهل البيت (ع)

* الانتفاع ببدن الميت في التعليم الطبّي الشيخ محمد المؤمن ٤٩

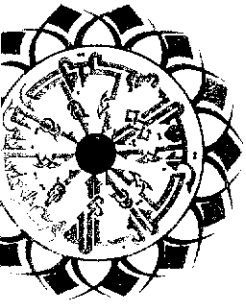
مقارنات

* التغيير الاجتماعي المنشود من منظار واقعة الطف (١)

..... د. السيد زهير الاعرجي (العراق) ١٢٧

شبهة

* عقيدة الشيعة في أئمة أهل البيت (ع) الشيخ جعفر السبحاني ٩٠



المجمع العالمي لأهل البيت

□ فنون وآداب

- * قصيدة النهر الشهيد..... مصطفى الغماري (الجزائر) ١٤٤
- * قصة تحت أشعة الشمس..... السيد علي الموسوي (العراق) ١٨٨

□ أهل البيت (ع) في روايات الصحابة

- * روايات البراء بن عازب الانصاري الخزرجي..... ناصر الببيدهندي ٢٠٩

□ مختارات

- * حول الامام علي(ع) والثورة الاسلامية..... جورج جرداق (لبنان) ١٦٢

□ رأي

- * الكتابة خارج الزمن الرديء..... حسن التل (الأردن) ٢٤٨

□ من غرر حكم أهل البيت (ع)

- * الوفاء والغدر..... عبد القادر فرج الله (العراق) ٢٥٥

□ تعريف

- * كتاب في مقال: الاسلام وشبهات المستشرقين

..... د. محمد جواد الطريحي (العراق) ٢٣١

□ من أنباء القرن

- * أنباء وتقارير..... ٢٥٩

□ مع قراء الثقلين

- * رسائل القراء..... ٢٩٣

المشرف العام :

الشيخ

محمد باقر الصدر

رئيس التحرير :

الشيخ

فؤاد كاظم المكي

العدد الخامس عشر

السنة الرابعة

رجب - رمضان

١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م

إِنَّ مُغَالِبَ الْحَقِّ مُغْلُوبٌ

كلمة التحرير

* بقلم
رئيس التحرير

صدق الله العلي العظيم في كتابه الكريم وهو يصف عمل الكافرين بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوفَاءَ حِسَابِهِ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (١).



(١) النور: ٢٩ و ٤٠.

هذه هي حقيقة عمل الكافرين في كل الادوار والعصور ومع كل الانبياء والرسل ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فهم يتخبطون في اباطيلهم وشبهاتهم حول الرسل والرسالات الالهية المتوالية. ولقد اشتد امرهم مع الاسلام ونبية ﷺ واهل بيته الطاهرين (عليهم السلام)، لما له من الهيمنة على الدين كله وانفتاح الناس عليه وانتصارهم على أهوائهم بالدخول فيه افواجا لا يحجبهم عن ذلك عرق ولا يحدهم مصر. ويتجدد مكاء الكفرة وتصديتهم كلما جاء نصر الله وفتحه وعلت كلمته وامتدت في الآفاق دعوته، وتنادت الامم والشعوب تسليماً وإيماناً به، وكفراً بالطاغوت وجهاداً له.

ودأباً على سنتهم هذه تعبأوا مرة اخرى وتنادوا لمواجهة المد الاسلامي، والصحوه الرائدة المنطلقة من بؤرة النور المحمدي الاصيل التي أسرجها الامام المجدد الخميني الكبير (رحمه الله) بثورته الاسلامية العملاقة، التي ملأت الآفاق بنور هديها وأيقظت الشعوب لترى الحق حقاً فتتبعه والباطل باطلاً فتحربه.

وكان من أول وابرز ردود فعل الكفر ودوائره في خضم هذه المواجهة هو

التهمة بالارهاب، ودعوى تصدير المسلمين ثورتهم ورسالتهم إلى الشعوب والامم الاخرى بالقوة والعنف. وهي فرية باطلة قام اساسها على دعوى أن الاسلام لم ينتشر على عهد رسول الله ﷺ والعهود التي تلت إلا بالقوة والسيف، فدعوته ﷺ قائمة على الارهاب والتسلط، وهو اليوم كذلك، وقد اخذت هذه الفرية كيفيات وصيغاً مختلفة لتتناسب ومراحل مواجهة الكفر وكيد قواه الغاشمة للاسلام والمسلمين.

وفي مقدمة من نظر لهذه الشبهة وتمحل ادعاءها هم الحاقدون من رجال الاستشراق ودعاة الصليبية، ولعلمهم بذلك أرادوا أن يبرروا محاكم تفتيشهم الدموية بعد سقوط الاندلس بأيديهم، ويدفعوا عنهم اصوات الانكار على حروبهم الصليبية التي اهلكوا فيها الحرث والنسل وأفنوا اجيالاً من المسلمين الابرياء طيلة قرون متعادية.

إلا أن الاهم في استهدافهم من إثارة هذه الشبهة هو الحط من قيمة الاسلام وعقائده، وقدرته على اثبات احقيقته المطلقة وهيمنته على الاديان كلها، وتهافت جميع الاطروحات الوضعية امامه بالحجة البالغة والدليل الحاسم. وهم يعرفون حق المعرفة أن الاسلام بسمو مبانيه وتكامل تشريعاته ملك العقول وتألفت بعشقه القلوب واستسلمت النفوس لبياناته المشرقة بالحق.

وهذه المسألة ينبغي تناولها على مستويين:

المستوى الاول:

النظر إلى المباني والعمل على رفع الستار عن دعواهم الباطلة هذه حتى يرى طالب الحق أنها كسراب ببيعة إذا جاءه الظمان لم يجده شيئاً.

وفي معرض رد هذه الشبهة يجب ابتداءً أن نشير إلى اصول عقلانية وعقلية هي المدخل المنطقي لبيان موقف الاسلام من القوة في نشر دعوته واعلاء كلمته وهي:

١- أن الاسلام مأخوذ في مبانيه الاساسية توجيه الخطاب للبشرية جمعاء، ودعوتهم إلى عقائده وتشريعاته التي يرى بالدليل والحجة أنها تضمن لهم العدل

(٢) سبأ: ٢٨.

والسعادة بدلالة قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (٢).

(٣) الانبياء: ١٠٧.

وقوله سبحانه: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (٣). وغيرها من الآيات الكريمة.

(٤) التوبة: ٢٢، والصف: ٩.

بل يؤكد حتمية ظهوره بالهدى والحق الملازم للحجة والبرهان في قوله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ (٤).

(٥) الفرقان: ١.

ولكونه فرقاناً بين الحق والباطل القائم بالملازمة على الدليل والبرهان في قوله سبحانه: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ (٥).

وهذا أمر يلتزم العقلاء بلوازمه وفي مقدمتها حق العمل لنشر دعوته هذه في الناس، وإقامة سلطته على من أعلن إسلامه وإيمانه به، وهذا مختلف تماماً عن مفهوم الاستعمار الذي يعني تسلط قوم على قوم بوزع عرقي، أو فئة على أخرى بوزع الغلبة السياسية أو التفوق الاقتصادي والاجتماعي.

فإقامة سلطة الاسلام على من قبل به يعني تسليط مبادئ الاسلام وقوانينه وتشريعاته، التي أنزلها الله تعالى وأرسل رسوله بها للناس على اختلاف اجناسهم واقطارهم وازمانهم، تحقيقاً لمصالح البشرية في اقامة الحق والعدل ودرءاً للمفسد عنها بازهاق الباطل وازالة الظلم.

٢- أن أي حق يحكم به العقل ويذعن له العقلاء يتفرع عليه حق المطالبة به وازالة الموانع والعقبات التي تقف في طريق تحقيقه، بل استخدام الوسائل الكفيلة لاحقاؤه. فنشر الاسلام والدعوة إليه حق باعتباره دعوة عالمية وخطاب لكل البشرية في كل مكان وزمان، وهو المفروض أولاً، وعليه تترتب كل لوازمه التي تضمن القيام به كما قلنا.

وتأسياً على هذا الاصل العقلاني نجد مايلي:

أولاً: أن آيات الحث على القتال في القرآن الكريم - وكما نُقح في محله - لا دلالة فيها إطلاقاً على تشريع القتال لتحميل العقيدة الاسلامية محضاً، كقوله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله

فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦﴾

(٦) التوبة: ١١١.

وقوله سبحانه: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ * ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربُّنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً * الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧﴾

(٧) النساء: ٧٤ - ٧٦.

وقوله أيضاً: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحِرْضُ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى أَنْ يَكْفِ بِأَسِ الذِّينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ ﴿٨﴾ وامثالها من الآيات الكريمة.

(٨) النساء: ٨٤.

وأنها منحصرة في موارد الحرب الدفاعية وما في حكمها من الحروب التي تسمى بالوقائية، أو التي تستهدف إزالة الموانع والعقبات التي تقف في طريق نشر الدعوة الإسلامية وتحرير الناس من الطاغوت وأسر الاوهام الباطلة، بقرينة دفع الفتنة كفاية تشير إليها بعض الآيات الكريمة واحباط خطط الاعداء المتربصين بالدعوة الإسلامية للقضاء عليها، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير * وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ﴿٩﴾

(٩) الانفال: ٣٨ - ٤٠.

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ * واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين * فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴿١٠﴾

(١٠) البقرة: ١٩٠ - ١٩٣.

ثانياً: كما نجد أن التجربة الإسلامية الكبرى التي قادها رسول الله ﷺ قد انطلقت من أفق هذه الاصول وحاق مفادها فنجد هذه التجربة الإسلامية الرائدة

تحكي لنا هذه الاصول فيما يلي:

أ - أن جميع معارك وغزوات رسول الله ﷺ لم تكن في مبدئها وهدفها تحميل العقيدة الاسلامية، ويمكننا تصنيف صور استخدام القوة في معارك وغزوات رسول الله ﷺ بالشكل التالي:

الأولى: صور الحرب الدفاعية: وبملاحظة تفصيلية لكل منها لا نجد فيها أية دلالة على استخدام القوة لتحميل العقيدة الاسلامية واليك تقريراً عن ابرزها:

١ - واقعة بدر: بمراجعة استعراضية لهذه الغزوة نجد في ارهاصاتنا ومقدماتها أن «كرز بن جابر» أغار على آبال اهل المدينة وأغنامهم ونهبها فخرج رسول الله ﷺ مع جماعة إلى حوالي بدر كي يظفروا به فلم يمكنهم ذلك، ثم خرج رسول الله ﷺ مع المسلمين مرة أخرى للهجوم على قافلة قريش في عودتهم من الشام إلى مكة. قال رسول الله ﷺ: «هذه غير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله يغنمكموها» فاطلعت قريش على الوضع فخرجت من مكة إلى بدر بهدف الدفاع عن قافلته فشاور رسول الله ﷺ المسلمين في الحرب أو الرجوع إلى المدينة فكانت المشورة هي التصميم على الحرب، وحينما اطلع المسلمون على فرار القافلة ونجاتها اغتم بعضهم لفوات الغنيمة التي كانت مع القافلة التجارية من ايديهم، ونزلت الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونَ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (١١).

(١١) الانتقال: ٧.

وابتدأت الحرب بمجيء الاسود المخزومي إلى حوض ماء المسلمين ليهدمه أو يشرب منه، فوقعت الحرب بينه وبين حمزة رضي الله عنه وقلته حمزة، ثم ابتدأت قريش بطلب المبارزة. وقد يضاف إلى ذلك دوافع دفاعية أخرى قائمة على اساس ظلم مشركي مكة للمسلمين وخصوصاً من كان في مكة منهم، وكذلك منعهم عن القيام بنشر دعوتهم الاسلامية في مجتمع مكة المكرمة وسلب حريتهم في ذلك. وفي حكم ذلك كل صور خروج المسلمين ومواجهتهم لكفار قريش وقوافلهم المنطلقة من مكة سواء وقعت الحرب أم لم تقع.

٢ - غزوة بني قينقاع وغزوة بني قريظة جاءت ردّاً دفاعياً على نبذ اليهود من

بني قينقاع وبني قريضة لعهدهم مع رسول الله ﷺ، والغاء المعاهدة المبرمة معهم على أن لا يحاربوه ولا يعينوا أحداً على حربه. أما غزوة بني النضير فهي الأخرى جاءت دفعا لمؤامرة يهود بني النضير بمحاولة اغتيال رسول الله ﷺ.

٣ - معركة أحد والخندق كانتا دفاعيتين محضتين ضد هجوم كفار قريش كما هو معروف تاريخياً.

٤ - فتح مكة هو أيضاً جاء رداً على نقض مشركي قريش لمعاهدة صلح الحديبية، واسترداداً لحقوق مسلمي مكة التي اهدرت باستلاب أموالهم وإخراجهم من مكة ظلماً وجوراً وهتك اعراضهم والنيل من كرامتهم. ومعركة حنين جاءت امتداداً لفتح مكة وردعاً للجيش الذي عبأته هوازن لقتال المسلمين. ٥ - غزوة تبوك، وهي الأولى من نوعها - بعد غزوة مؤتة - في الدفاع عن حدود بلاد السلام التي أعده الروم العدة لغزو الاجزاء الشمالية منها.

الثانية: صور الحرب الوقائية أو الابتدائية: وقد اقترنت مفرداتها بظهور أول دولة اسلامية بقيادة رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، وانتشار الدعوة الاسلامية في أرجاء واسعة من الجزيرة العربية وقوة شوكة المسلمين فيها، وعند استعراضنا لتفاصيل هذه الحروب لانجد فيها استخداماً للقوة في تحميل العقيدة الاسلامية. وتنحصر صور هذا النوع من الحرب بما يلي:

١ - معركة خيبر، التي كانت معركة وقائية ردت بها رسول الله ﷺ على تهيج يهود خيبر لقبائل العرب على حرب النبي ﷺ وتأسيسهم حرب الاحزاب من قبل، وكسر شوكتهم لئلا يتكرر منهم ذلك.

٢ - غزوة مؤتة، وهي أولى غزوات المسلمين في مواجهة الروم والمستعربة من أنصارهم رداً على قتلهم الدعاة والمبلغين الذين ارسلهم النبي ﷺ لتبليغ ونشر الاسلام في مناطق الحدود الشامية، وقتل شرحبيل حاكم تلك المناطق لحارث بن عمير الأزدي سفير النبي ﷺ إلى امير الشام وقتل وهو حارث بن ابي شمر.

٣ - تعبئة جيش اسامة والامر بإنفاذه، وقد جاءت هذه التعبئة بعد غزوة تبوك

التي انسحب فيها الروم بعد هجومهم على الحدود الشمالية لبلاد المسلمين عندما رأوا جيوش المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ قد أقبلت، وفي حينها عدل رسول الله ﷺ بعد مشورة كبار الصحابة عن قتالهم. إلا أنه ﷺ قبيل وفاته أمر بتعبئة جيش ضم جل الصحابة بقيادة أسامة بن زيد لحرب الروم لثلاث تسول لهم انفسهم معاودة الاعتداء على بلاد المسلمين.

وهكذا كما ترى فهي مشروع حرب وقائية أو ابتدائية وليست مشروع حرب لتحميل العقيدة الاسلامية محضاً.

ب- موقف أئمة اهل البيت ﷺ من غزوات حكام الخلافة الاسلامية بعد رسول الله ﷺ حيث أنها محكومة بمبدأ اساسي أعلنه رسول الله ﷺ وأكدّه أئمة اهل البيت ﷺ من بعده، وهو أن الجهاد مشروط بقيادة أو اذن الامام العادل ضماناً لتحقيق صورته الشرعية وهدفه الرسالي المنشود بدلالة روايات عديدة منها:

عن الامام الرضا ﷺ في كتابه إلى المأمون: «والجهاد واجب مع الامام العادل» (١٢).

(١٢) الوسائل ١١: ١١، الباب

١ من ابواب جهاد العدو، ح ٢٤.

وعن الامام ابي عبد الله ﷺ عن آبائه ﷺ، قال: «قال امير المؤمنين ﷺ: لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم ولا يُنفذ في الفياء أمر الله عز وجل، فإنه إن مات في ذلك المكان كان معيناً لعدونا في حبس حقنا والإشاطة بدمائنا وميتته ميتة جاهلية» (١٣). وغيرها من الروايات.

(١٣) الوسائل ١١: ٣٤، الباب

١٢ من ابواب جهاد العدو، ح ٨.

بل نجد أن أئمة اهل البيت ﷺ خصوصاً في عهد حكام الخلافتين الاموية والعباسية يحرمون خوض الحروب والغزوات لبلاد الكفر والشرك تحت لوائهم، لأن الاصل في حروبهم وغزواتهم هذه هو توسيع رقعة خلافتهم المنحرفة وبسط سلطانهم الباطل، وعليه لا يمكن تحميل هذه الحروب والغزوات على الاسلام والأئمة من اهل بيت نبيه ﷺ. وما ورد عنهم من ترخيص في هذا السبيل منحصر أمره بحفظ ثغور المسلمين وبحد الدفاع المحض عن بلاد الاسلام وبيضته من كيد الكفار والمشركين المتربصين بالاسلام والمسلمين.

وفي روايات كثيرة تصريح بذلك، منها ما في خبر يونس بسند صحيح قال: «سأل أبا الحسن ﷺ رجل وأنا حاضر، فقال له: جعلت فداك، إن رجلاً من مواليك

بلغه أن رجلاً يعطي سيفاً وقوساً في سبيل الله، فأتاه فأخذهما منه وهو جاهل بوجه السبيل، ثم لقيه أصحابه فأخبروه أن السبيل مع هؤلاء لا يجوز (يعني خلفاء بني العباس)، وأمره بردهما. قال: فليفعل. قال: قد طلب الرجل فلم يجده وقيل له قد قضى الرجل. قال: فليرابط ولا يقاتل. قال: مثل قزوين وعسقلان والديلم وما أشبه هذه الشغور؟ فقال: نعم. قال: فإن جاء العدو إلى الموضع الذي هو فيه مرابط كيف يصنع؟ قال: يقاتل عن بيضة الاسلام. قال: يجاهد؟ قال: لا إلا أن يخاف على دار المسلمين. أرايتك لو أن الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يمنعوهم؟ قال: يرابط ولا يقاتل، وإن خاف على بيضة الاسلام والمسلمين قاتل فيكون قتاله لنفسه ليس للسلطان، لأن في دروس الاسلام دروس ذكر محمد ﷺ» (١٤).

(١٤) الوسائل ١١: ٨٩، الباب

٦ من أبواب جهاد العدو، ح ٢.

وقد نستثني بعض الحروب والغزوات التي وقعت أيام الخلفاء الثلاث الأوائل بعد رسول الله ﷺ، والتي يستشعر فيها تأييد أو رضا الامام علي عليه السلام أو أنها شارك فيها الامام الحسن عليه السلام، وهي تحمل على حروب الدفاع الوقائية أو الابتدائية وعلى اساس مبدأ اسقاط حكم الطاغوت وتحرير الناس من استعبادهم وطغيانهم، ليمتعوا بحرية الاسلام وينفتحوا على حقائقه وانوار هدايته. وهكذا فهي لا تخرج عن حدود الحقوق العقلائية والعقلية كحق رفع الموانع التي تحول بين الناس وبين إدراكهم لحقيقة الدعوة الاسلامية ومبانيها الحق.

ثالثاً: أن الاصل في الدعوة الاسلامية هي انتهاز سبيل الحكمة والموعظة الحسنة بدلالة قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٥). بل لا يجوز في الشريعة الاسلامية البدء بالقتال إلا بعد عرض الاسلام على العدو، وإن كان غازياً، فإن قَبِلَ به باعلان الشهادتين حققت دماءهم واموالهم وأعراضهم، وهو في واقعه طلب التسليم لسلطة الاسلام العادلة في مقابل سلطة الطاغوت، ولهذا نجد أن الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليه السلام هم أبرز مصداق لهذا النهج في نشر الدعوة الاسلامية.

وقد بلغوا الكمال في الحجة والبيان رغم كل ما تعرضوا له من اضطهاد وتشريد ولم تكن معارك وغزوات رسول الله ﷺ رغم كونها دفاعية أو وقائية

(١٥) النحل: ١٢٥.

أو ابتدائية إلا بعد أن أتمّ الحجة واسقط العذر في البلاغ. وعلى هذا النهج كانت رسائل الرسول ﷺ إلى ملوك ورؤساء الامم الأخرى والتي دعاهم فيها إلى الاسلام، وعند استقرائنا لما وصلنا منها نلاحظ فيها حقيقة ما قلناه، منها: رسائله إلى قيصر ملك الروم وإلى كسرى ملك فارس وإلى المقوقس ملك مصر وإلى النجاشي ملك الحبشة وإلى هودّة ملك اليمامة وإلى الحارث ملك غسان^(١٦).

(١٦) راجع: مكاتيب الرسول

١: ٩٠-١٣٦.

رابعاً: أن الحكم الشرعي الاسلامي بتخيير أهل الكتاب بين قبول الاسلام أو دفع الجزية كضريبة مقابل تمتعهم بحماية الدولة الاسلامية لهم، تعبير آخر على عدم اعتماد الاسلام مبدأ استخدام القوة في تحميل العقيدة الاسلامية؛ إذ لو كان الهدف من استخدام القوة تحميل الاسلام عليهم لما كان هناك خيار يتضمن بقاءهم على دينهم.

خامساً: هناك فرق في سعة وقوة التأثير وتنوع اساليب نشر الدعوة الاسلامية بين حالتها في قوة المسلمين وسلطتهم وبين ضعفهم وعدم سلطتهم. وامتلاكهم للقوة والسلطة لا يعني ابدأ استخداماً للقوة في نشر الدعوة وتبليغها خارج دائرة الاصول العقلانية التي أشرنا لها. إذ إن الحرية الانسانية والعدالة الالهية تتحقق بأفضل صورها في ظرف سلطة الاسلام واقتداره، حيث يصبح الناس وجهاً لوجه امام حقائق الاسلام وفرقانه المطلق بلا ارباب ولا موانع ولا أوام، فتتفتح عقولهم وتشرق نفوسهم بنور الاسلام وهديه، وهو ما لا يتحقق في ظرف اقتدار الطواغيت وانبساط سلطانهم وانحسار سلطة الاسلام أو غيابها؛ لتكاثفهم على القوة والقهر في سياسة الناس واستعبادهم واخراجهم من النور إلى الظلمات كما هي طبيعتهم وقوامهم، وكما هي سيرتهم عبر التاريخ طراً. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله عزّ وجلّ: ﴿الذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾^(١٧). وهذا هو الملاك الذي يكمن في حكمة بسط سلطان الاسلام وتمكين عدله في الناس تحقيقاً للطف الالهي في هداية الناس للحق ورشدهم وكما لهم على صراطه. وهو مضافاً إلى ذلك حق بلحاظ كونه لازماً عقلياً للدعوة العالمية المشار إليه في الاصل الثاني القاضي بإزالة جميع الموانع والعقبات التي تحول بين الناس ووعي الدعوة وبيانها بكامل

(١٧) البقرة: ٢٥٧.

الحرية والاختيار، وهذا ما لا يتحقق في ظل سلطة الطاغوت وهيمنتته.

المستوى الثاني:

وفيه نكشف عن أن اتهام المسلمين بالارهاب والصاق فرية تحميل العقيدة الاسلامية بالقوة لم يكن مجرد شبهة أطلقت على الصعيد الفكري والعقائدي كما هي في السابق، وإنما اتخذت في هذه المرحلة الحساسة من مسيرة الاسلام وحركة المسلمين العالمية، كأمة وكدولة، مسار مواجهة ميدانية على كافة الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى الفكرية والعقائدية، مما يكشف لنا خبث النوايا الاستكبارية وراء هذه الحملة الاعلامية المسعورة ضد المسلمين، وارهابهم بتهمة الارهاب، وكانهم تعبأوا ليعيدوا للحياة مرة اخرى تاريخهم المظلم بدماء المسلمين ولكن بلباس ما يسمونه اليوم بالنظام الدولي الجديد، بهدف استئصال عوامل الحياة والقوة في أية منظومة تقوم اسسها على الاسلام رسالة ونظاماً للحياة. وقد جاء مخططهم الشيطاني هذا محتوياً لثلاثة دوائر اساسية:

الدائرة الاولى: الشعوب الاسلامية، فقد دفع الاستكبار حكوماتها السائرة في ركابه إلى تشريع قوانين ورسم سياسات القمع والتصفية الدموية لرجال العمل الاسلامي تحت عنوان قانون مكافحة الارهاب، كما هو الحال في مصر حيث عمدت إلى تشريع مثل هذا القانون عام ١٩٩٢م، وبموجبه قامت بحملة اعدامات وتصفيات لرموز الحركة الاسلامية الناشطة فيها.

كما انتهجت الحكومة العلمانية في الجزائر نهج القمع والتصفية الدموية بشكل فاضح ووقع طال جميع قوى وتشكيلات الحركة الاسلامية التي اختارها الشعب وانتخبها لإقامة وتشكيل الحكومة التي يعتقد بها.

وفي تصعيد آخر دعت أميركا رمز الكفر والاستكبار العالمي إلى عقد مؤتمر في مصر اسمته مؤتمر مكافحة الارهاب، الذي عرف بمؤتمر (شرم الشيخ) حضره رؤساء وممثلو اغلب الدول الاوربية ومن طاوعهم من حكومات البلاد العربية والاسلامية، وفيه وضعت الخطط لارهاب المسلمين وقواهم الحركية

والقضاء على بؤرهم الثورية تحت غطاء مكافحة الارهاب. فسرت حالة التبانى الدولي والرسمي على مطاردة وقمع الاسلاميين الرساليين في اغلب مناطق العالم وخصوصاً مراكز قياداتهم العلمية والحركية في البلاد الاسلامية. وقد تمّ التمهيد لذلك بحملة اعلامية مكثفة وواسعة حاولوا من خلالها ايجاد أرضية مواتية وخلق رأي عام عالمي يستقبل هذه الاجراءات التعسفية ويتوهم صحتها ومبرراتها المعلنة.

الدائرة الثانية: منظومة دول وحكومات المسلمين، وفيها عمدوا إلى احتواء أغلبها باتجاه اهدافهم الاستكبارية وفق مخطط تكاملي من اهم اركانه:

١ - تكريس حالة التعامل السياسي التجزيئي مع حكومات البلاد الاسلامية وخصوصاً العربية منها فيما يتعلق بالقضايا المصيرية للأمة وشعوبها الاسلامية، كما فيما يسمى بمشروع السلام مع اسرائيل، واتهام كل من يتمرد على هذا المشروع بالارهاب وتطبيق قرارات مكافحة الارهاب بحقه، والتي امتلحوها لارضاخ من يخرج على ارادتهم وخططهم الاستكبارية.

٢ - اختلاق وتكريس الخلافات السياسية وخصوصاً الحدودية بين دول هذه المنظومة، إمعاناً في تجزئتها وإضعافها وإيجاد مبررات حاجتها وتبعيةها العسكرية والسياسية لدول الاستكبار، كما هو الحال في اغلب دول الشرق الاوسط والخليج الفارسي وافريقيا وآسيا، كالخلافات بين مصر والسودان - ليبيا وتشاد - المغرب والصحراء المغربية - سوريا وتركيا والعراق «حول المياه وغيرها» - قطر والسعودية - البحرين وقطر - الامارات العربية المتحدة والجمهورية الاسلامية الايرانية - سلطنة عمان والامارات العربية المتحدة - العراق والكويت - اليمن والسعودية - اريتيريا واليمن - العراق والجمهورية الاسلامية الايرانية - الهند وباكستان، وهكذا في اغلب دول افريقيا ودول آسيا الوسطى ودول جنوب شرق آسيا. وقد تجاوز الامر إلى ايجاد قواعد عسكرية وعسكرة ميدانية برأ وبحراً وجواً في قلب البلاد الاسلامية بحجة الحفاظ على الامن الاقليمي والدولي من الارهاب.

٣ - اختلاق حالة وهمية لدى حكومات هذه المنظومة تُصوّر لها القوى

الاسلامية أنها قوى إرهابية لا تتورع عن الدماء في تعاملها السياسي معها، خصوصاً تلك الحكومات التي تنتشر في بلدانها حالة صحوة اسلامية واسعة ويتمتع ابناؤها بوعي رسالي وحركة فاعلة تطالب بتحكيم الاسلام وقيام حكومته العادلة فيها، مما يدفع هذه الحكومات إلى التعامل بأساليب القمع والارهاب ضد ابناء شعوبها على أنهم أرهابيون، دون التأمل في مطالبهم والتعامل معهم بروح الحوار المبدئي على اساس حرية التعبير والرأي ونهج الانفتاح البناء. وبذلك انفصلت هذه الدول والحكومات عن شعوبها وتحولت العلاقة بينهما إلى وجودين متضادين لا يجتمعان، ولم تجد هذه الحكومات من يمنحها مقومات الوجود والبقاء امام شعوبها الراضة لها إلا الاستكبار بعسكره واجهزته التجسسية، حتى أصبحت أشبه بالمستعمرات والمحميات التي لا يعوزها إلا الاعلان الرسمي عنها.

الدائرة الثالثة: الجمهورية الاسلامية الايرانية باعتبارها ام القرى المعاصرة ومعقل الاسلام المنيع، وفيها تحاول قوى الاستكبار بقيادة اميركا ورببيتها الاقليمية اسرائيل اتهام الجمهورية الاسلامية الايرانية بالارهاب، وأنها بؤرة الارهاب الاسلامي، كما صرح بذلك رئيس جهاز الاستخبارات الاسرائيلي السابق قائلاً: «إن إيران هي مركز الارهاب الاسلامي» في تبرير منه لاعتبار ايران الاسلامية هدفاً رئيسياً للحملة التي يشنها الموساد بدعوى أنها - على حد قوله - تمول وتسليح حركات اصولية مناوئة لاسرائيل كحزب الله اللبناني وحركتي المقاومة الاسلامية «حماس» والجهاد الاسلامي الفلسطيني، ولهذا فهو يدعو إلى تشكيل اكبر تحالف دولي ممكن لإرهاب ايران الاسلامية، وكأنما أصبح الدفاع عن النفس والمقدسات في نظرهم ارهاباً يجب أن يُردع ويعاقب عليه فاعله، خلاف كل سنن العقلاء واحكام العقل السليم، إذ الدفاع عن النفس والمقدسات والممتلكات سنة اجتماعية وطبيعية لا يخرج عن اصولها إلا الطغاة والمجانين. وقد تناولت أميركا والصهيونية العالمية إلى الحد الذي اثار مخاوف الكثير من الدول والحكومات الاقليمية من خطر الارهاب الاسلامي المترقب من الجمهورية الاسلامية الايرانية، مما أدّى إلى تصعيد حالة الحذر وعدم الاستقرار

الامني في المنطقة، في محاولة لتحكيم سلطتهم وسطوتهم عليها، ولتحجيم الانطلاقة الكبرى للصحة الاسلامية في اوساط شعوب المنطقة وشعوب العالم التواقة للحق والاعتناق والعدل، وهم يعلمون قبل غيرهم أن من المبادئ الأولية للاسلام وللجمهورية الاسلامية الايرانية، التي تصر على العمل بها، هي اقرار الامن والسعي لبناء وتوطيد عرى الروابط الاسلامية بين شعوب المسلمين، وبث روح التعاون الانساني بين جميع شعوب العالم، وقد ادركت اوربا العلمانية هذا التوجه وبدأت اغلب دولها تتمرد على أميركا وخطتها، مؤكدة ضرورة الانفتاح على الاسلام والحوار البناء مع الجمهورية الاسلامية الايرانية.

هذا هو البعد الآخر لاطلاق فرية الارهاب ودعوى إعمال القوة لتحميل العقيدة الاسلامية، وهو في الحقيقة تطور وتصعيد للمواجهة من حدودها الفكرية والعقائدية إلى اعلان الحرب بكل ابعاده الشريرة على الاسلام والمسلمين، «عقيدة واطروحة للحياة - حركة في المجتمع الانساني - دولة تطرح المصادقية النموذجية للنظام الاسلامي بين دول العالم المختلفة». فهي اذن حرب للدين ومن يعتصم به.

وهنا لا بد لنا من كلمة نقولها على سبيل النصيحة التي نرى أنها لو نفعت واثمرت في دائرة من أغري أو استغفل ليكون سهيماً في هذا الطريق الشيطاني من حكومات ووجودات وشخصيات البلاد الاسلامية، فهي لن تنفع مع أئمة الكفر من رموز الاستكبار ودوائره المتصدية إلا أن سنة الله الدائمة في خلقه هي اتمام الحجة والبلاغ فيها ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة﴾^(١٨) هذه الكلمة الناصحة هي الحكمة الالهية التي ارشد اليها القرآن الكريم بضرورة الاعتبار بسنن الاولين من طواغيت وامم في عجزهم عن طمس دين الله واطفاء نوره في قوله تعالى: ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾^(١٩)، وساق القصص التاريخية التي تحكي لهم الحقيقة التي نادى بها القرآن الكريم في مواضع كثيرة، كقوله تعالى: ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾^(٢٠)، وصدع بها بليغة فصيحة أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله الحق: «لا تحارب من اعتصم بالدين فإن مغالب الدين محروب»^(٢١).

(١٨) النساء: ١٦٥.

(١٩) آل عمران: ١٢٧.

(٢٠) التوبة: ٣٣.

(٢١) غرر الحكم.

(٢٢) غرر الحكم.

و «لا تغالب من يستظهر بالحق فإن مغالب الحق مغلوب» (٢٢).

وليعلم الكفر العالمي ومن يسير ذليلاً خلفه أنهم إن عجزوا وانحدروا في ساحة الصراع الفكري والعقائدي وعلنوا عن افلاسهم وهزيمتهم فيها، فإنهم سيولون الادبار في ساحات الصراع الأخرى، وليعتبروا بهزيمة الايديولوجية الماركسية وانهيار معسكرها الارهابي المتطاوّل آنذاك على عشرات الشعوب والدول، فإن الحق لم يعد متشابهاً في وعي الأمة، وإن ارادتها لم تعد هامة منهزمة، فقد كسرت الثورة الاسلامية الكبرى بقيادة الامام الخميني عليه السلام هيبة الاستكبار وهشمت أنف شيطانه الاكبر على صخرة صمود أبناء الاسلام السائرين على خطاه في حلبات الصراع الدامي، واصبحت الامّة تعي جيداً أن مقولة الارهاب بأبشع صورها، ورغم كل وسائل التعتيم والتضليل، وصف ذاتي وقرينة لا تنفك عن دول الاستكبار وممارساتها الشيطانية، ولن ينفعهم مكرهم ﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ (٢٣). وسيئول اربابهم وعملهم إلى بوار بإذن الله تعالى وارادة الأمة المجاهدة ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ (٢٤) صدق الله العلي العظيم والعاقبة للمتقين.

(٢٣) النحل: ٢٦.

(٢٤) الفرقان: ٢٣.

قال الإمام علي عليه السلام :

مَنْ لَبِثَ يَهْفُو لِمَا فِي يَدَيْهِ هَلَكَ

منج البلاغة / قصص الحكم / ١٨٨

عيد المولد الكبير

من آفاق
القيادة الإسلامية

❖ ولي أمر المسلمين
آية الله السيد الخامني
(دام ظله)

مقتطفات من الخطاب الذي ألقاه ولي أمر المسلمين وقائد الثورة الإسلامية
سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (مد ظله) بمناسبة ميلاد الإمام
المهدي (عج) بتاريخ ١٥ شعبان ١٤١٦ هـ.

يعتبر يوم ميلاد الإمام المهدي المنتظر (عج) عيداً حقيقياً للبشرية
جمعاء ، ولأولئك الذين ظلموا أو عذبوا ، أو الذين خُرقت قلوبهم ، أو
سالت دموعهم ، أو الذين عاشوا الانتظار ، وأولئك الذين تحملوا الآلام طوال
حياتهم في أي بقعة من العالم وفي أية فترة من التاريخ البشري ، كل هؤلاء
شعروا بالفرح والسرور والأمل في مثل هذا اليوم وفي ذكرى هذا اليوم .



إنّ هذا الميلاد الكبير وهذه الحقيقة العظيمة لا تختص بأمة معينة ولا بفترة
زمنية محدّدة بل تخص البشرية جمعاء ؛ لأن هذه الحقيقة هي ميثاق الله الذي
أخذه ووكّده ، ميثاق الله مع الإنسان ، وهي وعد الله الذي ضمنه . وقد شعرت
البشرية على طول التاريخ بالحاجة المعنوية والقلبية لهذه الظاهرة العظيمة
والعجيبة ؛ لأنّ التاريخ البشري منذ البدء وإلى اليوم وحتى إشراقة تلك الشمس
امترج بالظلم والشر والفساد ، وأنّ الأمل يدبّ في قلوب المظلومين - سواء
أولئك الذين تعرضوا للظلم مباشرة أو الذين تحملوا الآلام لمشاهدتهم
مظلومية الآخرين - حينما تحل ذكرى ولادة ذلك المنقذ العظيم الذي سينقذ

التاريخ والبشرية .

ولهذا فإن هذه القضية ليست من مختصات الشيعة ، بل إن جميع الأديان والمذاهب تؤمن بحتمية ظهور منقذ وبروز يد إلهية مقتدرة في فترة من فترات التاريخ ، وأنه سيأتي بالمعجزة من أجل إنقاذ البشرية من الظلم والجور . إلا أن الفارق بيننا نحن الشيعة وغيرنا من الفرق الإسلامية وغير الإسلامية هو أننا نعرف اسم ذلك الانسان العظيم والعزیز ، ونعرف تاريخ ولادته ونعرف آباءه عليه السلام وأمه العزیزة ، ونعرف القضايا والخصوصيات الأخرى المرتبطة به عليه السلام ، في حين أن الآخرين لا يعرفون هذه الأمور ولم يعتقدوا بها أو أنهم لم يطلعوا عليها ، وهذا هو الفارق بيننا وبين غيرنا ، ولهذا السبب فإن أدعية ومناجاة الشيعة أكثر حيوية ومعنوية وهدفية من غيرهم .

إن فيوم ميلاد الامام المنتظر (عج) عيدٌ حقيقي للبشرية جمعاء والتاريخ وحتى للماضين من الناس ، فهو عيد للذين عاشوا في العصر المظلم لفرعون ونمرود وأبي جهل وباقي الحكام الظلمة ، وقضوا حياتهم في الفقر والظلم وتحمل الآلام ، ولو أن أرواح اولئك الماضين في عالم البرزخ تنال ما تناله بعض الارواح في ذلك العالم لكانوا فرحين ومسرورين في مثل هذا اليوم قطعاً . وهذا اليوم يختلف عن غيره من الأيام والأعياد ، ولا نبالغ لو أسميناه (عيد الله الأكبر) .

وحينما يقوم الانسان بالبحث - وعلى محاورين - في مسألة ولادة الإمام المهدي والاعتقاد به (عج) سيشاهد آثار ونتائج مهمة وكبيرة على هذا الصعيد .

المحور الأول : يكون في إطار التكامل الفردي لدنئ الانسان . فالذي يؤمن بالمهدي (عج) سيقف أكثر للحصول على وسائل الكمال الروحي والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ؛ لأنه سيكون مرتبطاً ارتباطاً روحياً بمحور الأنطاف الإلهية ومركز اشعاع رحمة الباري عز وجل .

ولذا نرى أصحاب التوجهات الروحية والمعنوية يتوسلون دوماً في

مناجاتهم وتوسلاتهم المعنوية بهذا الإمام العظيم ، فنفس الارتباط القلبي والتوجه الروحي نحو الإمام (عج) ، الذي يعتبر المظهر لرحمة الباري جلّ وعلا، وقدرته وعدله ، يمنح الإنسان كملاً روحياً ويهيئ له وسيلة الصعود روحياً ومعنوياً .

وهذه المسألة ذات أفق واسع جداً ؛ لأنّ كل من يرتبط بقلبه وروحه بهذا الإمام المعصوم (عج) سينال نصيبه من هذا الارتباط قطعاً ، عليّ أن يكون ارتباطاً حقيقياً ؛ لأنّ لقلقة اللسان لا تنفع كثيراً في هذا المجال ، ولو أنّ الإنسان توجه بروحه ووقّر لنفسه معرفة كافية في هذا المجال لحصل على نصيبه من ذلك .

إنّ هذا المحور يمثل ساحة فردية واتجاهاً للتكامل الشخصي والمعنوي للإنسان .

المحور الثاني : ساحة الحياة الاجتماعية العامة وما يرتبط بمصير الشعوب والبشرية جمعاء ؛ وفي هذا المجال أيضاً يعتبر الاعتقاد بالمهدي الموعود (عج)، وموضوع الظهور والفرج والانتظار كنزاً ثميناً تستطيع الشعوب والأمم أن تأخذ منه الكثير .

افترضوا أنّ هناك سفينة قد حاصرتها الأمواج في بحر هائج ، وكان ركبها لا يعتقدون بوجود شاطئ للأمان حتّى على بعد آلاف الأميال ، ولا يمتلكون من الطعام والماء ووسائل الحركة سوى الشيء اليسير ، فكيف سيكون موقف ركاب هذه السفينة ؟ هل يمكن تصوّر أنّهم سيبدلون جهدهم من أجل قيادة هذه السفينة إلى الأمام ؟ قطعاً لا ؛ لأنّ الإنسان حينما يشعر بأنّ هلاكه حتمي فأبى جهد ونشاط يبذل ؟! ذلك لأنّه سيفقد كل أمل له في هذه الحالة .

إنّ أحد الأمور التي يمكن لركاب السفينة القيام بها هو أن ينشغل كل شخص منهم بما يخصه ؛ فمن كان يحبّ الموت بهدوء يستلقي حتّى يأتيه الموت ، ومن كان من المعتدين على حقوق الآخرين فسيسلب حقوق الركاب

الآخرين ليبقى حياً لساعات أخرى .

والصورة الأخرى هي أنّ ركاب هذه السفينة على يقين من وجود شاطئ قريباً أو بعيداً يمكنهم الوصول إليه ، ولكنهم لا يعلمون كم يبذلون من الجهد للوصول إليه ، إلا أنهم على يقين من وجود ذلك الشاطئ وإمكانية الوصول إليه؛ ففي مثل هذه الحالة ماذا سيصنع ركاب تلك السفينة ؟ طبعاً سيبذلون كل ما يوسعهم من أجل الوصول إلى شاطئ الأمان ، بحيث لو منحوا ساعة من الوقت لاستثمروها في الحركة والنشاط الصحيح والهادف ويتعاونون فكراً وجسدياً لبلوغ الشاطئ.

إنّ فلأمل مثل هذا الدور ، فبمقدار ما يوجد الأمل في قلب الانسان يجمع الموت شتاته ويرحل عن ذلك القلب ؛ لأن الأمل يدفع الانسان إلى الحركة والنشاط ويجعله يتقدم ويكافح ليبقى حياً .

افترضوا أنّ شعباً يرنح تحت سيطرة حكومة ظالمة وليس لديه أي أمل بالمستقبل ، فسيضطر للاستسلام ، وإذا لم يستسلم فإنه سيقوم بأعمال عشوائية وغير هادفة ؛ وأما إذا كان هناك أمل في قلب هذا الشعب ويعلم أنّ أمامه مستقبلاً مشرقاً ، فماذا سوف يصنع ؟ من الطبيعي أنه سيكافح وينظم كفاحه ويزيل العقبات التي في طريقه ؛ فالبشرية قد عانت في حياتها الاجتماعية على مرّ التاريخ من المشاكل والصعاب التي وضعها الظلمة والمتسلطون على رقاب المظلومين في طريقها كمعاناة ركاب تلك السفينة .

إنّ الأمل يدفع بالانسان لأن يكافح ويفتح الطريق ويتقدم ، فحينما يقال لكم انتظروا فهذا يعني أنّ الظروف التي تؤلمكم اليوم وتعتصر قلوبكم ألماً ليست أبدية بل أنّها ستنتهي يوماً ما ؛ فانظروا كم يكتسب الانسان نشاطاً وحيوية من خلال هذه الفكرة ، وهذا هو دور الاعتقاد بالامام الحجة الموعود والايامن به (صلوات الله عليه وارواحنا له الفداء) ، وهذه هي العقيدة التي جعلت الشيعة يتجاوزون كل تلك العقبات والمنعطفات العجيبة والغريبة التي اعترضت طريقهم إلى يومنا هذا .

وأينما وجد مثل هذا الايمان والاعتقاد وجد معه الأمل والكفاح ؛ ولهذا كانت

أهم خطط الاستعمار وأيديه هي القضاء على الاعتقاد والأمل والكفاح في قلوب أبناء الأمة ، فقد بذل المستكبرون الكثير من أجل إطفاء هذا النور ، إلا أنهم لم ينجوا من خططهم تلك إلا الفشل ، ونحن على علم بحجم الجهود التي يبذلونها - ليس في إيران فحسب بل على مستوى العالم الاسلامي أجمع - من أجل إطفاء هذا النور . ومثال ذلك ما جاء في تقرير في غاية الأهمية يعود إلى سنوات عديدة مضت ، يكشف عن نشاط البعثات التبشيرية الأوروبية إلى شمال أفريقيا التي مهّدت الطريق أمام الاستعمار من أجل السيطرة على تلك المناطق .

إن أحد الأمور التي تؤلم المتدينين في العالم هي أنَّ المتسلطين على الدول المسيحية اتخذوا من التبليغ للمسيحية وسيلة لتقدم عجلة الاستعمار ، والبعثات التبشيرية أصبحت هي الممهدة لطريق ذلك الاستعمار ، فقد أرسلت البعثات التبشيرية إلى مختلف انحاء العالم وقد نجحت - ويا للأسف الشديد - في كثير من المناطق بحجة الدعوة للمسيحية في ظاهر الأمر ، إلا أنَّ الواقع كان لفتح الطريق أمام المستعمرين من مختلف الدول الأوروبية في ذلك الوقت ، من أجل الدخول إلى الدول الاسلامية والسيطرة على السلطة السياسية فيها .

وهذا التقرير - الذي سبقت الإشارة إليه - يتعرض لمسألة البعثات التبشيرية في شمال أفريقيا ، يقول كاتب التقرير : « إنَّ إحدى العقبات التي تواجه البعثات التبشيرية وتقدم الاستعمار في شمال أفريقيا ومنطقة تونس والمغرب ، هو اعتقاد أبناء تلك المنطقة بأنَّ المهدي الموعود سيأتي يوماً ما ويقوم بإعلاء كلمة الاسلام » .

إذن فإن نفس الاعتقاد بالمهدي الموعود (عج) يعتبر عقبة في طريق الاستعمار ، في حين أنَّ الاعتقاد بهذه المسألة لدى إخواننا من أبناء تلك المناطق ليس بوضوح الاعتقاد الذي نمتلكه اليوم ، بل إنَّ اعتقاد أولئك الأخوة يكتنفه كثير من الإبهام وفقدان الجزئيات ، ولم يتضمن مسألة تحديد المصداق والاسم والخصوصيات الأخرى ؛ وبالرغم من ذلك انتاب المستعمرون الخوف من هذا الأمل الذي كان موجوداً لدى الناس هناك .

وقد نقل لي أحد كبار العلماء المحترمين - والذي ما يزال على قيد الحياة والحمد لله وينعم ببركة وجوده أبناء شعبنا - أنه في أوائل وصول رضا شاه البهلوي إلى الحكم - ذلك المتآمر الجاهل والفاقد لكل معنوية ومعرفة - استدعى أحد علماء البلاط العملاء وسأله : ما هي قضية الإمام صاحب الزمان التي خلقت لنا كل هذه المشاكل ؟ فأجاب ذلك العالم العميل بما يرضي ميل ورغبة الشاه ، ثم قال له الشاه : اذهبوا وانها هذه المسألة وأخرجوا هذا الاعتقاد من قلوب الناس ، فأجابه واعظه العميل : إن الأمر ليس بهذه السهولة ويعترضه كثير من المشاكل ، ويجب علينا إعداد مقدماته والبدء به تدريجياً .

وقد أجهضت طبعاً هذه المقدمات في تلك البرهة من الزمان بفضل الله تعالى وببركة وعي العلماء الربانيين .

إذن فقد أوكلت الدوائر الاستكبارية إلى شخص متآمر غاصب مهمة السيطرة على ايران وثرواتها ومن ثم تقديمها بالكامل للدول الاستعمارية . وقد كانت إحدى وسائل سيطرة ذلك الظالم على أبناء الشعب هي القضاء على الاعتقاد بالإمام المهدي الموعود في أذهان الناس .

إن الاعتقاد بالمهدي (عج) يعتبر حائلاً أمام استسلام أبناء الأمة ؛ بشرط أن يفهم هذا الاعتقاد فهماً صحيحاً ، فحينما تترسخ هذه الحقيقة رسوخاً حقيقياً في القلوب سيشعر الناس بوجود الإمام الغائب بينهم .

فبالرغم من أن الإمام العظيم والعزیز والمعصوم وقطب رحن الوجود ما زال غائباً ولم يظهر إلى الآن إلا أنه حاضر بيننا ، وهل يمكن أن لا يكون حاضراً ؟ فالؤمن يشعر بهذا الوجود والحضور بقلبه ووجوده ، والمؤمنون حينما يجتمعون ويناجون ويقرأون دعاء الندبة بحضور قلب ويقرأون زيارة آل ياسين ويضجّون بالبكاء ، فإنهم في تلك اللحظات يدركون ما يقولون ويشعرون بحضور ذلك الإمام العظيم وإن كان لا زال غائباً .

فغيبته لا تنفي الشعور بحضوره ووجوده ، فصحيح أنه لم يظهر بعد ، ولكنه حاضر وموجود في القلوب وفي صميم حياة الأمة .

وهذا الشعور يبعث في الانسان الأمل والنشاط . وشعبنا العظيم الذي

يجاهد ويكافح في سبيل الله ومن أجل عظمة الاسلام ، قد أصبح مفخرة لتاريخ البشرية والاسلام ، ورفع رايته خفاقة في هذا العصر ، ومثل هذا الشعب بحاجة إلى هذا الأمل المشرق أكثر من أي شيء آخر ، والاعتقاد بالمهدي الموعود هو الذي يبعث فيه هذا الأمل .

ولذا كان العدو قبل انتصار الثورة الاسلامية يستغل جميع الوسائل ليدخل اليأس إلى القلوب من انتصار الثورة ، وكان يردد دوماً : هل يمكن القيام بمثل هذه الثورة ؟ وهل يمكن للشعب الأعزل أن ينتصر على النظام المدجج بالسلاح ؟ وكان يروج لهذا اليأس بمختلف الأساليب ، إلا أن أبناء الشعب لم يفقدوا أملهم أبداً .

ولهذا نرى إمامنا الراحل عليه السلام - بصفته قائداً بما للكلمة من معنى - يصرف أكثر جهوده ليعيش الشعب الأمل ؛ فحينما يعيش الناس حالة الأمل سيتحركون ويكافحون ، وعند ذلك لا تستطيع أي قوة مقاومة حركة ومساعي الشعوب ؛ وقد استثمر إمامنا الراحل جميع الوسائل الإلهية والمعنوية ، فاستطاع بعث الأمل في قلوب الناس ، وببركة هذا الأمل تحقق ذلك الانتصار العظيم .

وبعد انتصار الثورة الاسلامية أيضاً سعى أعداء هذا الشعب من أجل زرع اليأس في قلوب أبنائه ، وكانوا يرددون باستمرار : إنكم لا تستطيعون إدارة البلاد ، وهل يمكن مواجهة أميركا ؟ هل يمكن الصمود أمام العالم المادي ؟ يجب عليكم الاستسلام والقبول بالأمر الواقع . وإلى جانب هذا قامت الإذاعات ووسائل الإعلام العالمية بكتمان كل انتصار ، أو قلب الحقائق ، ومن ناحية أخرى قامت بتضخيم أية خسارة مهما كانت صغيرة ، ولكن على الرغم من كل هذا الإعلام المعادي لم يدب اليأس في قلوب أبناء شعبنا ، فتجاوزوا مرحلة الحرب ومرحلة ما بعد الحرب ، وخاضوا تجربة إعمار البلاد ، وإلى اليوم يجاهد أبناء هذا الشعب ويزداد أملهم يوماً بعد يوم ؛ لأنهم يشاهدون هذا التقدم الذي تشهده البلاد .

فكيف كانت الأوضاع التي كان يعيشها هذا الشعب في بداية انتصار

الثورة، وكيف هي في الوقت الحاضر ؟ .

فلم يكن لدنيا في أوائل انتصار الثورة سوى تركة ثقيلة من الخراب ، وكان كل شيء في البلاد مرتبطاً بالخارج وقائماً على أسس ضعيفة ومتهاوية ، أمّا اليوم فقد تحرك شعبنا وأصبح قوياً وعرف قدرته العسكرية والسياسية وخاض تجربة إعمار البلاد ، والسعي والنشاط لإعمار البلاد محسوس لكل من يريد أن يشاهد ذلك .

إذن من الواضح أن الاعداء لا يستطيعون انتزاع الأمل من هذا الشعب ، وما تلاحظونه من تحبّط الإدارة السياسية الحاكمة في أميركا وقيامها بأعمال عشوائية وغير مدروسة وحيرتها أمام حكومة ايران وشعبها ، كل ذلك ناشئ من القدرة والأمل الذي يعيشه الشعب والإرادة الصلبة التي يملكها ؛ ولذا فإنّ العدو يتخبط ولا يعرف كيف يتصرف أمام الشعب الايراني ، وهذا ما يجعله يقوم بأعمال حمقاء .

ولذا فمن الواضح - والكل يعلم بذلك - أن مساعي المسؤولين الأميركيين ستنتهي إلى الفشل ؛ فهم منذ بداية انتصار الثورة خصّصوا ميزانية لمحاربة الثورة - طبعاً كان ذلك سرياً ولم يطرح علنياً - ؛ والانفجارات التي وقعت في البلاد وتربية العناصر المناققة كان ضمن الميزانية التي رصدت لهذه الأعمال ، فكم حققوا من أهدافهم إلى الآن ؟ واضح أنهم لم يحققوا شيئاً ، ولا شك أنهم سيفشلون كالسابق .

إنهم فضحوا أنفسهم أمام الرأي العام العالمي حينما جعلوا من خطوتهم الإرهابية قانوناً يصادق عليه في مجلسهم ، فالنظام الأميركي تصور أنه بتخصيص ميزانية ٢٠٠ مليون دولار أو حتى مليار دولار من أجل القيام بأعمال تخريبية في ايران الاسلامية العريضة العظيمة ، سيجعل ايران في عزلة ، والحال أنّ أميركا هي التي أصيبت بالعزلة دون أن يشعر المسؤولون الاميركيون بذلك .

إنهم تصوروا أنّ الرأي العام العالمي لا يدرك مدى تهاوة وسخافة هذه الخطوة ؛ فمن الممكن أن يكون الرأي العام العالمي قد أدان هذا القرار ، إلّا أنّ

هذا الشعب سيزداد ويشتد مع مرور الزمن ، وسيدرك المسؤولون الاميركيون ذلك وسيندمون على عملهم هذا ، وسيعملون لنسيان هذه القضية ، ولكننا هل سنسمح بذلك ؟ هل سنسمح بأن تُنسى هذه الفضيحة الاميركية ؟ كلا ؛ إذ يجب أن يفهم العالم أجمع وتعلم جميع الأجيال القادمة بأن الوقاحة وصلت بالنظام الاميركي في وقت ما إلى أن يتخذ قراراً رسمياً صريحاً ويرصد ميزانية من أجل القيام بأعمال تخريبية في دولة حرة وضد شعب مقتدر . وهذا أقبح عمل يمكن أن تقوم به دولة ما في مجال العلاقات الدولية ، فهل يتصور المسؤولون الاميركيون أن العالم سيخضع لدكتاتوريتهم ؟ إن هذا التصور سيلحق بهم الكثير من الأضرار والخسائر .

إننا نلاحظ أن كثيراً من الشعوب في مختلف أرجاء العالم اتحدت وانسجمت وتحملت الحرمان والآلام ، وقضت على الأنظمة الاستبدادية في داخل بلدانها ، فكثير من الدول كانت رازحة خلال الخمسين أو الستين سنة الأخيرة تحت سلطة أنظمة استبدادية ، إلا أن الشعوب ناضلت وكافحت تلك الأنظمة ؛ ولذا نرى أن جميع التحرك المعادي للاستبداد خلال القرن الأخير - ولا سيما العقود الخمسة الواقعة في منتصف هذا القرن - كان ضد الاستبداد الداخلي في تلك البلدان ، أي أن تلك الشعوب كافحت وهزمت الاستبداد الداخلي الذي كان مسيطراً عليها ، وهذا يعني أن تلك الشعوب اسقطت أبنائها الذين أرادوا السيطرة عليها وممارسة حكم استبدادي ضدها ، فهل تتحمل الشعوب - التي لم تتحمل استبداد الأنظمة الداخلية - الاستبداد الأميركي ؟ ياله من تصور تافه !

طبعاً من الممكن أن تستسلم بعض الحكومات الضعيفة والمعزولة عن شعوبها أمام الضحيج والتهديد والتدخل الأميركي ، إلا أن الحكومات التي تحترم نفسها وتربطها علاقات جيدة مع شعوبها سواء في أوروبا أو آسيا أو أفريقيا سوف لن تخضع للتهديدات الأميركية .

إن الشعب الذي يؤمن بالله ويعتمد عليه سبحانه وتعالى ، والذي يمتلك الأمل بالمستقبل ، ويرتبط بما وراء الغيب ، والذي أشرق في قلبه شمس

الأمل بالمستقبل وبالحياة وبالإمداد الإلهي لن يستسلم ولن يخاف أبداً ، ومثل هذه الصيحات الخافتة لن تبعده عن ساحة المواجهة .

وهذه هي خصوصية الجانب المعنوي للاعتقاد بالإمام المهدي (عليه آلاف التحية والثناء) ، فالاعتقاد بإمام العصر (عج) له هذا المستوى من التأثير العظيم ، سواء في باطن الانسان أو في حركة المجتمع حاضراً ومستقبلاً ، ولذا يجب معرفة قيمة هذا الايمان وأهمية هذا الاعتقاد .

أوصي بالمداومة على هذه الأدعية والمناجاة - التي كان وما زال أبناء شعبنا يمارسونها ، والتي تضاعفت والحمد لله كثيراً بعد انتصار الثورة - على نحو أفضل لكي يوفقوا لنيل ألطاف ذلك الإمام العظيم عليه السلام ؛ فالإمام المعصوم حاضر وغير غافل أو منعزل عن أمته وشيعته . إنه حاضر بيننا ومن خلال التوسل والاستغاثة به سيوفق الناس لإصابة طريق الرشاد والهداية والفتح إن شاء الله .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :

إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيًّا ،
وَعَلَى وَصِيِّي فِي عَتَرَتِي وَأَهْلِ بَيْتِي
وَأُمِّي بَعْدِي .

فرائد السعطين :

العلم من الاجتماع والشرع والدين والسياسة

في مدرسة أهل البيت

٢

دراسات

* السيد

محمد باقر الحكيم

(العراق)

التكافل الاجتماعي الخاص:

يعتبر التكافل الاجتماعي وتحمل الفرد مسؤولية خاصة تجاه بقية المسلمين ، في القضايا المالية المرتبطة بحياة الأفراد ومعيشتهم ، من المبادئ التي دعا إليها الاسلام بشكل عام . كما دلّ على ذلك الكثير من النصوص التي سوف نشير إلى بعضها قريباً .



منها ما رواه الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه . ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاقد على التعاطف ، والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على بعض ، حتى تكونوا كما أمركم الله عز وجل ، رحماء بينكم متراحمين مغتفرين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله ﷺ » (١) .

(١) وسائل الشيعة ٨ : ٥٤٢ ،

٢٣ .

وأما في مجال الجماعة الصالحة فيمكن أن نلاحظ أن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد أكدوا هذا المفهوم والمبدأ بشكل خاص ، واعتبروه مسؤولية خطيرة يتحملها القادرون من أبناء الجماعة تجاه إخوانهم الآخرين .

ويمكن مشاهدة ذلك بوضوح - على مستوى النصوص والأحاديث الواردة

عنهم على الأقل - في مجالين رئيسيين :

أ - الصدقات العامة :

فقد ورد في الصدقات العامة نصوص وروايات تؤكد أهميتها والآثار المترتبة عليها بشكل عام ، والمهم في هذه الروايات بالخصوص ما ورد منها في بيان وجود واجب مالي آخر عام غير الزكاة؛ مثل الآية الواردة في وجوب دفع مقدار من أموال الغلات عند حصادها قبل خرجها غير النسبة المئوية المرتبطة بالزكاة، وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ مما أدنى ببعض العلماء كالشيخ الطوسي وغيره إلى الافتاء بوجوب هذا الدفع (٢) .

فقد روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن زرارة ومحمد بن مسلم وأبي بصير عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل : ﴿ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ . قالوا جميعاً : « قال أبو جعفر (عليه السلام) : هذا من الصدقة ، يُعطى المسلمون القبض بعد القبض ومن الجداد الحفنة بعد الحفنة حتى يفرغ ... » (٣) .

وكذلك الروايات التي وردت في تفسير قوله تعالى : ﴿ وفي أموالهم حق معلوم * للساكنين والمحروم ﴾ والتي تؤكد أن هذا الحق واجب مالي غير الزكاة يتسم بالمرونة، ويترك تعيينه إلى صاحب المال يخرجها حسب وقت ومقدار معين يشخصه صاحب المال نفسه . وردت في ذلك عدة نصوص ، منها ما رواه الكليني في الكافي بطريق معتبر عن القاسم بن عبد الرحمان الأنصاري قال : « سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : إن رجلاً جاء إلى أبي علي بن الحسين (عليه السلام) فقال له : أخبرني عن قول الله عز وجل : ﴿ وفي أموالهم حق معلوم * للساكنين والمحروم ﴾ ما هذا الحق المعلوم ؟ فقال له علي بن الحسين (عليه السلام) : الحق المعلوم الشيء يخرج من ماله ليس من الزكاة ولا من الصدقة المفروضة . قال : فإذا لم يكن من الزكاة ولا من الصدقة فما هو ؟ فقال : هو الشيء يخرج من ماله إن شاء أكثر وإن شاء أقل على قدر ما يملك ، فقال له الرجل : فما يصنع به ؟ فقال : يصل به رحماً ، ويقوي به ضعيفاً ، ويحمل به كلاً ، أو يصل به أخاً له في الله ، أو لنائبة تنوبه ، فقال الرجل : الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٤) .

ولكن الفقهاء لم يفتوا بوجوب هذين الأمرين بالرغم من دلالة الروايات الصحيحة المعتبرة على الثاني (٥) ، وذلك بافتراض وجود المعارض لها ، الأمر

(٢) الخلاف ٢ : ٥ . وذهب إلى ذلك أيضاً الجواد الكاظمي كما يظهر عند دفاعه عن مذهب الشيخ الطوسي . راجع : مسالك الألفهام إلى آيات الأحكام ٢ : ٧٠ .

(٣) الكافي ٢ : ٥٦٥ ، ج ٢ .

(٤) وسائل الشيعة ٦ : ٢٩ ، ج ٦ .

(٥) راجع : وسائل الشيعة ٦ : ٢٧ - ٣٢ . باب الحقوق في المال سوى الزكاة .

الذي يصرفها إلى الاستحباب ، أو بالإضافة إلى ذلك وجود الاجماع على الفتوى بعدم هذا الوجوب في جميع الأدوار ، باستثناء فتوى الشيخ الطوسي بالوجوب بالنسبة إلى الأول في أحد أقواله .

ولذا يمكن تفسير هذه الظاهرة في النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بأحد أمرين :

الأول : هو التأكيد على استحباب هذا النوع من الإنفاق لتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بالقدر الممكن ، وبالشكل الذي يتناسب مع الظروف المعاشية لكل فرد من أبناء المجتمع الاسلامي .

الثاني : أن هذا الوجوب هو وجوب ولائي أكده أئمة أهل البيت عليهم السلام تشخيصاً لطبيعة الواجبات الاجتماعية التي لم يكن بدّ لأفراد المجتمع المعاصر من الالتزام بها ، فهو ليس وجوباً ثابتاً في أصل الشريعة ، بل واجب يضعه ولي الأمر ضمن الصلاحيات والمسؤوليات العامة التي يتحملها ، والمصالح التي يشخصها لتحقيق الضمان الاجتماعي للفقراء .

وعلى كلا الاحتمالين نجد أهل البيت عليهم السلام قد اهتموا في بناء الجماعة الصالحة بموضوع التكافل الاجتماعي ، لكونه أحد الأسس في تحقيق الوضع الاقتصادي الأمثل .

ب : حقوق الاخوان

حيث نشاهد أن أئمة أهل البيت يؤكدون تأكيداً بالغاً على وجود مجموعة من الحقوق والواجبات ، التي يتحملها الانسان المؤمن من أعضاء الجماعة الصالحة تجاه إخوانه المؤمنين؛ ومن جملة هذه الحقوق حق مساعدته مالياً والانفاق عليه وسد حاجاته .

وقد جاء هذا التأكيد في عدة اساليب وأشكال من التوجيهات :

الاول : بيان أن هذا من الواجبات الحقيقية الواقعية التي يجب أن يتحملها الانسان المؤمن ضمن الواجبات والحقوق الأخرى .

ففي حديث معتبر رواه الكليني في الكافي عن سماعة قال : «سألت أبا عبد

الله ﷺ قلت : قوم عندهم فضول وإخوانهم حاجة شديدة وليس تسعهم الزكاة ، أيسعهم أن يشبعوا ويجوع إخوانهم فإن الزمان شديد؟ فقال ﷺ : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحرمه ، فيحق على المسلمين الاجتهاد فيه والتواصل والتعاون عليه ، والمواساة لأهل الحاجة ، والعطف منكم ، تكونون على ما أمر الله فيهم رحماء بينكم متراحمين» (٦) .

(٦) وسائل الشيعة ١١

ج ٥٩٧، ح ١٣

وفي حديث آخر رواه الكليني أيضاً في الكافي عن فرات بن أحنف عن أبي عبد الله ﷺ قال : «أما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده أو من عند غيره ، أقامه الله يوم القيامة مسوذاً وجهه ، مزرقة عيناه ، مغلوله يده إلى عنقه ، فيقال : هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ، ثم يؤمر به إلى النار» (٧) .

(٧) وسائل الشيعة ١١

ج ٥٩٩، ح ١٣

ويبدو من خلال هذين الحديثين ثبوت هذا الواجب في الدائرة الخاصة بالمباشرة للأشخاص الموسرين القادرين ، وذلك عندما تكون الحاجة شديدة . ولعل هذا الإجراء الواجب إنما هو فيما إذا لم تسمح الظروف للدولة والمجتمع الاسلامي بضمانه هؤلاء الفقراء المحتاجين بطريقة أخرى .

الثاني : أن هذا الواجب وإن كان ثابتاً في نفس الأمر والواقع ، إلا أنه من الواجبات التي يصعب التكليف بها بشكل عام وشامل ، خوفاً من الارتداد وعدم تحملها من قبل أبناء الجماعة ، الأمر الذي يعني أنها من الواجبات الخاصة التي يجب الالتزام بها لإحكام البناء التنظيمي للجماعة ، وتقوية العلاقات العامة بينها ، وتصعيد درجة الشعور بالمسؤولية تجاه هذا الموضوع بشكل عام ولو على مستوى الاستحباب ، ويكون واجباً في موارد الحاجات الشديدة كما أشير إليه في النقطة الاولى .

عن مفضل بن يزيد قال : قال أبو عبد الله ﷺ : «انظر ما أصبت فعد به على إخوانك ، فإن الله يقول : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾» .

وقال أبو عبد الله ﷺ : «قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لا تطيقها هذه الامة : المواساة للأخ في ماله ، وإنصاف الناس من نفسه ، وذكر الله على كل حال ، وليس هو سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فقط ، ولكن إذا ورد على ما يحرم خاف الله» (٨) .

(٨) وسائل الشيعة ٨ : ٤١٥

ج ٤

الثالث : بيان أن القيام بهذا النوع من الواجبات يمثل صفة أخلاقية تكاملية

في شخصية الانسان المؤمن ، بحيث يصبح بدونها فاقداً للخصوصيات المطلوبة في المؤمن الحقيقي الذي هو هدف بناء الجماعة الصالحة .

عن أبان بن تغلب قال : «كنت أطوف مع أبي عبد الله عليه السلام ، فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجته ، فأشار إليّ فرآه أبو عبد الله عليه السلام فقال : يا أبان ، إياك يريد هذا ؟ قلت : نعم . قال : هو على مثل ما أنت عليه ؟ قلت : نعم . قال : فاذهب إليه واقطع الطواف . قلت : وإن كان طواف الفريضة ؟ .

قال : نعم . قال : فذهبت معه ، ثم دخلت عليه بعد فسألته عن حق المؤمن فقال : دعه لا ترده ، فلم أزل أردد عليه . قال : يا أبان تقاسمه شطر مالك ، ثم نظر إليّ فرأى ما دخلني فقال : يا أبان ، أما تعلم أن الله قد ذكر المؤثرين على أنفسهم ؟ . قلت : بلى . قال : إذا أنت قاسمته فلم تؤثر ^٩ . إنما تؤثر إذا أنت أعطيته من النصف الآخر ^(٩) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : قال : « ست خصال من كن فيه كان بين يدي الله وعن يمينه : إن الله يحب المرء المسلم الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لنفسه ، ويناصحه الولاية ، ويعرف فضلي ويطاء عقيبي ويتنظر عاقبتي » ^(١٠) .

وكما ذكرنا في المجال الأول لم يعرف عن الفقهاء ^(١١) أنهم أفتوا بوجوب هذا النوع من الإنفاق ، بالرغم من وجود عدد مناسب من الروايات والنصوص ، وإنما حملوا كل هذه النصوص على الاستحباب المؤكد . ولعل السبب في ذلك هو ما أشرنا إليه في تفسير الظاهرة السابقة ، من وجود الاستحباب المؤكد البالغ لتحقيق مبدأ التكافل ، أو أنه إجراء تنفيذي ولائي اتخذته أهل البيت عليهم السلام تطبيقاً لمبدأ التكافل الواجب بالأصل ، حيث تركت صلاحية المصاديق والتطبيق لولي الأمر .

الثالثة: النشاط الاقتصادي العام وسياسة أهل البيت عليهم السلام تجاهه:

يمثل النشاط الاقتصادي العام للجماعة ، والقدرة المالية والدخل العام لها قضية من أهم القضايا التي تركز عليها قدرة الجماعة ، وإمكانياتها في الحركة وحمايتها من الأخطار والآفات ، وصمودها أمام المشكلات والضغوط . ولا يمكن لأي جماعة أن تتكامل وتستمر في الحياة بدون أن تأخذ هذا الموضوع

(٩) هكذا وردت بالفاء ، والصواب «لم تؤثره» ، لأن جواب الشرط هنا لا يقتضي الفاء .

(٩) وسائل الشيعة ٨ : ٥٤٧ - ٥٤٨ ج ١٦ .

(١٠) وسائل الشيعة ٨ : ٥٤٩ ج ٢٣ .

(١١) الظاهر من العنوان الذي ذكره صاحب الوسائل في الموردين الأولين أنه يقول بالإلزام والوجوب ، حيث ذكر باب تحريم منع المؤمن شيئاً من عنده أو من عند غيره عند ضرورته ، وكذلك باب تحريم ترك معونة المؤمن عند ضرورته ، كما أن الظاهر من كلام الشهيد المصدر في اقتصادنا أنه يقول بالوجوب في الغرض الأول ، ولكن بالقيود الذي ذكرناه . والله هو العالم .

بنظر الأهمية والاعتبار.

وقد أشرنا سابقاً إلى أن الاسلام قد اهتم بالجانب الاقتصادي من هذا المنطلق، وأن الإمكانيات المالية الكبيرة للسيدة خديجة الكبرى سلام الله عليها، كان لها دور عظيم في تمكّن المسلمين من تجاوز المحن، والحصار الذي واجهوه في بداية الدعوة الاسلامية.

الاعتماد على الله والنفس في المعيشة :

وتجسيدا لهذا الاهتمام وضع أهل البيت (عليهم السلام) مبدأ عاماً لأتباعهم، واهتموا بتربيتهم عليه وترسيخه في ثقافتهم وأوضاعهم الاجتماعية، وهو مبدأ العمل وبذل الجهد في طلب الرزق من أجل توفير المستلزمات الاقتصادية للمعيشة، وعدم جواز الاتكال على الآخرين في سد الاحتياجات المالية، واعتبروا العمل في هذا السبيل من الأعمال المقدسة اللازمة والمقربة إلى الله تعالى.

عن عمر بن يزيد قال: «قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): رجل قال: لأقعدن في بيتي ولأصلين ولأصومن ولأعبدن ربي، فأما رزقي فسيأتيني، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم» (١٢).

(١٢) الكافي ٥: ٧٧، ح ١.

وعن أيوب أخي أديم بنّاع الهروي قال: «كنا جلوساً عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ أقبل العلاء بن كامل، فجلس قدام أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: أدع الله أن يرزقني في دعة، فقال: لا أدعوك. اطلب كما امرك الله عزّ وجلّ» (١٣).

(١٣) الكافي ٥: ٧٨، ح ٣.

وعن الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «الكاذب على عياله كالمجاهد في سبيل الله» (١٤).

(١٤) الكافي ٥: ٨٨، ح ١. وفي

هذا الباب والأبواب الأخرى التالية له أخبار مفيدة في توضيح هذه الرؤية.

وعن محمد بن مروان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن في حكمة آل داود: ينبغي للمسلم العاقل أن لا يُرى ظاعناً إلا في ثلاث: مرّة لمعاش، أو تزوّد لمعاد، أو لذة في غير ذات محرم. وينبغي للمسلم العاقل أن يكون له ساعة يقضي بها إلى عمله فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ، وساعة يلاقي إخوانه الذين يفاوضهم ويفاضونه في أمر آخرته، وساعة يخلي بين نفسه ولذاتها في غير محرّم، فإنها عون على تلك الساعتين» (١٥).

(١٥) الكافي ٥: ٨٧، ح ١.

كما أنهم (عليهم السلام) ضربوا أروع الأمثلة في تأكيد وتوضيح هذا المبدأ ليكونوا

قدوة لأتباعهم في هذا المجال:

عن عبد الرحمان بن الحجاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إن محمد بن المنكر كان يقول : ما كنت أرى أن علي بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً أفضل منه ، حتى رأيت ابنه محمد بن علي عليه السلام فأردت أن أعطيه فوعظني ، فقال له أصحابه : بأي شيء وعظك؟ قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة، فلقيني أبو جعفر محمد بن علي، وكان رجلاً بادنًا ثقيلاً وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي: سبحان الله! شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا؟ أما لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه ، فرد علي السلام ... وهو يتصاب عرقاً، فقلت: أصلحك الله، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا؟ أأريت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال ماكنت تصنع؟ فقال: لو جاءني أجلي وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في [طاعة من] طاعة الله عز وجل ، أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس ، وإنما كنت أخاف لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله، فقلت: صدقت يرحمك الله، أردت أن أعظك فوعظتني» (١٦).

(١٦) الكافي ٥: ٧٣ - ٧٤، ح ١٠.
ومحمد بن المنكر كان من كبار علماء العامة ومن ثقاتهم، مات سنة مئة وثلاثين أو إحدى وثلاثين، وفي هذا الباب مجموعة من الأحاديث تؤكد هذه القدوة.

وعن محمد بن عذافر عن أبيه قال : «أعطى أبو عبد الله عليه السلام أبي ألفاً وسبعمئة دينار، فقال له: اتجر بها، ثم قال: أما إنه ليس لي رغبة في ربحها وإن كان الربح مرغوباً فيه ، ولكني أحببت أن يراني الله جلّ وعز متعزّضاً لفوائده. قال : فربحت له فيها مئة دينار ، ثم لقيته فقلت له: قد ربحت لك فيها مائة دينار. قال: ففرح أبو عبد الله عليه السلام بذلك فرحاً شديداً فقال لي: أثبتها في رأس مالي. قال : فمات أبي والمال عنده، فأرسل إليّ أبو عبد الله عليه السلام فكتب: عافانا الله وإياك. إن لي عند أبي محمد ألفاً وثمانمئة دينار أعطيتها يتجر بها، فادفعها إلى عمر بن يزيد: قال : فنظرت في كتاب أبي فإذا فيه : لأبي موسى عندي ألف وسبعمئة دينار وأتجر له فيها مائة دينار ، عبد الله بن سنان وعمر بن يزيد يعرفانه» (١٧).

(١٧) الكافي ٥: ٧٦، ح ١٢.

وقد وضع أئمة أهل البيت عليهم السلام مجموعة من الضوابط والأصول تشكل الرؤية العامة لديهم في هذا المجال الاقتصادي المهم:

الاول: التصدي لطلب الرزق وبذل الجهد والإبلاء فيه دون كسل أو ضجر، وذلك بتوفير الوسيلة لذلك والتهيؤ له.

عن سدير قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام أي شيء على الرجل في طلب الرزق؟ فقال: إذا فتحت بابك وبسطت بساطك فقد قضيت ما عليك» (١٨).

وعن الطيار قال: «قال لي أبو جعفر عليه السلام: أي شيء تعالج؟ أي شيء تصنع؟ فقلت: ما أنا في شيء. قال: فخذ بيتاً واكنس فناءه * ورشّه وابسط فيه بساطاً، فإذا فعلت ذلك فقد قضيت ما وجب عليك. قال: فقدمت ففعلت فرزقت» (١٩).

وعن ابن القدّاح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «عِدْ العمل الكسل» (٢٠).
وعن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «قال أبي عليه السلام لبعض ولده: إياك والكسل والضجر فإنهما يمنعاك من حفظك من الدنيا والآخرة» (٢١).

الثاني: الالتزام بأن يكون طلب الرزق عن طريق الحلال، حيث إن الله تعالى عندما أخذ على الإنسان أن يطلب رزقه ضمن له رزقه بحدود معينة لا بد من تحقيقها ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ (٢٢).

وقد أكد أهل البيت عليهم السلام على ضرورة المحافظة على الموازنة في هذا الطلب بين وجوبه وما قدر الله تعالى له، وبذلك فلا بد للإنسان أن يجمل في هذا الطلب ويلتزم بالضوابط الإسلامية والقواعد العامة دون تجاوز أو تعدي.

عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجه الوداع: ألا إن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله عز وجل، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فإن الله تبارك وتعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً، فمن اتقى الله عز وجل وصبر أتاه الله برزقه من حله، ومن هتك حجاب الستر وعجل فأخذه من غير حله قص به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيامة» (٢٣).

وعن إبراهيم بن أبي البلاد عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ليس من نفس إلا وقد فرض الله عز وجل لها رزقها حلالاً يأتيها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت شيئاً من الحرام قاضها به من الحلال الذي فرض لها، وعند الله سواهما فضل كثير، وهو قوله عز وجل: ﴿واسألوا الله من فضله﴾» (٢٤).

الثالث: الاهتمام بإصلاح أمواله وحفظ الموازنة في الإنفاق بين الإسراف

(١٨) الكافي ٥: ٧٩، ح ١.

(*) هكذا وردت، والصواب «فناء» بالمد.

(١٩) الكافي ٥: ٧٩، ح ٢.

(٢٠) الكافي ٥: ٨٥، ح ١.

(٢١) الكافي ٥: ٨٥، ح ٢.

(٢٢) الذاريات: ٢٢.

(٢٣) الكافي ٥: ٨٠، ح ١.

(٢٤) الكافي ٥: ٨٠، ح ١.

والتقدير ، ورعاية الأموال ومداراتها والمباشرة بنفسه في إدارتها ، خصوصاً الامور المهمة والكبيرة .

عن ثعلبة وغيره عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إصلاح المال من الإيمان » (٢٥) .

(٢٥) الكافي ٥ : ٨٧ ، ح ٣٠ .

وعن داود بن سرحان قال : « رأيت أبا عبد الله عليه السلام يكيل تمرأ بيده ، فقلت : جعلت فداك . لو أمرت بعض ولدك أو بعض مواليك فيكيفك ، فقال : يا داود ، إنه لا يصلح المرء المسلم إلا ثلاثة : النفق في الدين ، والصبر على النائبة ، وحسن التقدير في المعيشة » (٢٦) .

(٢٦) الكافي ٥ : ٨٧ ، ح ٤٠ .

وعن يونس عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « يابشر كبار أمورك بنفسك ، وكل ما شق إلى غيرك . قلت : ضرب أي شيء ؟ قال : ضرب أشرية العقار وما أشبهها » (٢٧) .

(٢٧) الكافي ٥ : ٩٠ - ٩١ ، ح ١٠ .

الرابع : الالتزام بسياسة الأخار ، مثل أن يحرز الانسان مؤنة سنته ، وبذلك يحقق الانسان الغنى الشرعي والاستغناء عما في أيدي الناس .

اب مباشرة الاشياء بنفسه .

عن الحسن بن الجهم قال : « سمعت الرضا عليه السلام يقول : إن الانسان إذا أدخل طعام سنته خف ظهره واستراح . وكان أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام لا يشتريان عقدة حتى يحرزا طعام سنتهما » (٢٨) .

(٢٨) الكافي ٥ : ٨٩ ، ح ١٠ . باب

مراز القوت .

وعن ابن بكير عن أبي الحسن عليه السلام قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن النفس إذا أحرزت قوتها استقرت » (٢٩) .

(٢٩) الكافي ٥ : ٨٩ ، ح ٢٠ . باب

مراز القوت .

الخامس : ترجيح تصدي الانسان للأعمال بشكل مستقل ، بحيث تكون فوائده عمله له لا لغيره .

عن المفضل بن عمر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « من أجر نفسه فقد حفر على نفسه الرزق » وفي رواية أخرى : « كيف لا يحضره وما أصاب فيه فهو لربه الذي أجره » (٣٠) .

(٣٠) الكافي ٥ : ٩٠ ، ح ١٠ . باب

اهية إجارة الرجل نفسه .

وعن عمار الساباطي قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام : الرجل يتجر فإن هو أجر نفسه أعطى ما يصيب في تجارته ، فقال : لا يؤاجر نفسه ولكن يسترزق الله عز وجل ويتجر ، فإن أجر نفسه حفر على نفسه الرزق » (٣١) .

(٣١) الكافي ٥ : ٩٠ ، ح ٣٠ . باب

اهية إجارة الرجل نفسه .

السادس : سياسة توزيع الأموال على عدة محاور اقتصادية ، وعدم جمعها في محور واحد .

عن معمر بن خلاد قال : «سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : إن رجلاً أتى جعفرأ صلوات الله عليه شبيهاً بالمستنصح له فقال له : يا أبا عبد الله ، كيف صرت اتخذت الاموال قطعاً متفرقة؟ ولو كانت في موضع [واحد] كانت أيسر لمؤنتها وأعظم لمنفعتها، فقال أبو عبد الله عليه السلام : اتخذتها متفرقة فإن أصاب هذا المال شيء سلم هذا المال ، والصرة تجمع بهذا كله » (٣٢) .

(٣٢) الكافي ٥ : ٩١ ، ج ١ . باب
شراء العقارات .

السابع : عدم ادخار المال أو كنزه وتحويله إلى مجرد نقود أو ذهب وفضة ، بل الأفضل هو تحريك الأموال في السوق ، أو تحويلها إلى عقارات سكنية أو زراعية أو تجارية .

عن زرارة قال : «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ما يخلف الرجل شيئاً أشد عليه من المال الصامت . قلت : كيف يصنع به ؟ قال : يجعله في الحائط ، يعني في البستان أو الدار» (٣٣) .

(٣٣) الكافي ٥ : ٩١ ، ج ٢ . باب
شراء العقارات .

ومن خلال هذه الضوابط والاهتمامات تتكون لدينا صورة عامة عن المنهج العام ، الذي وضعه أهل البيت عليهم السلام لتابعهم في ممارسة النشاط الاقتصادي العام .

توجيه النشاط الاقتصادي

ولكن أهل البيت عليهم السلام لم يكتفوا بهذا القدر من التوجيه العام ، وإنما اهتموا - بالإضافة إلى ذلك - بتوجيه النشاط الاقتصادي للجماعة الصالحة ، واخذوا بنظر الاعتبار مجمل الظروف الاجتماعية والسياسية ، والاضاع الاقتصادية التي يعيشها المجتمع الاسلامي بشكل عام ، والجماعة الصالحة بشكل خاص . وفي نظرة عامة لمجمل النشاط الاقتصادي الذي كان يعيشه المجتمع الاسلامي ، أو الأعمال التي كانت تدر أموالاً على الأفراد نجد الأمور التالية :

أ - الزراعة بمعناها العام ، سواء كانت على مستوى زراعة أراضي الدولة المحياة (الاراضي الخراجية) ، أو إحياء الأراضي الموات ، أو الدخول في عقد

المزارعة ، أو توفير المياه الزراعية كحفر الآبار والقنوات .

ب - تربية الحيوانات ، سواء كانت عن طريق الرعي والسوم ، أو عن طريق العلف واقتنائها في البيوت .

ج - التجارة وتسهيل عملية التبادل والتوزيع العام ، سواء كان ذلك في داخل المدن ، أو عن طريق نقل البضاعة إلى المناطق الأخرى .

د - الصناعات اليدوية كالحيكة والسراجة والحدادة والعمارة (البناء) وغيرها .

هـ - النشاط الإنتاجي في مجال حيازة الثروات الطبيعية ، مثل الصيد البري والبحري ، واستخراج المعادن والغوص .

و - الحرف والمهن مثل الخياطة والصياغة والدباغة والحجامة والطبابة وغيرها .

ز - الوظائف الإدارية كالكتابة والعرافة والشرطة والجيش والجباية والعمالة والإمارة وغيرها .

وتختلف هذه الأنشطة الاقتصادية من حيث أهميتها الاقتصادية ومدخولاتها المالية وموقعها الاجتماعي ، بحسب الظروف والاضاع الاجتماعية . وتعتبر جميع هذه الأنشطة ضرورية للمجتمع الانساني ، وسبباً في تكامله ، وأحياناً تكون واجبة بالمقدار الذي يحقق الكفاية وسدّ الفراغ في الحاجات الانسانية الاجتماعية .

وقد كان أتباع أهل البيت عليه السلام في زمانهم يمارسون مختلف هذه الأنشطة ، كما يبدو ذلك واضحاً عند مراجعة الأخبار الواردة بشأن الأحكام الشرعية ذات العلاقة بهذه الأنشطة ، حيث تتحدث هذه الأخبار أيضاً عن ممارسة أتباعهم ، وكانوا يتقدمون بالأسئلة إلى الأئمة عليهم السلام حول تفاصيل أحكامها بسبب هذه الممارسة .

ولكن أهل البيت عليهم السلام - بالرغم من ذلك كله - قاموا بتوجيه النشاط الاقتصادي لأتباعهم ، فمنعوا أتباعهم عن ممارسة بعض هذه الأنشطة ، كما هو الحال في المنع عن ممارسة القسم الأخير من هذه الأنشطة الاقتصادية .

عن أبي بصير قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن أعمالهم ، فقال لي: يا أبا محمد، لا ولا مدة قلم . إن أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينه مثله أو قال: حتى يصيبوا من دينه مثله» (٣٤).

(٣٤) الكافي ٥: ١٠٦ - ١٠٧.

ح

وعن ابن أبي يعفور قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له: أصلحك الله. إنه ربما أصاب الرجل منا الضيق أو الشدة فيدعى إلى البناء بينيه أو النهر يكرهه أو المسناة يصلحها ، فما تقول في ذلك ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أحب أني عقدت لهم عقدة أو وكبت لهم وكاء وإن لي ما بين لابتيها، لا ولا مدة بقلم . إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد» (٣٥).

(٣٥) الكافي ٥: ١٠٧، ح ٧. وقد

أشرنا إلى ذلك في بحث نظام أمن الجماعة، مع العلم أن هذا النشاط إنما كان ممنوعاً في ظروف وجود الحكام للظلمة والجائرين.

وأما إذا لم يكن الحكم كذلك فهذه الأعمال لا تكون ممنوعة، كما أن الأعمال الممنوعة - كما أشرنا - إنما هي خصوصاً الأعمال التي تكون ممارسة للظلم، أو يكون فيها عون للظالم في الاستمرار في القدرة والهيمنة، بالإضافة إلى وجود الاستثناءات في هذا المجال، كما نذكره آنفاً.

وكذلك بالنسبة إلى بعض الأنشطة المحرمة التي كانت متداولة في ذلك العصر، مثل تربية جوارى الغناء واستخدامهن أو بيعهن، أو ما يشبه ذلك من المكاسب المحرمة، كبيع الميتة أو الدم أو النجاسات مما يذكره الفقهاء في رسائلهم العملية.

وفي جانب آخر من التوجيه الاقتصادي طلب أهل البيت عليهم السلام الابتعاد عن بعض الأنشطة الأخرى، التي تحتاج إلى دقة عالية في أدائها إذا أريد إنجازها بشكل مقبول من الناحية الشرعية، مع إن الإنسان عادة قد يتسامح في ذلك، أو لأن النشاط الاقتصادي مسبب وموجب للوهن عند الناس، أو لأسباب أخلاقية، وذلك مثل بعض الحرف والصناعات، كالصيرفة والصياغة والقصابة والنخاسة والحيافة وغيرها.

عن اسحاق بن عمار قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ... فقلت: جعلت فداك. في أي الأعمال أضعه؟ قال: إذا عدلته عن خمسة أشياء فضعه حيث شئت، لا تسلمه صيرفياً فإن الصيرفي لا يسلم من الربا، ولا تسلمه ببيع الأكفان فإن صاحب الأكفان يسره الوبا إذا كان، ولا تسلمه ببيع الطعام فإنه لا يسلم من الاحتكار، ولا تسلمه جزراً فإن الجزار تسلب منه الرحمة، ولا تسلمه نخاساً فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: شر الناس من باع الناس» (٣٦).

(٣٦) الكافي ٥: ١٤٤، ح ٤.

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنني

(٣٧) الكافي ٥: ١١٤، ح ٥.

أعطيت خالتي غلاماً ونهيتها أن تجعله قصاباً أو حجاماً أو صائغاً» (٣٧).
وعن اسماعيل الصيقل الرازي قال : «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام ومعي ثوبان، فقال لي: يا أبا إسماعيل، يجيئني من قبلكم أثواب كثيرة، وليس يجيئني مثل هذين الثوبين اللذين تحملهما أنت، فقلت : جعلت فداك . تغزلهما أم اسماعيل وأنسجهما أنا، فقال لي: حائك؟ قلت: نعم، فقال: لا تكن حائكاً. قلت : فما أكون؟ قال: كن صيقلًا. وكانت معي مائتا درهم فاشتريت بها سيوفاً ومرايا عُتقاً، وقدمت بها الري فبعتها بربح كثير» (٣٨).

(٣٨) الكافي ٥: ١١٥، ح ٦.

ومن أجل توضيح أن هذه الأعمال في نفسها غير مكروهة وإنما لاقترائها ببعض الملابس، نجد أئمة أهل البيت عليه السلام يفسرون نهيمهم بالملابس الأخلاقية أو الشرعية المقترنة بها ، كما أنهم يؤكدون في موضع آخر على جانب الامانة في هذا المجال ، كما روي بطريق معتبر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن الله عز وجل يحب المحترف الأمين» (٣٩).

(٣٩) الكافي ٥: ١١٣، ح ١.

الأنشطة الاقتصادية المختارة :

وفي جانب ثالث نجد أهل البيت عليه السلام يختارون لشيعتهم مجموعة من الأنشطة الاقتصادية، لتكون موضع اهتمامهم وتركيز نشاطهم. ويمكن أن نشير بهذا الصدد إلى ثلاثة من هذه الأنشطة، وهي: التجارة والزراعة بمعناها العام والعقار.

١- التجارة:

تعتبر التجارة الخط الرئيسي في عملية التبادل الاقتصادي ، وفي تشخيص القيمة السوقية والتوازن في الأسعار في إطار قانون العرض والطلب وكذلك في تشجيع الانتاج ، ومن ثم تساهم مساهمة أساسية في الحاجات المهمة الضرورية للمجتمع الانساني.

ومن هذا المنطلق كانت التجارة لها اهميتها الخاصة في النظرية الاسلامية، ولها التقدم والامتيان بالنسبة إلى الأنشطة الاقتصادية الأخرى في نظر

الاسلام.

وقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام الحث على التجارة خصوصاً بأساليب مختلفة، منها التأكيد على أن تسعة أعشار الرزق أو البركة في التجارة ^(٤٠). ومنها أن في التجارة عزّ الانسان؛ فقد روى الصدوق عن المعلى بن خنيس قال: «رأني أبو عبد الله عليه السلام (الصادق عليه السلام) وقد تأخرت عن السوق، فقال: اغد إلى عزّك».

وفي حديث آخر قال المولى له: «يا عبد الله احفظ عزّك. قال: وما عزّي جعلت فداك؟. قال: غدوّك إلى سوقك وإكرامك نفسك...» ^(٤١).

ومنها أن «التجارة تزيد عقل الانسان»، وفي حديث آخر معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ترك التجارة ينقص العقل»، وكذلك حديث معاذ بن بئاع الأكسبية قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا معاذ، أضعفت عن التجارة، أو زهدت فيها؟ قلت: ما ضعفت عنها ولا زهدت فيها. قال: فما لك؟ قلت: كنا ننتظر أمراً وذلك حين قتل الوليد، وعندي مال كثير، وهو في يدي وليس لأحد عليّ شيء، ولا أراني آكله حتى أموت، فقال: لا تتركها، فإن تركها مذهب للعقل. اسع على عيالك، وإياك أن يكونوا هم السعاة عليك» ^(٤٢).

وعن محمد بن مسلم وكان ختن بريد العجلي، قال بريد لمحمد: «سل لي أبا عبد الله عليه السلام عن شيء أريد أن أصنعه. إن للناس في يدي ودائع وأموالاً أتقلب فيها، وقد أردت أن اتخلّى من الدنيا وأدفع إلى كل ذي حق حقه. قال: فسأل محمد أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك، وخبره بالقصة، وقال: ما ترى له؟ فقال: يا محمد، أيبداً نفسه بالحرب؟ لا ولكن يأخذ ويعطي على الله عزّ وجلّ» ^(٤٣).

ومنها: أن التجارة فيها غنى للجماعة عما في أيدي الناس. فقد روى الكليني عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: تعرّضوا للتجارة فإن فيها غنى لكم عما في أيدي الناس».

وفي رواية أخرى: «من طلب التجارة استغنى عن الناس» ^(٤٤).

وبالنظر لأهمية التجارة وفضلها نجد النبي صلى الله عليه وآله مارس التجارة سواء كانت بأموال خديجة أو بشكل مستقل، وكذلك وردت الإشارة في الآية الكريمة إلى

(٤٠) وسائل الشيعة ١٢: ٣.

ج ٣، ٤ و ٥ و ٨ و ١٢.

(٤١) وسائل الشيعة ١٢: ٣.

ج ٣، ٤ و ١٠ و ١٢.

(٤٢) وسائل الشيعة ١٢: ٦.

ج ٤.

(٤٣) وسائل الشيعة ١٢: ٧.

ج ٩.

(٤٤) وسائل الشيعة ١٢: ٤.

ج ١١ و ٨.

الصالحين من الناس بأنهم كانوا تجاراً في قوله تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ (٤٥).

(٤٥) النور: ٣٧.

فقد روى الكليني بسند معتبر عن أسباط بن سالم قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فسألنا عن عمر بن مسلم ما فعل، فقلت: صالح. ولكنه قد ترك التجارة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: عمل الشيطان (ثلاثاً). أما علم أن رسول الله صلى الله عليه وآله اشترى عيراً أنت من الشام فاستفضل فيها ما قضى دينه، وقسم في قرابته؟ يقول الله عز وجل: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله...﴾ (إلى آخر الآية). يقول القصاص: إن القوم لم يكونوا يتجرون. كذبوا، ولكنهم لم يكونوا يدعون الصلاة في ميقاتها، وهم أفضل ممن حضر الصلاة ولم يتجر» (٤٦).

(٤٦) وسائل الشيعة ١٢: ٦.

كما أنه روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه كان يتاجر بالأموال عن طريق المضاربة، بالرغم من عدم وجود حاجة له في المال (٤٧).

(٤٧) وسائل الشيعة ١٢: ٢٦.

ولكن أهل البيت عليه السلام في الوقت الذي حثوا شيعتهم على ممارسة هذا النشاط الاقتصادي (التجارة) لأهميته، حذروهم من المشكلات الأخلاقية والدينية التي قد تصاحب هذا النشاط.

١٢

عن الأصمعي بن نباتة قال: «سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول على المنبر: يا معشر التجار، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، والله للربا في هذه الأمة أخفى من ديب النمل على الصفا. شوبوا إيمانكم بالصدق. التاجر فاجر، والفاجر في النار، إلا من أخذ الحق وأعطى الحق» (٤٨).

(٤٨) الكافي ٥: ١٥٠، ح ١.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من باع واشترى فليحفظ خمس خصال وإلا فلا يشترين ولا يبيعن: الربا والحلف وكتمان العيب والحمد إذا باع والذم إذا اشترى» (٤٩).

(٤٩) الكافي ٥: ١٥٠ - ١٥١.

ولعل تأكيد أهل البيت عليه السلام على هذا النشاط الاقتصادي - بالإضافة إلى أهميته الخاصة - كان بلحاظ أهداف خاصة بالجماعة الصالحة، يمكن أن نوجزها بالأمور التالية:

٢٢

١ - الجانب المعنوي والروحي في هذا النشاط الاقتصادي الذي أشارت إليه

بعض هذه الأحاديث ، حيث كان هذا النشاط ولازال من أهم النشاطات الاجتماعية التي يحظى اصحابها بالاحترام والتقدير ، وكان يمارسه الأشراف من الناس .

٢ - المرونة والحرية والحركة في النشاط التجاري ، حيث لم تسمح طبيعة العمل التجاري بالحركة والتنقل والعلاقات الواسعة بمختلف الأوساط الاجتماعية ، وكذلك المرونة في اختيار الوقت والأموال التي يتجر بها والأوساط التي يتم التعامل معها .

٣ - المردود المالي الواسع للنشاط التجاري الذي عبّرت عنه الروايات بتسعة أعشار الرزق ، حيث يحقق ذلك قدرة مالية كبيرة على مستوى الجماعة ، وكذلك يؤمن مصدراً كبيراً على مستوى نظام الجماعة من خلال الخمس .

٢ - الزراعة :

تعتبر الزراعة بمعناها العام الشامل لتربية الحيوانات واستثمارها من أهم الخطوط الاقتصادية للأمم والجماعات ، حيث تكون المصدر الرئيس للغذاء ، كما أنها في نفس الوقت تعتبر مصدراً مهماً للمواد الأولية التي تدخل في كثير من الصناعات خصوصاً اليدوية منها .

ومن هذا المنطلق نجد النظرية الاسلامية في الاقتصاد تعطي الزراعة أهمية خاصة ، ولعلّها تأتي في المرتبة الثانية بعد التجارة ، أو أنها تحتل المرتبة الاولى بلحاظ بعض الظروف الاقتصادية أو الأوساط الاجتماعية ، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار تقييم المال الناتج عن الزراعة وطهارته ونقاؤه ، وبُعدّه عن الشبهات والاشكالات الشرعية .

فقد ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن الزراعة أحل وأطيب الأعمال. روى الكليني في الكافي بطريق معتبر عن سيابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سأله رجل فقال له: جعلت فداك. أسمع قوماً يقولون: إن الزراعة مكروهة، فقال عليه السلام: ازرعوا واغرسوا، فلا والله ما عمل الناس عملاً أحل ولا أطيب منه ...» (٥٠).

وفي رواية أخرى : « خير الأعمال الحرث يزرعه فيأكل منه البرّ والفاجر ... » (٥١).

وفي رواية ثالثة : « الزارعون كنوز الأنام يزرعون طيباً أخرجه الله عزّ وجلّ، وهم يوم القيامة أحسن الناس مقاماً وأقربهم منزلة. يُدعون المباركين » (٥٢).

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « سئل النبي صلى الله عليه وآله : أي المال خير؟ قال : زرع زرعه صاحبه وأصلحه وأدنى حقه يوم حصاده. قال : فاي المال بعد الزرع خير؟ قال : رجل في غنم له قد تبع بها مواضع القطر يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ... » (٥٣).

وبالنظر لهذه الأهمية والخير والصلاح في الزراعة نجد أن الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام كانوا يمارسون هذا العمل الشريف في مختلف الأدوار.

فقد ورد في الحديث الشريف ، عن أبي عبد الله عليه السلام : « إن الله جعل رزق أنبيائه في الزرع والضرع لئلا يكرهوا شيئاً من قطر السماء » (٥٤).

وفي حديث آخر : « ... مابعث الله نبياً إلا زراعاً إلا إدريس فإنه كان خياطاً » (٥٥).

وقد باشر رسول الله صلى الله عليه وآله الزراعة كما باشرها أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : « كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يضرب بالمر (وهو شيء يشبه المسحاة) ويستخرج الأرضين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يمشى النوى بفيه ويغرسه فيطلع من ساعته ، وإن أمير المؤمنين أعنق ألف مملوك من ماله وكذّ يده » (٥٦).

كما روى الكليني في الكافي بسند معتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « لقي رجل أمير المؤمنين عليه السلام وتحتة وسق من نوى فقال له : ما هذا يا أبا الحسن تحتك ؟ فقال: مئة ألف عذق إن شاء الله ، قال : فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة » (٥٧).

كما باشر الإمام الباقر - كما سبقت الإشارة - والإمام الصادق والإمام الكاظم عليهم السلام الزراعة كما نصّت على ذلك الروايات العديدة (٥٨). ولا نشك أن بقية الأئمة كانوا قد مارسوا هذا العمل عندما تسنح لهم الفرصة ، حيث تشير هذه الروايات إلى خط عام في هذا المجال كان يتبناه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ومن الواضح أن الشرط العام في هذا النشاط هو التزام الإنسان بالتقوى فيه ، وأداء الحقوق الشرعية من الزكاة وغيرها، كما أشارت إلى ذلك بعض الروايات السابقة، وذكرت أن النجاح والفلاح فيه مرهونان بهذا الالتزام

(٥١) وسائل الشيعة ١٣: ١٩٤.

٦٣.

(٥٢) الكافي ٥: ٢٦١، ح ٧.

(٥٣) الكافي ٥: ٢٦١، ح ٦.

(٥٤) الكافي ٥: ٢٦٠، ح ٢.

(٥٥) بحار الأنوار ١٠٣: ٦٩.

٢٥ ح.

(٥٦) الكافي ٥: ٧٤، ح ٢.

(٥٧) الكافي ٥: ٧٥، ح ٦.

(٥٨) الكافي ٥: ٧٣، باب ما

يجب الاقتداء بالأئمة، ح ١ و ٢

و ٧ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٤

و ١٥.

الشرعي.

وقد ورد في الحديث الشريف : « من زرع حنطة في أرض فلم يترك زرعها، أو خرج زرعها كثير الشعير فبظلم عمله في ملك رقبة الأرض، وبظلم لمزارعه أو أكرته، لأن الله يقول : ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ﴾ » (٥٩).

ولعل سبب اهتمام أهل البيت بهذا النشاط الاقتصادي - بالإضافة إلى أهميته في أصل الشريعة ونظريتها الاقتصادية - وجود أهداف خاصة للجماعة الصالحة، وانسجامه مع ظروفها السياسية والاجتماعية. ويمكن أن نشير إلى بعض هذه الأهداف بالأمور التالية:

١ - الجانب الروحي والمعنوي في هذا النشاط الذي اشارت إليه بعض الروايات السابقة ، من أنه خير الأعمال واطيب الأموال وأحلها واطهرها؛ حيث كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يهتمون اهتماماً خاصاً بهذا الجانب ، ولعل الجانب الأهم في ممارساتهم .

٢ - تحقيق الاكتفاء الذاتي لأبناء الجماعة والاعتماد على الله تعالى والنفس في إدارة شؤونهم ، حيث يكون المزارع - خصوصاً في الظروف الاجتماعية السابقة - مستغنياً غنى مطلقاً عن الآخرين ، وقادراً على إدارة شؤون حياته وممارسة عباداته وأعماله مستقلاً عنهم .

٣ - المثابة الآمنة لأبناء الجماعة ، والابتعاد عن الاحتكاك بالسلطة الجائرة وعمالها وأزلامها ، لأن سيطرة السلطة ونفوذها في الأرياف يكون ضعيفاً نسبياً بطبيعة الحال . ولذلك وجدنا المناطق الريفية والعشائرية تمثل ملجأ مهماً للمطاردين من أبناء أهل البيت وأتباعهم .

٤ - المردود المالي الجيد لهذا النشاط الاقتصادي ، فإن الزراعة هي من أفضل وسائل الانتاج ، وفي نفس الوقت من أفضل طرق الاستثمار ، وتمثل مصدراً مالياً على مستوى أفراد الجماعة ، وكذلك على مستوى الجماعة من خلال الخمس والزكاة .

٣- العقار :

يعتبر العقار من الأموال المهمة في نظر أهل البيت ، حيث أنهم حثوا شيعتهم على اتخاذ العقار والاحتفاظ به ، وفصلوه على الأموال الصامته (النقود) .

ذلك لأن العقار يمثل جانباً من إعمار البلاد وإحيائها ، وبالتالي يكون وسيلة للإنتاج فيما إذا كان مزرعة أو بستاناً ، وكذلك وسيلة للخدمات وسد الحاجات فيما إذا كان سكناً أو مكاناً لتقديم الخدمات الانسانية أو التجارية أو غيرها ، مثل : المنازل ، والفنادق ، والمستشفيات ، أو الدكاكين والمحلات التجارية ، ومن ثم فهو يقوم بدور مهم في الحياة الانسانية .
ونجد في الروايات الواردة عن أهل البيت (عليه السلام) ثلاثة أبعاد يتم التأكيد عليها فيما يتعلق بالعقار .

الاول : أهمية العقار في تحقيق الاستقرار المعاشي وضمانه للانسان في العمل التجاري والحركة التبادلية ، وهو بذلك أفضل من الأموال الصامته (النقود) .

فقد روى الكليني بطريق معتبر عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال لمصادف مولاه : « اتخذ عقدة أو ضيعة ، فإن الرجل إذا نزلت به النازلة أو المصيبة فذكر أن وراء ظهره ما يقيم عياله كان أسخى لنفسه » (٦٠) .

وقد روى الصدوق بسند معتبر عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه كان يقول : « ما يخلف الرجل بعده شيئاً أشد عليه من المال الصامت . قال : كيف يصنع به ؟ قال : يجعله في الحائط ، يعني البستان أو الدار » (٦١) .

الثاني : النهي عن بيع العقار إلا إذا كان يريد أن يستبدله بعقار غيره ، ومن ثم الحث على الاحتفاظ به باعتبار أن مال العقار مبارك ومرزوق وفيه النمو ، بخلاف ثمن العقار فإنه محقوق وذاهب تالف .

وقد ورد هذا المعنى في عدة نصوص عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) : « ثمن العقار محقوق إلا أن يجعله في عقار مثله » . « من باع الماء والطين ولم يجعل ثمنه في الماء والطين ذهب ماله هباءً » . « باع الضيعة محقوق ومشتريها مرزوق » (٦٢) .

(٦٠) وسائل الشيعية ١٢ : ٤٤ .

ج ٣

(٦١) جامع أحاديث الشيعية

١٥ : ١٣٦ ، ج ٨ . عن الكافي ، وح ٧ عن من لا يحضره الفقيه .

(٦٢) جامع أحاديث الشيعية

١٥ : ٣٥ ، ج ٣ و ٤ .

الثالث: أن الأفضل في العقارات أن تكون متفرقة لا مجمعة ، فقد تقدمت رواية الكليني بطريق معتبر عن معمر بن خلاد عن أبي الحسن عليه السلام بشأن شراء الأموال العقارية المتفرقة .

ومن الواضح أن أحد مميزات الأموال العقارية هو أنها أموال طيبة بعيدة عن الشبهات والملابسات الشرعية والأخلاقية ، التي تنشأ من الأعمال التجارية في البيع والشراء ، أو الأعمال الحرفية والصناعات اليدوية كما أشرنا إلى ذلك آنفاً .

الخطوط العامة للسياسات الاقتصادية

ومن خلال هذا الاستعراض العام للنظام الاقتصادي والمالي يمكن أن نستخلص الأسس والتصورات التي تشكل الإطار العام لهذا النظام بالنقاط التالية :

١ - العمل على الاستفادة من جميع الفرص والإمكانات التي يوفرها النظام الاقتصادي العام في المجتمع الاسلامي؛ مثل إباحة إحياء الأراضي أو النشاطات الاقتصادية العامة كالتيجارة والزراعة، وتملك العقارات والمهن والصناعات والأعمال وغيرها من الأنشطة الأخرى ، باستثناء الأنشطة المحرمة، مثل العمل مع الظالمين ومعاونتهم في ظروف المواجهة، إلا في الحالات الاستثنائية.

٢ - الموازنة في التكاليف المالية والحقوق الشرعية المفروضة على الجماعة الصالحة بين التكاليف المالية العامة والتكاليف المالية الخاصة ، فأداء الزكاة إلى السلطة القائمة يبرئ الذمة.

وكذلك قاموا بإباحة الخمس مما يقع في أيدي الناس من أموال غنائم الحرب أو المعادن والفصوص ، وطالبوا بالخمس على أرباح المكاسب موازنة للزكاة في التجارة التي يقول بها جمهور الناس إلى غير ذلك من الموارد .

٣ - توجيه النشاط الاقتصادي والمالي في المكاسب أو الإنفاق ، حيث حثوا على التجارة والزراعة وتملك العقارات، كما أكدوا على إنفاق الزكاة على

خصوص أبناء الجماعة الصالحة والاهتمام بالصدقات العامة.

٤ - توظيف التشريعات الاسلامية المالية العامة بما يخدم أبناء الجماعة الصالحة ، وتحقيق الموازنة والاكتفاء الذاتي، كما لاحظنا ذلك في الخمس .

٥ - اتخاذ الإجراءات المالية الاستثنائية مثل جعل واجبات التكافل الاجتماعي المتمثل بحقوق الإخوان.

٦ - وضع السياسات الاقتصادية وإرشاد أبناء الجماعة إلى العمل والاقتصاد، وإصلاح المال وكيفية التعامل به، والاهتمام بالجوانب الروحية والمعنوية لأبناء الجماعة في كسب الأموال، والاستغناء عما في أيدي الناس.
(يتبع)

قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ اللَّهَ سَجَّانُهُ فَرَضَ فِي أُمَمٍ إِرْغَانِيًا
أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ ، فَمَا جَاءَ فَقِيرًا إِلَّا بِمَا سَعَى
بِهِ غِنًى ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ .

منج البلاغة / قطار الحكيم / ٣٢٨

الانتفاع ببدن الميت

في التعليم الطبي

من فقه مدرسة
أهل البيت

* الشيخ
محمد المؤمن

كلمة حول الانتفاع ببدن الميت في التعليم الطبي:

إن شق جسد الميت وتقطيع أعضائه لأجل تعليم طلبة الطب امر حادث فرضه التطور العلمي الحديث ، ولذلك لم يتعرض لأمثاله في بحوث علمائنا السابقين، وإنما تعرض لها بعض المتأخرين من عاصرناهم. نعم قد بحث علماؤنا السابقون مسألة التنكيل بالميت وتعلق الدية بقطع أعضائه وشقها.



فقال السيد المرتضى في الانتصار (ص ٨ - ١٦٧ من المطبوع ضمن الجوامع الفقهية الأخر): «ومما انفردت به الامامية القول بأن من قطع رأس ميت فعليه مئة دينار لبیت المال، وخالف باقي الفقهاء في ذلك. دليلنا على صحة ما ذهبنا اليه الاجماع المتكرر، فإذا قيل: كيف يلزمه دية وغرامة وهو ما أتلّف عضو الحي؟ قلنا: لا يمتنع أن يلزمه ذلك على سبيل العقوبة؛ لأنه مثل بالميت بقطع رأسه فاستحق العقوبة بلا خلاف...».

وقال شيخ الطائفة في آخر كتاب الديات من الخلاف: مسألة ١٣٧: إذا قطع رأس ميت أو شيئاً من جوارحه ما يجب فيه الدية كاملة لو كان حياً، كان عليه مئة دينار دية الجنين، وفي جميع ما يصيبه مما يجب فيه مقدّر ولا شيء من حساب المئة على حساب ما يحق للحي من الألف، ولم يوافقنا في ذلك أحد من الفقهاء ولم يوجبوا فيه شيئاً، وعندنا أنه يكون ذلك للميت يتصدق به عنه، ولا يورث ولا ينقل إلى بيت المال. دليلنا اجماع الفرقة واخبارهم وقد أوردناها في

الكتاب الكبير.

وقال ابو المكارم بن زهرة في الغنية: (ص ٦٢١ س ٨ من المطبوع ضمن الجوامع): وفي قطع رأس الميت عشر دية وفي قطع اعضائه بحساب ذلك، ولا يورث ذلك بل يتصدق به عنه؛ كل ذلك بدليل الاجماع المشار اليه .

وقال المحقق في الشرائع في آخر الحلقة الأولى من كتاب الديات : المسألة الثانية: في قطع رأس الميت المسلم الحرّ مئة دينار وفي قطع جوارحه بحساب ديته، وكذا في شجاجة وجراحه ولا يرث وارثه منها شيئاً، بل تصرف في وجوه القرب عنه عملاً بالرواية؛ وقال علم الهدى عليه السلام : يكون لبيت المال .

وفي المسالك في التعليق على هذه المسألة : هذا الحكم هو المشهور بين الاصحاب ومستنده اخبار كثيرة.

وفي الجواهر عند شرحه للمسألة الثانية: في قطع رأس الميت المسلم الحرّ مئة دينار على المشهور بين الاصحاب، بل عن الخلاف والانتصار والغنية الاجماع عليه.

وبالجملة فمسألة تعلق الدية بالجناية على الميت المذكورة في كلماتهم قديماً وحديثاً، وما نقلناه نموذج منها، ومن أراد اطلاعاً ووقوفاً أكثر فليراجع .
اقول: إن شق جسد الميتّ وخرقه وتقطيع اعضائه يمكن أن يتضمّن عناوين ثلاثة ربما يوجب كل منها حرمة .

احدها: أنه مخالف لحرمة الميتّ وهتك لها؛ وقد دلت أدلة كثيرة على وجوب رعاية حرمة الميت كالحَيّ، ففي صحيحه عبدالله بن سنان وخبر عبدالله بن مسكان الذي هو ايضاً صحيح بسند الصدوق عن ابي عبدالله عليه السلام : «في رجل قطع رأس الميتّ ؛ قال : عليه الدية لأن حرمة ميتاً محرمته وهو حي»^(١)، وبيان الدلالة أنه عليه السلام قد حكم بالدية وعَلَّه بتلك العلة والحرمة على ما في كتب اللغة والاستعمالات المتعارفة، وإن كانت مستعملة في معنى الاحترام وأخذ الحريم للانسان أو شيء آخر، وفي معنى الحرمة التي هي أحد الاحكام التكليفية، إلا أن المناسب لمقام التعليل المذكور ارادة الاحترام، حيث أن الدية عوض وجابر للجناية الواردة، فالمناسب أن تعلّل بما يحكي عن حقّ يعوض

(١) الوسائل ، الباب ٢٤ من أبواب ديات الاعضاء ، الحديث ٤ و ٦ .

بها، وهو إنما يكون بارادة معنى الاحترام وكون الشيء ذا حريم يمنع انتهاكه، فإذا هتكه هاتك فقد تجاوز عليه واتلف حقاً منه فعليه أن يعطي عوضاً عنه وهو الدية؛ وأما ارادة الحرمة التكليفية فهي غير مناسبة هنا قطعاً؛ إذ الحرمة التكليفية معبرة عن حق لله تعالى وطلب منه، فلا يتعقبه إلا العصيان والحد أو التعزير. وبالجمله فلا ريب في ارادة مالا يحل انتهاكه من الحرمة هنا. قال: في المصباح المنير: «الحرمة بالضم اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق»؛ وفي اقرب الموارد والمنجد والنهاية: «الحرمة مالا يحل انتهاكه»، فإذا أريد بالحرمة الاحترام فلا محالة يكون مرجع الضمير الذي اضيفت الحرمة اليه هو الميت، ويكون العبارة كأنه قال: حرمة الميت ميتاً كحرمة وهو حي، فيدل على أن جميع الحقوق التي جعلها الشارع للانسان زمن حياته، وكانت لازمة الرعاية في حقه ثابتة له بعد موته. ومن المعلوم أن من حقوق الحي أن لا يتعرض له في جسده بقطع ولا خرق ولا خدش بل ولا حلق شعر، ويكون جميع ذلك تحت اختياره والتجاوز على كل منها هتكاً لحرمة موجباً للقصاص والدية تكريماً له ورعاية لحرمة وهكذا الامر بعد وفاته بالنسبة لاصل ثبوت الحق والاحترام له مع غض النظر عن حد هذه الحرمة.

وما ذكرناه، من أن تحريم الاذى على الحي بأي وجه كان إنما هو من باب رعاية حقه مضافاً إلى وضوحه بنفسه، مستفاد من اخبار كثيرة منها صحيحة أبي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «إن عندنا الجامعة. قلت: وما الجامعة؟ قال: صحيفة فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج اليه الناس، حتى الارش في الخدش، وضرب بيده اليّ فقال: اتاذن يا أبا محمد؟ قلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، فغمزني بيده وقال: حتى ارش هذا»^(٢) فإن استئذانه عليه السلام منه في مثل ذلك الغمز الخفيف فيه دلالة واضحة أن تحريم مثله إنما هو لرعاية حقه، بحيث يجوز ارتكابه مع إذنه وليس مثل تحريم الخمر حقاً الهياً محضاً.

ومنها معتبرة اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «قضى امير المؤمنين عليه السلام في ما كان من جراحت الجسد أن فيها القصاص أو يقبل المجروح دية

(٢) الوسائل الباب ٤٨ من ابواب ديات الاعضاء، الحديث ١.

الجراحة فيعضائها»^(٣) فإن جعل القصاص إلى المجروح وسقوطه لقبوله الدية دليل صريح على ما ذكرنا .

ومثلها بل اوضح منها صحيحة ابي بصير عن ابي عبدالله عليه السلام قال : «سألت عن السنّ والذراع يكسران عمداً لهما ارش او قود؟ فقال : قود ، قال: قلت : فإن أضعفوا الدية ؟ قال : إن ارضوه بما شاء فهو له»^(٤) فإنه قد زاد فيها أن معيار سقوط القصاص إنما هو رضا المجني عليه، وإن كان بإعطاء أضعاف الدية الشرعية .

بل قد ورد نظير هذه الاخبار في باب قتل العمد، ففوّض اختيار القود والانتقال إلى الدية أو أكثر منها أو اقل إلى اولياء الدم الذين هم ورثة المقتول، فهو حق انتقل اليهم من ميتهم، ففي صحيحة عبدالله بن سنان قال: «سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول: من قتل مؤمناً متعمداً قيد منه إلا أن يرضى اولياء المقتول أن يقبلوا الدية، فإن رضوا بالدية واحبّ ذلك القاتل فالدية»^(٥)، وفيما رواه يونس بإسناد معتبر عن بعض اصحابنا عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «من قتل مؤمناً متعمداً فإنه يقاد به إلا أن يرضى اولياء المقتول أن يقبلوا الدية، أو يتراضوا بأكثر من الدية أو اقل من الدية، فإن فعلوا ذلك بينهم جاز»^(٦).

وبالجملة لا ريب في أن تحريم ايراد انواع الانذى على الحيّ إنما هو بمعيار أن كل احد له حرمة يمنع معها التعرض له بشيء، وأن الله تعالى اوجب رعاية حقه وجعل حرمة لازمة الرعاية حتى في مثل الخدش والغمز والضرب، والتعرض لذكر الاحاديث الدالة عليه من قبيل توضيح الواضحات؛ فإذا مات فقد حرم التعرض لبدنه في جميع ما كان التعرض له به حراماً في حياته؛ فإن حرمة ميتاً كحرمة وهو حيّ على ما نطقت به الاخبار التي مرّ نموذج منها^(٧)، فهذه الطائفة من الاخبار تامة الدلالة على حرمة خرق بدن الميت وتقطيع جسده واعضائه.

الثاني: أن يقال : إن كلاً من خرق الجسد وتقطيع الاعضاء تمثيل به وهو حرام، ففي صحيحة جميل بن درّاج عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا بعث سرية دعا بأمرها فأجلسه إلى جنبه واجلس اصحابه بين يديه ثم

(٣) الوسائل، الباب ١٣ من ابواب قصاص الطرف، الحديث ٢ .

(٤) الوسائل، الباب ١٣ من ابواب قصاص الطرف، الحديث ٤ .

(٥) الوسائل، الباب ١٩ من ابواب قصاص النفس الحديث ٣ و ١ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) الوسائل، الباب ٢٤ و ٢٥ من ابواب ديّات الاعضاء .

قال: سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ. لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثّلوا ولا تقطعوا شجرة إلا أن تضطروا إليها ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبيّاً ولا امرأة...^(٨)، وفي خبر مسعدة بن صدقة عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «إن النبي ﷺ كان إذا بعث اميراً على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه، ثم في أصحابه عامة ثم يقول: اغز باسم الله وفي سبيل الله. قاتلوا من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً ولا متبتلاً في شاهر»^(٩)، وفي وصية امير المؤمنين عليه السلام للحسين عليه السلام لما ضربه ابن ملجم لعنة الله عليه: «انظروا إذا انامت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثّلوا بالرجل فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»^(١٠)، إلى غير ذلك من الاخبار^(١١)، فهذه الروايات التي فيها صحيحة السند تضمنت النهي عن التمثيل بالكفار الحربيين، والنهي حجة على الحرمة؛ فإذا حرم في الكافر كان في المسلم ايضاً حراماً قطعاً؛ وليس التمثيل إلا قطع بعض الأعضاء كالأذن والأنف والرجل واليد.

إلا أن لقائل أن يمنع صدق التمثيل على مجرد شق الجسد وخرقه أو قطع اعضاء البدن، لأن الظاهر أن التمثيل هو ما كان من القطع بقصد التنكيل والتعذيب بحيث يصير عبرة لغيره، ففي المصباح: «مثّل بالقتيل مثلاً من بابي قتل وضرب: إذا جدعته وظهر آثار فعلك عليه تنكيلاً، والتشديد مبالغة، والاسم المثلة وزان غرفة، والمثلة - بفتح الميم وضَمّ الشاء - العقوبة»، وفيه: «جدعت الأنف جدعاً - من باب نفع -: قطعته، وكذا الاذن واليد والشفة»، وفيه ايضاً: «نكل به ينكل من باب قتل نُكَلَةً قبيحة: أصابه بنازلة، ونكّل به بالتشديد مبالغة ايضاً، والاسم النكال»، وفي المنجد «مثّل - مثلاً ومثلة بالرجل: نكل... وبالقتيال: جدعه وظهرت آثار فعله عليه تنكيلاً»، وفيه: «نكل به: صنع به صنيعاً يحذر غيره ويجعله عبرة له».

وعليه فشق الجسد أو قطع العضو إذا كان لغاية عقابية، كما فيما نحن فيه، ليس مصداقاً لعنوان التمثيل كما هو واضح.

الثالث: أن يقال: إن تشريح جسد الميت وأعضائه يستلزم تأخير دفنه، مع

(٨) الكافي ٥: ٢٩، ح ٨٠
والوسائل، الباب ١٥ من:
ابواب جهاد العدو، الحديث ٢
و ٣.

(٩) المصدر السابق.

(١٠) نهج البلاغة، قسم كتيبه
ورسائله عليه السلام، الرقم ٤٧،
تحقيق صبحي الصالح: ٤٢٢.
(١١) فراجع الباب ٣٤ من
جهاد الوسائل، الحديث ٢،
والباب ١٤ و ٣٢ من
مستدركه.

أن الدفن واجب وتأخيرہ زمنأ طويلاً غير جائز.

أما وجوب الدفن فلعلة من الضروريات، ويدل عليه من الروايات موثقة سماعة عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «سألته عن السقط إذا استوت خلقته يجب عليه الغسل والأحد والكفن؟ قال: نعم، كل ذلك يجب عليه إذا استوى» ^(١٢) وصحيفة علي ابن جعفر أنه سأل اخاه موسى بن جعفر عليه السلام عن الرجل يأكله السبع أو الطير فتبقى عظامه بغير لحم كيف يصنع به؟ قال: «يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن» ^(١٣) رواها المشايخ الثلاثة عليهم السلام، ومثلها بعينها صحيفة خالد بن ماذ القلانسي ^(١٤)، فإنه عليه السلام عبّر عن وجوب الدفن بجملة إخبارية ظهورها في الوجوب مما لا ينكر .

(١٢) الوسائل ، الباب ١٢ من

ابواب غسل الميت ، الحديث

(١٣) الوسائل ، الباب ٣٨ من

ابواب صلاة الجبارة ، الحديث

١ و ٥ و ٦ .

(١٤) المصدر السابق .

كما يدل عليه في خصوص قطع الميت ما رواه اسحاق بن عمار عن الصادق عن ابيه عليه السلام أن علياً عليه السلام وجد قطعاً من ميت فجمعت ثم صلى عليها ثم دفنت ^(١٥) فإن نقل فعل امير المؤمنين عليه السلام في مقام بيان الحكم ظاهر في ارادة بيان أن قطع الميت بحكم الكل في وجوب دفنها .

(١٥) الوسائل ، الباب ٣٨ من

ابواب صلاة الجبارة ، الحديث

٢ و ٩ .

وفي مرسل البرقي عن بعض اصحابه عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «إذا وجد الرجل قتيلأ فإن وجد له عضو تام صلى عليه ودفن، وإن لم يوجد له عضو تام لم يصل عليه ودفن» ^(١٦) وظهوره في وجوب دفن العضو تاماً وناقصاً واضح . هذا بالنسبة إلى اصل وجوب الدفن.

(١٦) المصدر السابق .

وأما عدم جواز تأخيرہ فربما يستدل به بالاخبار الواردة في الحث على تعجيل تجهيز الميت، ففي خبر جابر بن يزيد الجعفي عن ابي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر الناس لا ألقين (ألفين) رجلاً مات له ميت ليلاً فانتظر به الصبح، ولا رجلاً مات له ميت نهاراً فانتظر به الليل. لا تنتظروا بموتاكم طلوع الشمس ولا غروبها. عجلوا بهم إلى مضاجعهم يرحمكم الله. قال الناس: وأنت يا رسول الله يرحمك الله» ^(١٧)، وفي خبر السكوني عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا مات الميت أول النهار فلا يقلل إلا في قبره» ^(١٨)، وفي خبر عيص عن ابي عبدالله عن ابيه عليه السلام قال: «إذا مات الميت فخذ في جهازه وعجله» ^(١٩)، وهذه الاخبار قد حثت بالتعجيل في جهاز الميت، وظاهرها بنفسها وجوبه؛ ولو حملت على

(١٧) الوسائل ، الباب ٤٧ من

ابواب الاحتضار ، الحديث ١

٥ و ٦ .

(١٨) المصدر السابق .

(١٩) المصدر السابق .

التعجيل عرفاً لما كان ينبغي الريب في أن تأخير دفنه أياماً عديدة مناف له .
 إلا أن يقال: إن سندها ضعيف بالارسال والاشتمال على المجاهيل أو
 الضعاف، مضافاً إلى أنه قد روى الصدوق مرسلاً في من لا يحضره الفقيه
 فقال: «قال رسول الله ﷺ: كرامة الميت تعجيله»^(٢٠)، فهو يدل على أن التعجيل
 إنما استحبه وأمر به لأجل أنه كرامة للميت، فلا محالة يتحدد الوجوب بما
 ينافي كرامته ويكون اهانة له. وبعبارة أخرى: إن تكريم المؤمن ليس باطلاقة
 واجباً، وإنما اللازم أن لا يهان ولا يستخف به، فالتعجيل لما كان تكريماً
 محضاً فهو مستحب غير واجب؛ نعم إذا أوجب التأخير اهانة له كان حراماً؛
 فضم هذه المرسلة التي اسندها الصدوق إلى رسول الله ﷺ جزماً ولا يقصر
 سندها عن الأخبار الآخر يصير قرينة على أن التعجيل ما لم يؤد تركه إلى
 الاهانة مستحب ليس إلا، فهو قرينة ارادة الاستحباب من هذه الاخبار، وإذا
 أدى إلى الاهانة كان حراماً بلا شبهة؛ فإن حرمة ميتاً كحرمة وهو حي،
 فالحاصل أن التعجيل بما هو تعجيل مندوب والمحرم هو الإهانة والله العالم.
 فقد تحصّل أن المعتمد في القول بحرمة خرق جسد الميت وشقه وتقطيع
 أعضائه هي الطائفة الاولى من الأدلة، وأن هذه الحرمة إنما هي لاجل الاحترام
 المشروع له حال حياته، وأن حرمة ميتاً كحرمة وهو حي .
 وبعد ذلك يقع الكلام في فروع :

الأول: إذا كان خرق الجسد لغرض اهم من حفظ هذه الحرمة للميت، كما
 إذا توقف حفظ حياة حي عليه، فمقتضى قاعدة باب التزام جوازه بل وجوبه،
 ويدل عليه ايضاً صحيحة علي بن يقطين قال: «سألت ابا الحسن موسى عليه السلام
 عن المرأة تموت ولدها في بطنها يتحرك، قال: يشق عن الولد»^(٢١) وظاهرها
 كما ترى وجوب الشق وإخراج الولد، ومثلها مرسل ابن ابي عمير وخبر علي
 ابن ابي حمزة وموثقة محمد بن مسلم^(٢٢) وغيرها^(٢٣).

وفي خبر وهب بن وهب الذي رواه الكليني والشيخ رحمه الله عن ابي عبد الله عليه السلام
 قال : «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا ماتت المرأة وفي بطنها ولد يتحرك فيتخوف عليه

(٢١) الوسائل ، الباب ٤٦ من ابواب الاحتضار ، الحديث ٤ و ٦ و ٨ وغيرها .

(٢٢) المصدر السابق .

(٢٣) المصدر السابق .

(٢٠) الوسائل ، الباب ٤٧ من ابواب الاحتضار ، الحديث ٧ .

فشق بطنها وأخرج الولد». وقال في المرأة يموت ولدها في بطنها فيتخوف عليها: «لا بأس أن يدخل الرجل يده فيقطعه ويخرجه إذا لم يرفق به النساء»^(٢٤) وفي اللفظ اختلاف لا يضر بالمعنى ونقلناه عن الكافي. إلا أن مورد الاخبار كما ترى موت الحامل دون الحمل وبالعكس، إلا أنه أحد مصاديق باب التزام.

وعليه فلو توقف كشف مرض يوجب الموت وعلاجه على شق بدن ميت مات عقيب الابتلاء به، لكان شق جسده جائزاً لكي يتضح حقيقة هذا المرض ويعالج غيره ممن هو مبتلى به كما لا يخفى .

الثاني: إذا أوصى انسان أن يوضع جسده بيد المؤسسات الطبية لكي يشق أو يقطع اعضاؤه، ويستفيد منه طلاب الطب في ازدياد معلوماتهم الطبية وارتقاؤها، فالظاهر جواز الوصية ووجوب العمل بها؛ وذلك لما عرفت أن السر في حرمة الشق أو التقطيع أن الشارع المقدس راعى حق الميت، وأوجب حرمة فعلها كحرمة وهو حي، ومن الواضح أن للانسان في حال حياته أن يفعل ببذنه ما يشاء إذا كان له مصلحة مرعية، ولم يرد نهى عنه شرعاً، والنهي إنما ورد عن قتل نفسه وأما ما دونه فلا دليل على حرمة، إلا مثل قوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار» بناء على شموله للاضرار بنفسه أو غير ذلك. وقد حققنا في البحث عن مفهوم الضرر أنه لا يصدق إذا كان في تحمل النقص المالي أو البدني غاية عقلانية يعوّض بها ذلك، فكما أن له أن يفعل ببذنه ما دون القتل في حياته فهكذا يجوز له أن يوصي به بالنسبة لما بعد وفاته؛ وذلك أن ادلة الوصية توصل حياته بموته وتوسع دائرة اختياراته المشروعة لما بعد وفاته، فمن مثل قول الامام ابي جعفر الباقر عليه السلام: «الوصية حق وقد اوصى رسول الله ﷺ، فينبغي للمسلم أن يوصي»^(٢٥)، يفهم العرف أنه ما كان للانسان أن يفعل من التصرفات والحقوق غير المشروطة بالمباشرة فله أن يوصي بأن يفعل بعد وفاته، فأدلة الوصية تعميم لاختياراته وتوسعة لها إلى ما بعد الممات.

إن قلت: إن شق جسد الميت وتقطيع اعضائه اهانة له واذلال، وقد ورد

(٢٤) الكافي ٣: ٢٠٦ (كتاب جنائز)، والتهذيب ١: ٣٤٤، الوسائل، الباب ٤٧ من احتضار، ذيل الحديث ٣.

(٢٥) الوسائل كتاب الوصايا، ج ١، الحديث ١.

النهي عن إذلال النفس في زمن الحياة، فلا محالة ليس له الوصية به بعد الوفاة، والدليل على حرمة الإذلال أخبار معتبرة مستفيضة؛ ففي موثقة أبي البصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه»، وفي موثقة سماعة قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عز وجل فوض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يذل نفسه، أما تسمع قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾؟»^(٢٦) إلى غير ذلك.

قلت: لا نسلم أن يكون الشق والتقطيع المذكوران، إذا كانا عن وصية منه وإذن، إذلالاً، نعم لو فعل به شيء منهما قهراً عليه وظلماً ولم يمكنه الدفاع عن نفسه لكان صدق الإذلال والذلة غير بعيد، وأما إذا كان عن إذن منه لم يصدق عليه الإذلال بل كان كرامة منه وسيادة كما ينقل عن بعض علماء الطب وإسأذته.

الثالث: لا ريب في أن القدر المتيقن فيما ذكرنا من حرمة الشق والتقطيع هو المسلم، وأما الكفار ففي تحرير الوسيلة لسيدنا الاستاذ الامام الخميني عليه السلام: «لا يجوز تشريح الميت المسلم، فلو فعل ذلك ففي قطع رأسه وجوارحه دية ذكرناها في الديات، وأما غير المسلم فيجوز ذمياً كان أو غيره ولا دية ولا اثم فيه»^(٢٧)، وفي مستحذات المسائل منهاج الصالحين للسيد العلامة الخوئي عليه السلام المسألة ٣٦: «لا يجوز تشريح بدن الميت المسلم، فلو فعل لزمته الدية على تفصيل ذكرناه في كتاب الديات»، وفي المسألة ٣٧: «يجوز تشريح بدن الميت الكافر بأقسامه، وكذا إذا كان اسلامه مشكوكاً فيه بلا فرق في ذلك بين البلاد الاسلامية وغيرها»^(٢٨).

إلا أن لقائل أن يقول: إن الاستفادة من الأدلة أن لكفار أهل الذمة حرمة ما داموا على شرائط الذمة، والأخبار الدالة على احترام الميت مطلقاً تعم المسلم والكافر، ولازمها عدم جواز فعل الشق والتقطيع بالنسبة لميت الذمي من الكفار أيضاً.

أما ما يدل على أن لأهل الذمة حرمة فطائفتان:

(٢٦) وسائل، الباب ١٢ من أبواب الأمر والنهي، الحديث ٣ و ٢.

(٢٧) تحرير الوسيلة ٢: ٦٦، ط. الجامعة.

(٢٨) منهاج الصالحين ١: ٤٢٤، ط. ٢٨.

الأولى: ما تدل على رفع اليد عنهم والكف عن قتالهم إذا قبلوا الجزية وأعطوها، فقد قال الله عز وجل: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾^(٢٩) فالآية كالصريحة في أن القتال ينتهي إذا أعطوا الجزية فتكف اليد عنهم، وظاهره أنهم بعد ذلك كسائر الناس المسلمين لا يتعرض لهم بشيء، وهو عبارة أخرى عن ثبوت الحرمة لهم كغيرهم من الناس.

(٢٩) التوبة: ٢٩.

وفي خبر مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن النبي ﷺ كان إذا بعث أميراً له على سرية أمره بتقوى الله عز وجل في خاصة نفسه ثم في أصحابه عامة ثم يقول: ... وإذا لقيتم عدواً للمسلمين فادعوهم إلى إحدى ثلاث، فإن هم أجابوكم إليها فاقبلوا منهم وكفوا عنهم (إلى أن قال بعد الأمر بالدعوة إلى الإسلام والهجرة): فإن أبوا هاتين فادعوهم إلى إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أعطوا الجزية فاقبل منهم وكف عنهم...»^(٣٠) وكيفية الاستدلال به يعلم مما ذكرناه في الآية.

(٣٠) الوسائل، الباب ١٥ من

ابواب جهاد النفس، الحديث ٣.

وفي خبر حفص بن غياث (في حديث) أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن النساء كيف سقطت الجزية عنهن ورفع عنهن قال: «فقال: لأن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء والولدان في دار الحرب إلا أن يقاتلن، فإن قاتلن أيضاً فأمسك عنها ما أمكنت ولم تخف خلافاً فلما نهى عن قتلن في دار الحرب كان ذلك في دار الإسلام أولى؛ ولو امتنعت أن تؤدي الجزية لم يكن قتلها، فلما لم يمكن قتلها رفعت الجزية عنها، ولو امتنع الرجال أن يؤدوا الجزية كانوا ناقضين للعهد وحلت دماؤهم وقتلهم؛ لأن قتل الرجال مباح في دار الشرك، وكذلك المقعد من أهل الذمة والأعمى والشيخ الفاني والمرأة والولدان في أرض الحرب، فمن أجل ذلك رفعت عنهم الجزية»^(٣١).

(٣١) الوسائل، الباب ١٨ من

ابواب جهاد النفس، الحديث ١.

فالخبر قد دل على حرمة دماء الطوائف المذكورة من أهل الذمة مطلقاً، وعلى حرمة دماء غيرهم من الرجال إذا لم ينقضوا عهد الذمة؛ وحرمة دمائهم عبارة أخرى عن أنهم محترمون وأن لهم حرمة في ظل الإسلام، ومع هذه الحرمة لا يشك أحد في أنه لا يجوز لأحد من المسلمين التعرض لهم، حتى بمثل الإيذاء فضلاً عن الجرح أو القتل. ومن هذا ما ورد في مرسل محمد بن

ابي حمزة أنه «مر شيخ مكفوف كبير يسأل فقال امير المؤمنين عليه السلام: ما هذا؟ قالوا: يا امير المؤمنين، نصراني، فقال امير المؤمنين عليه السلام: استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه؟! أنفقوا عليه من بيت المال» (٢٢).

وفي صحيحة زرارة قال: «قلت لابي عبدالله: ما حدّ الجزية على أهل الكتاب دخل عليهم في ذلك شيء موظف لا ينبغي أن يجوز إلى غيره؟ فقال: ذلك إلى الامام يأخذ من كل انسان منهم ما شاء على قدر ماله وما يطيق. إنما هم قوم فدوا انفسهم من أن يستعبدوا أو يقتلوا، فالجزية تؤخذ منهم على قدر ما يطيقون، له أن يأخذهم به حتى يسلموا» (٢٣).

وفي صحيحة محمد بن مسلم قال: «سألته عن أهل الذمة ماذا عليهم مما يحقنون به دماءهم وأموالهم؟ قال: الخراج، وإن أخذ من رؤوسهم الجزية فلا سبيل على أرضهم، وإن أخذ من أرضهم فلا سبيل على رؤوسهم» (٢٤). فهاتان الصحيحتان وإن تعرّضتا لحكم حقن دمائهم وأموالهم صريحاً، إلا أن المفهوم منهما عرفاً، كما في غيرهما مما قد مرّ، أن لأهل الكتاب بعد اداء الجزية حق الحياة في دار الاسلام كما لأهل الاسلام، فلا يجوز لأحد من المسلمين التعرّض لهم بإيذاء ولا ضرب ولا جرح.

فهذه الطائفة الاولى من الادلة مما دل بوضوح على ثبوت الحرمة لأهل الذمة من أهل الكتاب.

الطائفة الثانية: ما تدلّ على حرمة قتلهم وإيراد الجناية عليهم وترتب الدية بل القصاص على الجناية عليهم، فمنها موثقة سماعة قال: «سألت ابا عبدالله عليه السلام عن مسلم قتل ذمياً فقال: هذا شيء شديد لا يحتمله الناس، فليعط أهله دية المسلم حتى ينكل عن قتل أهل السواد وعن قتل الذمي، ثم قال: لو أن مسلماً غضب على ذمي فأراد أن يقتله ويأخذ أرضه ويؤذي إلى أهله ثمانمئة درهم إذا يكثر القتل في الذميين، ومن قتل ذمياً ظلماً فإنه ليحرم على المسلم أن يقتل ذمياً حراماً ما آمن بالجزية وأذاها ولم بجدها» (٢٥).

ودلالتها على حرمة قتل الذمي إذا كان يؤدي الجزية ويعمل بمقتضى عقد الذمة واضحة، بل إن دلالتها على تعلق الدية بقتله ظلماً أيضاً واضحة، وتدلّ

(٢٢) الوسائل، الباب ١٩ من

ابواب جهاد النفس، الحديث ١.

(٢٣) الوسائل، الباب ٦٨ من

ابواب جهاد النفس، الحديث ١.

(٢٤) المصدر السابق.

(٢٥) الوسائل، الباب ١٤ من

ابواب ديات النفس، الحديث ١.

ايضاً على أن دية الذمي إذا كان قتله عمداً وظلماً مثل دية المسلم؛ ولا محالة تختص دية الثمانمئة بشبه العمد والخطأ، إلا أن الاصحاب لم يعملوا بهذا الحكم الاخير وهو موافق لقول جمع من العامة^(٣٦)، فيحمل على التقية بعد تعارضها مع غيرها من اخبار كثيرة عليها العمل، لكنه لا ينافي حجيتها في سائر ما تضمنته كما لا يخفى، فتدل على حرمة قتل الذمي وعلى وجوب اداء ديته إلى أهله، والدية لا محالة اذعان بحرمة المقتول.

ومنها اخبار كثيرة تدل على أن دية الذمي ثمانمئة درهم، ففي صحيحة ابن مسكان عن ابي عبدالله^(٣٧) قال: «دية اليهودي والنصراني والمجوسي ثمانمئة درهم»^(٣٧).

ومنها ما تدل على أن دية اعضاء الذمي تقدر بنسبة دية هذا العضو إلى كل الدية كما في المسلم، ففي صحيحة محمد بن قيس عن ابي جعفر^(٣٨) قال: «لا يقاد مسلم بذمي في القتل ولا في الجراحات، ولكن يؤخذ من المسلم جنايته للذمي على قدر دية الذمي ثمانمئة درهم»^(٣٨) ومن هذه الاخبار صحيحة بريد العجلي قال: «سألت ابا عبدالله^(٣٩) عن رجل مسلم فقأ عين نصراني فقال: إن دية عين النصراني اربعمئة درهم»^(٣٩) والاربعمئة نصف كل ديته، وهي بهذه النسبة في المسلم ايضاً.

ومنها خبر السكوني عن جعفر عن ابيه عن علي^(٤٠) انه قضى في جنين اليهودية والنصرانية والمجوسية عشر دية أمه^(٤٠) وقد حدد في جنين المسلمة بمئة دينار^(٤١) وهي عشر الف دينار دية المسلم.

ومن اخبار الباب موثقة اسماعيل بن الفضل قال: «سألت ابا عبدالله^(٤٢) عن دماء المجوس واليهود والنصارى، هل عليهم وعلى من قتلهم شيء إذا غشوا المسلمين واطهروا العداوة لهم؟ قال: لا، إلا أن يكون متعمداً لقتلهم. قال: وسألته عن المسلم هل يقتل بأهل الذمة وأهل الكتاب إذا قتلهم؟ قال: لا، إلا أن يكون معتاداً لذلك لا يدع قتلهم فيقتل وهو صاغر»^(٤٢).

فمفهوم صدر الموثقة عدم جواز قتلهم إذا لم يغشوا المسلمين ولم يظهروا العداء لهم، وصريح ذيلها ان المسلم يقتل قصاصاً إذا اعتاد قتلهم، والموثقة

(٣٦) راجع الخلاف، المسألة ٧٧ من كتاب الديات.

(٣٧) الوسائل، الباب ١٢ من ابواب ديات النفس، الحديث ٢.

(٣٨) الوسائل، الباب ٤٧ من ابواب قصاص النفس، الحديث ٥.

(٣٩) الوسائل، الباب ١٢ من ابواب ديات النفس، الحديث ٤.

(٤٠) الوسائل، الباب ١٨ من ابواب ديات النفس، الحديث ٣.

(٤١) راجع الباب ١٨ من ابواب ديات الاعضاء من الوسائل.

(٤٢) الوسائل، الباب ٤٧ من ابواب قصاص النفس، الحديث ١.

معمول بها وفيها دلالة واضحة على ثبوت الحرمة لأهل الذمة وأهل الكتاب.
ونحوها غيرها فراجع ابواب القصاص والديات.

فهاتان الطائفتان دلّتا على ثبوت الحرمة لأهل الذمة وأهل الكتاب، وإن لم تكن هذه الحرمة على حدّ حرمة المسلمين؛ فإذا انضمتا إلى الاخبار المعتبرة الدالة على أن حرمة الميت كحرمة الحي، استفيد منها حرمة التعرض لميت أهل الذمة كما يحرم التعرض للأحياء منهم؛ ودعوى انصراف هذه الاخبار إلى ميت المسلم ممنوعة لعدم الشاهد عليها، فانظر إلى صحيح عبدالله بن سنان عن ابي عبدالله عليه السلام في رجل قطع رأس الميت قال: «عليه الدية لأن حرمة ميتاً كحرمة وهو حي»^(٤٣) فبأي دليل وشاهد يدعى انصرافه الى المسلم؟ فقد سئل عن قطع رأس الميت والسؤال عام لكل ميت، وكون الميت المسلم في معرض الابتلاء اكثر لا يوجب انصرافاً، لا سيما في موضوع سؤال نادر واجاب عليه بأنه عليه الدية، ودية كل احد بحسبه وعله بأن حرمة ميتاً كحرمة حياً، وهو ايضاً تعليل عام ينصرف في كل مورد إلى ما يناسبه.

إن قلت: قد روى عمار بن موسى بسند معتبر عن ابي عبدالله عليه السلام، أنه سئل عن النصراني يكون في السفر وهو مع المسلمين فيموت قال: «لا يغسله مسلم ولا كرامة ولا يدفنه ولا يقوم على قبره وإن كان اباه»^(٤٤) فقد دلّ على عدم رجحان تجهيز النصراني الذي هو من أهل الذمة، وزاد عليه بقوله: «ولا كرامة» الدال على نفي الاحترام عن ميتهم؛ فهذا الموثق كالمختص لعموم مثل صحيحة عبدالله ابن سنان إذا سلّمنا عدم انصرافها.

قلت: ان حق التجهيز للميت يثبت لخصوص الميت وليس حقاً ثابتاً للحي حتى يثبت بمثل صحيحة ابن سنان للميت، فليس في مجرد نفي رجحانه دليل على تخصيص عموم الصحيحة، وأما قوله: «لا كرامة» فالظاهر أن المراد به أن السيادة والكرامة المناسبتين للمسلم لا ينبغي ان تجزّاه إلى القيام بتجهيز الكافر؛ فهو نظير قوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة﴾^(٤٥) وليس ظاهراً في نفي الحرمة عن الميت الذمي.

فالمتحصل أن مقتضى الاخبار الواردة في الابواب المتفرقة ثبوت الحرمة

(٤٣) الوسائل، الباب ٢٤ من ابواب ديات الاعضاء، الحديث ٤.

(٤٤) الوسائل، الباب ١٨ من ابواب غسل الميت، الحديث ١.

(٤٥) النور: ٢.

لميت الكفار أهل الذمة، كما قد يثبت حرمة الاحياء منهم فلا يستقيم ما افتي به السيدان العالمان.

هذه غاية ما امكننا من بيان ثبوت الاحترام للميت من أهل الذمة .

وبعد ذلك كله لا يبعد أن يقال: إن غاية ما يستفاد من الطائفتين المذكورتين، أن لاهل الذمة الذين يعيشون في ظل لواء الاسلام ملتزمين بشروط الذمة هذه الاحكام وتلك الحقوق؛ وأما أن منشأ هذه الحقوق هي حرمة أهل الذمة ام إن منشأها حرمة ذمة الاسلام فلا دلالة لهما عليه؛ بل إن من كان بنفسه محكوماً بأن يقاتل ويقتل فلا حرمة له في نفسه، إلا أن الدولة الاسلامية لما اذنت لهم بأن يلتزموا بشروط خاصة ويعيشوا في البلاد الاسلامية، كان نفس هذا الاذن المبني على رعاية بعض المصالح السامية قد ادى إلى التعامل معهم بمثل هذا الموقف؛ فالحرمة ذمة الاسلام وهي تجري في كل مورد اعطى فيه الاسلام واولياء امور المسلمين اماناً وذمة لأحد، حتى ولو كان كافراً حربياً مشركاً؛ فانظر إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ (٤٦)، فمع هذا التأكيد والشدة في قتلهم والقيام بصده وعدم أي قصور فيه قال تبارك وتعالى في الآية التالية لها: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ (٤٧) فامر به بان يؤمن المستأمن ويجير المستجير وهو كافر مشرك واجب القتل، فيعطى له الامان إلى أن يبلغ مأمنه ومأواه؛ ومن الواضح أنه مادام في هذا الأمن الاسلامي فلا يجوز لاحد أن يتعرض له بايذاء فضلاً عن جرح أو قتل؛ ولا يبعد أن تقدّر دية على من اصابه بما يوجبها، إلا أن كل ذلك ليس لاجل أن للمشرك حرمة في الاسلام بل إنما هو لاجل أنه اعطي الامان؛ فهذا كله لاجل حرمة الاسلام وتكريم لامان الاسلام، وحينئذ فاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس الذين يعيشون في ظل الدولة الاسلامية وتحت لوائها ليس لانفسهم بانفسهم حرمة، وإنما الحرمة بما أنهم في ذمة الاسلام وحماه وإلا فهم مكلفون باعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون، فقد كتب عليهم الصغار رحمة لهم لكي يجدوا ذلاً فيدخلوا في عز الاسلام.

(٤٦) التوبة : ٥ .

(٤٧) التوبة : ٦ .

ومما يدل على أن لا حرمة للكفار ما ورد عنهم عليه السلام مستفيضاً في مقام بيان مشاركة الايمان للاسلام من قولهم عليه السلام: «الاسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقق الدماء»^(٤٨) فالاسلام هو الموجب لحقن الدم، فالكافر ليس بما هو كافر محقون الدم فضلاً عن أن يكون له حرمة بما يزيد في شأنه وعليه فلا مجال للاستدلال لاحترامهم بمثل قولهم عليه السلام في رجل قطع رأس ميت: «عليه الدية لأن حرمة ميتاً كحرمة وهو حي»^(٤٩)، وعلى ضوء ذلك فإنه يدل على انسحاب الحرمة الثابتة للميت حال حياته إلى ما بعد وفاته، ولا محالة يختص مورده بمن كان له في حال الحياة حرمة؛ وأما من لم يثبت له حرمة حال الحياة فبطبيعة الحال لا يكون مشمولاً للعموم المذكور، بل إننا نعلم أن الشك في ان الحرمة الواردة في اهل الذمة هي حرمة الاسلام أو حرمة لهم، حيث يتم قبول شرائط الذمة من قبلهم كحيثية تعليلية لثبوت هذه الاحترامات لاهل الذمة أنفسهم، فمجرد الشك كاف في عدم امكان الاستدلال بهذه الروايات على ثبوت الحرمة لهم؛ فإنه من قبيل الاستدلال بالعام في شبهته المفهومية.

هذا كله في اهل الذمة من اهل الكتاب.

وأما الحربيون منهم وسائر انواع الكفار الذين لا يصح عقد الذمة معهم فعدم ثبوت الحرمة لميتهم واضح.

كما أن مما ذكرنا يظهر حال المستأمنين الذين اعطتهم الحكومة الاسلامية الامان في البلاد الاسلامية، فإن حرمة اشخاصهم بأنفسهم غير ثابتة، وإنما الحرمة لامان الاسلام الذي منحه ولي المسلمين، ولا يقتضي ذلك اكثر من المماشاة معهم حال حياتهم، وأما بعد موتهم فلا دليل على رعاية الحرمة لهم ولاجسادهم.

فتحصل أن الكفار مطلقاً لا دليل على حرمة تشريح اجسادهم وخرقها للأهداف الطبية وغيرها. نعم لو وقع عقد خاص بين ولي امر المسلمين وزعماء الكفار على أن لا يتعرضوا لاجساد الموتى من الكفار، فهذا العقد محترم يجب الوفاء به بحكم عموم قوله تعالى: ﴿أوفوا بالعقود﴾^(٥٠) كما لا يخفى.

(٤٨) الوسائل، الباب ٢٤ من ابواب ديانت الاعضاء، الحديث ٤ و ٦.

(٤٩) الكافي، باب أن الميت يشرك الاسلام ٢: ٢٤-٢٦.

الرابع: إذا اندرست القبور وخربت أو هدمت وظهر منها عظام الموتى المسلمين، فهل يجوز الانتفاع بها في التعليم؟ المحكي في بعض الاستفتاءات عن بعض آجلة العصر جوازه، ولعله لانصراف أدلة اثبات الحرمة للميت عن مثلها؛ لكن لقائل أن يمنع الانصراف ويستند إلى عموم قولهم عليه السلام: «إن حرمة ميتا كحرمة وهي حي» فما دام العظم على هيئته يعدّ عضواً من أعضاء هذا المسلم؛ فالتعرض له اهانة لصاحبه، ووجوب احترامه يقتضي عدم التعرض له، كما أن اطلاق أدلة وجوب دفن الاعضاء والعظام يدل على وجوب دفنها؛ ودفن الميت كما عرفت مرتبة من مراتب تكريمه قد اوجبها الشارع. وربما يؤيد دعوى الاطلاق ما ورد في الاخبار من وجوب دفن شعر الميت وظفره وامثالهما إذا بانت منه، ففي الصحيح المروي عن الكافي والتهذيب عن ابن ابي عمير عن بعض اصحابه عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «لا يمَسُّ من الميت شعر ولا ظفر، وإن سقط منه شيء فاجعله في كفته» ^(٥١) فإيجاب دفن هذه الاشياء القليلة الالهية دليل على اهمية حرمة التي يجب رعايتها، وعلى عدم انصراف العمومات والمطلقات عن مثل العظام. والله العالم.

(٥١) الوسائل، الباب ١١ من ابواب غسل الميت، الحديث ٨.

الخامس: هل الجنين الميت بحكم من مات من الاحياء فلا يجوز شق جسده ولا تقطيع اعضائه، أو حفظه في قارورة محشوة بالكحول وعدم دفنه؟ لا يبعد أن يقال: إن كل ما منعه الشرع بالنسبة للانسان وهو حي، ولو كان في ادنى مراتب الحياة، هو رعاية حق له وتكريم، وقد حرّم الشارع المقدس شرب دواء يوجب اسقاط النطفة، كما في صحيحة رفاعة بن موسى النخاس، قال: «قلت لابي عبد الله عليه السلام: اشتري الجارية فربما احتبس طمئتها من فساد دم أو ريح في رحم فتسقى دواء لذلك فتطمث من يومها؛ افيجوز لي ذلك وأنا لا ادري من حبل هو أو غيره، فقال لي: لا تفعل ذلك، فقلت له: إنه انما ارتفع طمئتها منها شهراً، ولو كان ذلك من حبل إنما كان نطفة كنفطة الرجل الذي يعزل، فقال لي: إن النطفة إذا وقعت في الرحم تصير إلى علقة ثم إلى مضغة ثم إلى ما شاء الله، وإن النطفة إذا وقعت في غير الرحم لم يخلق منها شيء، فلا تسقها دواء إذا ارتفع طمئتها

(٥٢) الوسائل ، الباب ٣٣ من ابواب الحيض.

شهراً وجاز وقتها الذي كانت تطمئ فيه»^(٥٢) فإنه عليه السلام قد منع عن شرب الدواء لمن احتملت الحمل، وليس ذلك إلا رعاية لحق من يتكون من هذه النطفة؛ فلانسان حق يجب رعايته من ابتداء انعقاد نطفته، فالنطفة المنعقدة من الانسان محترمة لا يجوز الاقدام على عمل يمنع بلوغها مرتبة الانسانية الكاملة؛ فلو فرض أن عملاً لا يوجب اعدامها بالمرّة إلا أنه يوجب ورود نقص عليها في العضو الذي يخلق لها، فلا ريب في أن المستفاد من مثل الحديث عدم جواز الاقدام عليه؛ لأن لها حقاً واجب الرعاية، وحينئذ فإذا سقط الجنين فالتعرض له واخذ ببعض اجزائه أو اعضائه تعرض لمن يملك حرمة فيما لو كان حياً في الشريعة، وقد قالوا عليهم السلام: «إن حرمة ميتاً كحرمة وهو حي» مضافاً إلى ما ورد في وجوب دفنه، ففي موثقة سماعة عن ابي عبد الله عليه السلام قال: «سألته عن السقط إذا استوت خلقته يجب عليه الغسل والحد والكفن، قال : نعم كل ذلك يجب عليه إذا استوى»^(٥٣)، فالمستفاد من السؤال هو السؤال عن استوائه في الاحكام المذكورة للاحياء، والمستفاد من الجواب اثبات ذلك، فلا يجوز حفظ الجنين في القارورة وتأخير دفنه بما لا يجوز في الاموات. وبالجمله فالدليل على عدم الجواز هو اطلاق قولهم عليهم السلام: «إن حرمة ميتاً كحرمة وهو حي» مضافاً إلى ما تدل عليه هذه الاخبار الخاصة من مسألة وجوب دفنه كما في غيره من الاموات، ودلالة الاطلاق على حكم الجنين المستوي غير بعيدة، وعلى غيره بعهدة مدعيها فتدبر.

السادس: هل يجوز شق الجسد لكشف الجريمة ؟ كما لو قتل انسان برصاص سلاح احد من الشخصين مختلفي السلاح، وبقي الرصاص في جسد المقتول، فلو شق جسده واخرجت البندقية لاكتشف القاتل. لا يبعد أن يقال: تارة يعلم أنه لو شق الجسد لاكتشف المجرم واتضح الواقع كما في المثال، واخرى يحتمل ذلك. أما الاول فحيث ان انكشاف الواقع يؤدي إلى توصل اولياء الدم إلى حق القصاص من القتل لمورثهم، فإذا طلبوه وكان للحاكم ذاك الطريق فرعاية حقهم هذا مزاحمة لرعاية حرمة الميت، إن لم نقل: إن قتل قاتله

ايضاً رعاية حرمة اخرى له، فلا اقل من أن الحقين هنا متزاممان، فلو لم يثبت أن ملاك حرمة الشق اقوى واحتمل تساويهما لجاز الاقدام على شقه، فضلاً عما لو علم أن الملاك في حق اولياء الدم اقوى؛ وأما الثانية فالظاهر أنه لا يجوز ارتكاب حرام مسلم لمجرد احتمال احياء الحق فتدبر.

السابع: هل يجوز شق الجسد لملاحظة حال الحمل الذي مات مع امه في بطنها، حتى يكتشف أنه ذكر أو انثى، وبذلك يعلم مقدار الدية الواجبة بقتله؟ ربما يقال باتحاد مدرك هذه المسألة ومدرك المسألة السابقة، إلا أن الظاهر خلافه؛ فإنه قد وردت اخبار معتبرة بأن دية ثلاثة ارباع دية الذكر، ففي الصحيحة المروية عن كتاب ظريف عن امير المؤمنين عليه السلام: «... وإن قتلت امرأة وهي حبلى متم فلم يسقط ولدها ولم يعلم أذكر هو أو انثى، ولم يعلم أبعدا مات أم قبلها فديته نصفان نصف دية الذكر ونصف دية الانثى، ودية المرأة كاملة بعد ذلك...»^(٥٤) وهذه الصحيحة حكمت بثبوت نصف الديتين له، واطلاقها يعلم ما إذا سأل اولياء دمه مقدار حقهم لا أزيد ولا انقص، أو طلب القاتل تعيين مقدار الدية بلا زيادة أو نقصان؛ وقد كان خرق الجسد لملاحظة ذكورة الحمل أو انوثته في ذلك الزمان ممكناً، كما حكموا به لخراج الحمل حيّاً فتعيين نصف الديتين في ديته إذا انضم إلى ادلة حرمة الخرق يستفاد منها ثبوت الحرمة هنا كما لا يخفى.

(٥٤) الوسائل، الباب ١٩ من أبواب ديات الاعضاء، الحديث ١.

الثامن: ما مرّ من جواز الشق أو التقطيع إذا اوصى به الميت إنما هو في غير العورتين، وفي غير تشريع بدن الرجل للمرأة وعكسه، وإلا فالأدلة الدالة على حرمة النظر تدل على حرمة هنا أيضاً؛ وأذن الميت فيه بالوصية لا يوجب تغييراً في حكم الله تعالى وحقه كما كان كذلك في زمن حياته ايضاً؛ ومنه تعرف حكم اجساد الكفار في هذه المسألة فكل ما لم لا يجوز النظر إليه من ابدانهم لا يجوز كونه نظر لغاية تعلم الطب، اللهم إلا ان يبلغ حد الضرورة والاضطرار المسوّغ للحرام كما في غيره من الموارد.

القاسع: كل ما جاز الاقدام عليه بعد وصية الميت به واذنه فيه جاز الاقدام عليه بإذن ولي أمر المسلمين، لضرورة أنه وليهم؛ فإذا راعى مصلحة الامة ورأى أن التشريع يوجب تقدماً في علم الطب في البلدان الاسلامية، وأن نتيجة ذلك ستؤدي إلى تفوق الامة، فإن إذنه فيه يقوم مقام اذن صاحب الجسد بمثل الوصية؛ لأن ذلك مقتضى ولايته. اذن نعقل من الولاية أن لصاحبها نظم امور المسلمين وأنه وليهم القيم عليهم؛ ومن الواضح أن الولي والقيم إذ رأى مصلحة من ولي عليهم في الاقدام على عمل فأذن فيه، فلا معنى لأن لا يجوز عزمه وإلا لما كان ولياً، فإنه لا معنى لأن يكون عدم رضا المولى عليه مانعاً عن نفوذ اذن الولي، فإنه مساوق لانكار الولاية. نعم ولي المسلمين يكون ولياً على الامة ليس له إلا رعاية مصلحة الامة، ولا يتصرف فيما كان مصلحة للأشخاص فقط. وتمام الكلام وتفصيل المقال موكول إلى مجال واسع.

العاشر: هل الاقدام بشق جسد الميت وتقطيع اعضائه لاجل التعليم الطبي يوجب الدية أو الارش ؟ لا ينبغي الريب في أنه إذا كان العمل غير جائز فهو مشمول لدالة ايجاب الدية؛ وانما يقع الكلام في موارد جوازه وهي تتصور في صور ثلاث :

الاولى: أن يكون مبنى الجواز وصية الميت به، فقد عرفت أنها توجب جواز الاقدام عليه، لكن الوصية ربما تكون لمجرد الانتفاع بجسده في ذلك التعليم، من دون وصية بكونه مجاناً أو مع التصريح بعدم المجانية؛ وحينئذ فادلة الديات والارش محكمة ضرورة أن الدية والارش بمنزلة التقويم للجرح أو القطع الوارد على البدن. وكما أن الاذن في التصرف في الاموال لا ينافي أن يكون المتصرف ضامناً للمال فهكذا هنا، فالوصية موجبة لجواز العمل وادلة الديات موجبة للدية أو الارش؛ وأما إذا كانت الوصية بأن يجعل الجسد بيد المجامع والمؤسسات العلمية مجاناً فالظاهر سقوط الدية والارش؛ وذلك لما عرفت أن الدية والارش عوض عن الجرح والقطع الواردين على الميت، والوصية ادامة للحق الثابت للانسان في زمن حياته إلى ما بعد وفاته؛ ومن

المعلوم أن كل أحد أولى بنفسه من غيره، فإذا اذن في الوصية بالتصرف المجاني في جسده فقد اسقط العوض المقرّر له، ولا محالة لا تثبت دية حتى يتعلق بها حق ورثته فلا يقال: إن الدية متعلق حق الوارث وليس له أن يتصرف فيها إذا كانت نقطة، فإنه إنما كان لهذا المقال مجال إذا ثبت دية، وإراد الشخص أن يوصي بديته المأخوذة، وأما إذا وصى بالمجانبة فقد سدّ باب تعلّق الدية وحصولها كما لا يخفى.

الثانية: أن يكون مبنى الجواز التزام والابتلاء بواجب أهم، كتوقف حفظ حياة الأحياء عليه، فمن الواضح أن الاضطرار إنما يرفع المنع التكليفي ولا ينافيه تعلّق الدية، التي قد عرفت أنها عوض مالي عن الجرح أو القطع الواردين عليه.

الثالثة: أن يكون مبناه اذن ولي أمر المسلمين، ومن المعلوم أن مصلحة الأمة إذا اقتضت مجرد الإقدام على الشق والتقطيع كما هو الظاهر، فالدية أو الأرض باقيا على حالهما، وأما إذا اقتضت المجانية أيضاً فإنّه اذن الولي الذي لا مجال معه للموّلّى عليه. وقد يقال: إن الديات إنما هي عوض عن الجنايات العمدية، ولذلك فقد ورد في ذيل خبر الحسين بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام: «... قلت: فإن أراد رجل أن يحفر له ليغسله في الحفرة فسدر الرجل ممّا يحفر، فدير به فمالت مسحاته في يده فأصاب بطنه فشقه فما عليه؟ فقال: إذا كان هكذا فهو خطأ وكفّارته عتق رقبة أو صيام شهرين (متتابعين) أو صدقة على ستين مسكيناً، مدّ لكل مسكين بعد النبي صلى الله عليه وآله» (٥٥) قدلّ على أن شقّ بطن الميت إذا كان خطأ فليس فيه سوى الكفّارة، فتعلّق الدية بدور مدار الحرمة، وإذا كان الشق جائزاً لكونه خطأ - كما في مورد الحديث - أو لغير ذلك كما في الصور المذكورة، فلا يتعلق به دية أصلاً.

أقول: إن الدية كما عرفت عوض مالي تثبت شرعاً في موارد العمد والخطأ كما هو واضح، وإطلاق قوله عليه السلام في من قطع رأس الميت: «عليه الدية» يقتضي ثبوتها في جميع الموارد؛ وأما خبر الحسين بن خالد فهو ضعيف السند أولاً، وقد أعرض الأصحاب عنه كما في الجواهر ثانياً، ولا يدل على سقوط الدية عن

(٥٥) الوسائل، الباب ٢٤ من

بواب ديات الأعضاء، الحديث

مورد الخطأ ثالثاً؛ فإن لقائل أن يقول: إن قوله ﷺ: «إذا كان هكذا فهو خطأ» يدل على أنه حينئذ محكوم بحكم الخطأ يتعلّق به الدية، وتكون على العاقلة؛ وقوله ﷺ بعده: «وكفّارته» إيجاب للكفارة زائدة على الدية المقررة كما لا يخفى. والله العالم.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :

إِنَّ الْمُسْلِمَ شَيْءٌ وَرِجَالُهُ
وَرِجَالُهُ خَيْرٌ مِنَ الْإِسْرِافِ

كنز العمال ٢٨٧٦٨ ع

تذكرة النفس من منظومة الثقلين

٣

علاء فاضلة

دراسات

* السيد

عالم الحانري

وأما النقطة الخامسة - وهي الحديث عن بعض العلام التي تفضح المتصوفة أو العرفاء الكاذبين وتمييزهم عن العرفاء الحقيقيين - فقبل الدخول في صلب البحث نشير إلى أمرين ثم نعقب بالإشارة إلى بعض تلك العلام إن شاء الله:

١ - يقول البعض: إن الفارق بين التصوف والعرفان هو أن التصوف طريق الترقى وقوة النفس، والعرفان طريق فناء النفس^(١). ويقول البعض الآخر: إن العرفاء والمتصوفة فرقة واحدة وليس فرقتين، إلا أنه حينما ينظر إليهم من زاوية الجانب الثقافي يسمون باسم العرفاء، وحينما ينظر إليهم من زاوية الجانب الاجتماعي يسمون باسم المتصوفة^(٢).

٢ - من الطريف ما جاء نقله في كتاب روح مجرد^(٣) وملخصه مايلي:
سأل البعض السيد هاشم الحداد: أنه قد ثبت أن بعض مرتاضي الهند من عبدة البقر يخبرون بحسب حركات البقر وسكناته عن بعض المغيبات، كوقوع الثورة في كذا مكان من أقصى نقاط الشرق أو الغرب ثم تنكشف صحة الخبر؛ فما علاقة ذلك بحركات البقر؟

فأجاب الحداد أن ذلك راجع إلى الارتباط القوي الثابت بين موجودات العالم، وبما أن هذا المرتاض وصل عن طريق الرياضة إلى مستوى كشف وحدة النظام الحاكم على العالم، أصبح باستطاعته الإخبار بواسطة أي حركة

(١) روح مجرد: ١٢٧.

(٢) خدمات متقابل اسلام إيران: ٦٦٩ بحسب طبعة منشورات صدرا التي هي لبعة الثامنة.

(٣) ٥٨٦ - ٥٩٠.

أو سكون - ولو كان بشكل لا تُرى له أهمية - عن جميع التغييرات والتبديلات والحركات والسكنات في العالم. وكما أن هذا المرتاض الهندي ارتبط بواسطة الرياضات النفسانية بالروح الكلية للبقر، فاستطاع أن يرتبط بذلك النظام الواحد عن طريق أرواح البقر، وأصبح يخبر عن الرموز الخفية بواسطة شبكة البقر، كذلك بإمكان أحد أن يصل إلى نفس المستوى بعبادته للطير أو الهر أو النجوم أو الشمس أو القمر، وبالرياضة النفسانية التي توصله إلى النفوس الكلية لأحد هذه الامور أو غيرها. فيستدل عندئذ عن الطريق ذلك الشيء الذي فني فيه على ما يحكمه ذلك النظام الوجداني.

ولكن بما أن الانسان أشرف المخلوقات لا ينبغي له أن يفني نفسه في نفوس أنزل من نفسه أو فيما يساوي نفسه، فإن هذا الفناء مستلزم لسقوط الانسان وانحطاطه عن درجة الانسانية.

ولهذا منع الاسلام عن عبادة البقر والنجم والحجر والملائكة والجنّة وعبادة انسان آخر وما إلى ذلك.

أضف إلى ذلك أن الفناء في هذه المعبودات غير الله سبحانه وتعالى لا يوصل الانسان في التجرد والعلم والإحاطة إلى أكثر من النفوس الحيوانية أو الفلكية أو الجمادية، ولا يصل الشخص عن هذه الطرق إلى مستوى العلوم التوحيدية والإلهية.

أما من يفنى في ذات الله فتصبح علومه علوماً كليةً بتمام معنى الكلمة، وتجّرده تجرداً غير متناه ويصل إلى حقائق التوحيد والعرفان. انتهى الكلام ملخصاً.

ومن الطريف أن ما جاء في كلام الحداد هنا حسب نقل مصنف كتاب روح مجرد، من مسألة الارتباط بالنفوس الكلية للبقر أو الطير أو النجوم أو ما إلى ذلك يذكرنا بعقلية الكلي الهمداني ويوضح لنا أنه لم يؤدّ سلوك الحداد ولا وصوله ولا رجوعه أخيراً إلى الجمع بين عالمي الوحدة والكثرة إلى خروجه عن هذا المستوى من الجهل المشين وعدم تفهم الامور.

وعلى أية حال فقد كان هدفي من نقل هذا الكلام أن يُعرف باعترافهم ان

مجرد تقوية الروح في مقابل البدن شيء، والتقرب إلى الله تعالى شيء آخر. فالأول يكون حتى لدى الملحدين والمشركون، فكما أن هناك أناساً يقولون أجسامهم بالرياضات البدنية - ولا فرق في ذلك بين المشرک والموحد - كذلك يوجد هناك أناس يقولون أرواحهم بالرياضات الروحية، ولو كانوا مشركين. فلو رأى أحد بعض التصرفات الدالة على قوة الروح لدى من يدعي العرفان، لا يكون مجرد ذلك كافياً في الاستدلال على كون طريقه صحيحاً في نظر الشرع وكونه مقرباً إلى الله سبحانه.

وأيضاً قال بعضهم: إن المكاشفات الروحية تحصل قبل الوصول إلى عالم التوحيد وعالم الله، وتكون مشتركة بين المؤمن والكافر ولا يدل ثبوتها على الكمال ولا عدم ثبوتها على نفي الكمال^(٤).

أقول: وقد يتوهم البعض أن بعض الغرائب التي تصدر من الشخص نتيجة لتقوية الروح يعتبر أمراً من سنخ المعجزات. غاية ما هنا أنها لا تسمنى معاجز لأنها لم تقترن بدعوى النبوة أو الإمامة فهي كرامات لأولياء الله، في حين أن هذه الغرائب تصدر حتى من المرتاضين الملحدين أو المشركون.

وحل ذلك هو أن الإعجاز يكون خرقاً لقوانين الطبيعة ولا يكون إلا من قبل خالق الطبيعة أو من يكون حقاً مظهراً للخالق من نبي أو إمام أو ولي من أولياء الله، وفي الثالث يسمى بالكرامة لا بالإعجاز.

وأما الخوارق التي تصدر من المرتاضين والمتصوفين وما إلى ذلك فهي وإن كانت خوارق لما اعتاد عليه الناس، ولكنها ليست خوارق لقوانين الطبيعة بل تكون هي نتيجة للسير وفق بعض قوانين الطبيعة، ويصل إليها كل إنسان يلتزم بسلوك ذاك الطريق الطبيعي من دون فرق بين أن يكون مسلماً أو ملحداً أو مشركاً أو نحو ذلك.

وبعد هذا ننتقل إلى ذكر بعض المميزات التي يكون العثار على واحد منها في من يدعي العرفان كذباً كافياً في فضحه. وذلك بمايلي:

١ - ارتكاب محرّمات الشريعة وأذكر هنا لذلك أمثلة:

الأول: تجويز تركيز النظر على فتاة جميلة محرّمة مقدّمة للحصول على

(٤) راجع تعليق السيد محمد

حسين الطهراني على الرسالة

المنسوبة إلى بحر العلوم:

(٥) ص ٤٧٣.

قدرة جمع الحواس على نقطة واحدة؛ كي ينتهي السالك بعدئذ إلى التركيز على ذات الله تبارك وتعالى. وهنا نتبرك بنقل كلام سيد العرفاء الحقيقيين والمرجع الديني العظيم ومؤسس وقائد الثورة الاسلامية الامام الخميني قدس الله روحه الزكية الوارد في كتابه المبارك «الاربعون حديثاً»، وأنقل النص عن الترجمة التي كتبها السيد محمد الغروي حفظه الله^(٥) وذلك مايلي: «ومن التصرفات الخبيثة للشيطان، إضلال القلب وإزاعته عن الصراط المستقيم وتوجيهه نحو فاتنة أو شيخ مرشد. ومن إبداع الشيطان الموسوس في صدور الناس الفريد من نوعه، هو أنه مع بيان عذب ومليح وأعمال مغرية، قد يعلق بعض المشائخ بشحمة أذن فاتنة جميلة ويبرر هذه المعصية الكبيرة بل هذا الشرك لدى العرفاء، بأن القلب إذا كان متعلقاً بشيء واحد، استطاع أن يقطع علاقاته مع الآخرين بصورة أسرع، فيركز كل توجهه أولاً على الفتاة الجميلة بحجة أن القلب ينصرف عن غيرها وأنه منتبه إلى شيء واحد، ثم يقطع هذا الارتباط الوحيد. ويركز قلبه على الحق المتعالي. وقد يدفع الشيطان بإنسان أبله نحو إنسان أبله نحو محيّا مرشد مكار وحش، بل شيطان قاطع للطريق، ويلتجئ في تبرير هذا الشرك الجليّ إلى أن هذا المرشد هو الانسان الكامل، وأنه لا سبيل للإنسان في الوصول إلى مقام الغيب المطلق إلا بواسطة الانسان الكامل المتجسد في المرأة الأحديّة للمرشد، ويلتحق كل منهما بعالم الجن والشياطين. ذاك المرشد بالتفكير في جمال معشوقه ومفاته إلى نهاية عمره، وهذا الانسان البسيط بالانتباه الدائم إلى محيا مرشده المنكوس حتى آخر حياته فلا تنسلخ العلاقة الحيوانية عن المرشد ولا يبلغ الإنسان الأبله الأعمى إلى منشوده ومبتغاه».

والثاني: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة استلزامهما لتكدر الذهن المانع عن الوصول.

(٦) ص ٥٩٦.

لاحظ بهذا الصدد ما نقله صاحب كتاب روح مجرد^(٦) عن الحدّاد وحاصله مايلي: حوّل النجاسة إلى غيرك لا إلى نفسك، فلو رأيت مثلاً أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدّيان بك إلى حالة الغضب وتكدر الفكر

وانكسار صفاء الذهن - وهذا أضرّ عليك مما يوجب ارتكاب الجرم والحرام من الضرر على ذاك الفاعل - فاتركه على حاله واحتفظ أنت بصفاء نفسك. انتهى ملخصاً.

انظر إلى هذا الجاهل كيف يوصي للوصول إلى مدارج كمال النفس وتحصيل صفائها بترك واجب من الواجبات؟!

والثالث: ما اشتهر عن الصوفية وعن محافلهم من الرقص والسماع تحصيلاً لما يسمى بالحال أو الوجد، حتى إنه نُقل عن الشيخ أبي سعيد أبي الخير أنه كان ذات يوم في ضيافة محمد القائيني، وانشغل هو وجماعته بالسماع والوجد والرقص والصياح، وإذا بصاحب البيت وهو محمد القائيني يبلغهم بحضور وقت الصلاة فأجاب الشيخ نحن في الصلاة، فبقوا مستمرّين في رقصهم وسماعهم وانصرف صاحب البيت إلى الصلاة (٧). ولنعم ما قيل:

ألا خيل التصوّف شرّ خيل لقد جئتم بشيء مستحيل
أفسي القرآن قال لكم إله كلوا مثل البهائم وارقصوا لي
والرابع: ارتكاب المحرّمات بهدف السقوط عن أعين الناس كي يسلم هذا المرتكب من آفات الجاه والرياء والمرائين. وأقتصر هنا على ما رواه المحدث القمي رحمه الله في سفينة البحار (٨) عن كتاب ابن الجوزي الذي ألفه في الردّ على الصوفية باسم تلييس ابليس والنصّ مايلي: «وقد تسمّى قوم من الصوفية بالملاقية فاقتحموا الذنوب فقالوا: مقصودنا أن نسقط من أعين الناس فنسلم من آفات الجاه والمرائين وهؤلاء مثلهم كمثل رجل زنى بامرأة فأحبها فقبل له: لم لا تعزل؟ فقال: بلغني أن العزل مكروه فقبل له: وما بلفك أن الزنى حرام؟!».

٢ - دعوى ما يوجب الانحراف العقائدي، كقول من يقول: يصل السالك إلى مقام لا يعرف إلا ربّه، بل الربّ هو الذي يعرف نفسه لا غيره (٩). والخطأ الفلسفي في هذا الكلام - كما مضى - (لو كان صاحبه يقول عن

(٧) جلوه حق لآية الله مكارم: ١٨٩ - ١٩٠ نقلاً عن كتاب أسرار التوحيد: ١٨٦.

(٨) ٥ : ٢٠٩ بحسب طبعة دار الأسرة.

(٩) راجع لبّ اللباب: ١٦٢. انظر الفارق الكبير بين تفسير خرق الحجب والفناء الكامل بمعنى أنه لم يبق شيء غير الربّ والرّبّ هو الذي يعرف نفسه، وبين ما يقوله آية الله الجواديّ الأملّي حفظه الله في تقدمته لكتاب سر الصلاة في الصفحة الثامنة عشرة من أن الخرق النهائي عبارة عن أن لا يرى الإنسان نفسه وليس عبارة عن الانعدام؛ فإن الانعدام ليس كمالاً وإنما الكمال هو عدم الرؤية، والمسالك يصل في مقام الفناء التام إلى مستوى أنه لا يرى شيئاً غير الله فلا يرى نفسه ولا غيره ولا عدم رؤيته للغير ولا رؤيته للحق.

اعتقاد لا عن كذب ودجل) هو أن التجرد عن البدن والجوانب المادية لو تمّ بمعنى الكلمة فالجانب المجرد من النفس لم يكن نقصه وحده خصوصاً بما كان معه من البدن والمادة وبتقائضهما وأعراضهما، بل نفس إمكانه وحدوثه وفقره بما هو ومحدودية ذاته التي هي كلها تكون علائم تدل على النقص الذاتي الذي يمنع عن وصوله إلى مقام الربّ تعالى أمور ذاتية له فلا يمكنه التجرد عنها. أما لو قلنا بوحدة الوجود وأنكرنا كل وجود سوى الله حتى الوجود التعلقي فلا حاجة في مقام الوصول والذوبان إلى تزكية النفس أصلاً؛ إذ لا وجود منذ البدء غير الله حتى يخطط لتزكيته ووصوله إلى مرتبة الذوبان. ويقول البعض^(١٠): إن التجرد الكامل ومن جميع الجهات لا يحصل إلا بعد الموت، وذلك لأنه في هذا العالم نرى أنه لو دخل السالك إلى عالم اللاهوت وفني في جميع الأسماء بما فيها اسم أحد وحصل له البقاء بعد الفناء وهو البقاء بالمعبود، فعندئذ وإن كان قد حصل له التجرد بقدر الاستعداد الإمكانى ولكنه لم يحصل له التجرد الكامل ومن جميع الجهات حتى عن الاستعداد الإمكانى؛ وذلك لانه - رغم أن علمه عندئذ علم إلهي ويكون مع كل موجود ويكون مطلعاً على الماضي والمستقبل - تكون له علاقة إجمالية بتدبير البدن وهذا يمنعه عن حصول التجرد التام فيما فوق الإمكان. نعم بعد الموت تنقطع علاقته بتاتاً عن البدن فيحصل له التجرد التام اللاهوتي.

ثم ينقل صاحب هذا الكلام عنّ يسمّيه بالشيخ وليّ الله الدهلوي أنه قال في كتاب الهمعات: أفهّموني أن قطع علاقة الروح عن البدن يتمّ بعد خمسمئة سنة من الموت.

أقول: إن إمكان الانسان وحدوثه ذاتيان فلا معنى لانفصالهما عنه حتى بعد الموت.

وخلاصة الكلام أن الانمحاء والاضمحلال بمعنى انشغال الذهن بالله وحده أو عدم رؤية شيء غير الله بعين البصيرة شيء قد يحصل بالرياضة. أمّا الاندكاك الواقعي لواقع الروح أو لواقع الجسم والروح من باب أن العالم بأجمعه تجلّ من تجليات الربّ فهذا امر سابق على كل الرياضات وليس أمراً

(١٠) راجع تعليق السيد محمد حسين الطهراني على الرسالة المنسوبة لبحر العلوم ٢٩ - ٤٠.

يحصل بالرياضة. وأما الاندكاك بمعنى ارتفاع الحدود الإمكانية والماهوية والنقائص التابعة لذلك جسماً أو روحاً أو جسماً وروحاً، فهذا من المستحيلات لأنها أمور ذاتية للممكن الذي لا افتراض وجود تعلقي له فلا معنى لانفكاكها عن السالك ووصول السالك إلى الرب.

ولا يبعد أن يكون جواب الله تعالى لموسى ﷺ ناظراً إلى هذا المعنى وهو عدم إمكان وصوله إلى الرب واقتضاء ذلك لفنائته واضمحلاله قبل الوصول. قال الله تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخز موسى صعباً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ (١١).

(١١) الأعراف: ٨٤٣.

فإما أن يحمل سؤال موسى على الرؤية بمعنى الوصول لا على الرؤية بالعين المادية حتى يستغرب صدور سؤال من هذا القبيل من موسى، أو يحمل على هذا المعنى البسيط أعني الرؤية بالعين المادية ولكن يفترض أن الجواب جاء للسؤال ولما هو أعمق من السؤال، فوضح أنه كما أن تجلّي الرب على الجبل أوجب اندكأكه قبل الوصول كذلك تجليه عليك يا موسى.

٣ - الاحتيال والمخادعة قد ينطلي على بعض السذج. وعلى سبيل المثال أشير إلى قصتين مروييتين في كتاب (روح مجرد) عن الحداد:

الاولى (١٢) - كان الحداد يسافر مع خمسة آخرين من كربلاء إلى الكاظمية، فطالبهم السائق أو صانعه بأجرته وقال: كم نفر انتم؟ فقال الحداد: خمسة وقال السائق: بل أنتم ستة، فحسب الحداد الركاب وقال مرة أخرى: نحن خمسة، وكّرر الصانع مرة أخرى: انتم ستة. قال الحداد «خوي ما تشوف؟» هاي (١٣) واحد أو هاي اثنين أو هاي ثلاثة أو هاي اربعة أو هاي خمسة بعد شتگول أنت؟ فقال له: يا سيد أنت ما تحاسب (١٤) نفسك. وقد قال الركاب: من الغريب أن الحداد كان قد فقد نفسه إلى حد أنه لم يلتفت إليها حتى بعد قول صانع السائق: انت ما تحاسب نفسك.

(١٢) روح مجرد ص ٧٥.

(١٣) يبدو ان كلمة هاي استعملت هنا بدلاً عن كلمة هذا من باب جهل مؤلف الكتاب باللغة العربية الدارجة.

(١٤) وهذا خطأ آخر من المصنف نتيجة للجهل باللغة فهو يقصد: ما تحاسب.

فقد كان الحداد غارقاً في عالم التوحيد ومنصرفاً عن الكثرة إلى مستوى لم يمكنه معه رغم كل هذا أن يلتفت إلى بدنه وحسابه في زمرة الركاب. يقول

مؤلف الكتاب: إن حضرة السيد الحداد ذكر لي بنفسه أنه في تلك الحالة كان عاجزاً تماماً عن عدّ نفسه، وأخيراً قال له الركاب: أنت احسب نفسك وإن الحق مع الصانع، فأعطيتُه أجرة ستة أنفار لا للعلم بصحة كلامه بل تعبداً برأي الرفقاء.

أقول: لا أدري، هل كان عدم عدّ نفسه - رغم أنه كان يعدّ الآخرين ويحسبهم - نتيجة أن البدن كان مضطرباً وفانياً ومنعدماً حقيقة ولم يكن باقياً منه إلا روحه المجردة؟ فهذا غير المدعى، فإن مدّعاهم هو الانفصال عن البدن ونسيانه لاذوبان البدن وفناؤه حقيقة، أو كان نتيجة أن ذوبانه في ذات الله وانغماسه في عالم التوحيد أنساه الكثرة أو أعجزه عن رؤية الكثرة؟ فعندئذ كان المفروض به أن يقول: لا احد في السيارة. فلا معنى للمطالبة بالأجرة. أما عدّ الآخرين مع عدم عدّ نفسه ونسيانها من دون نسيان الآخرين فلم يعرف وجهه، إلا أن يكون احتيالياً وتصنعاً لإغفال الناس ومخادعتهم. وأما لو كان المقصود أنه لا وجود حقيقياً غير الله فالمفروض أيضاً إنكار أصل الأجرة والمؤجر والمستأجر.

الثانية^(١٥) - سافر الحداد إلى إيران وكان من البلاد التي زارها همدان، وكان الرفقاء قد استأجروا له بستاناً في خارج البلد، فكان يقضي النهار في ذاك البستان ويعود بالليل إلى همدان في بيت الحاج محمد حسن البياتي. وزار يوماً من الأيام المقبرة الواقعة في بهار همدان وزار فيها قبر المرحوم الشيخ محمد البهاري. يقول مؤلف الكتاب: قال لي حضرة السيد: إني كنت سامعاً أن المرحوم الأنصاري كان يزور كثيراً قبر المرحوم الحاج الشيخ محمد البهاري، وقد كان يأتي أحياناً من همدان إلى هذا المقصد مشياً على الأقدام رغم فاصل فرسخين. وقد تبين لي الآن أن هذا لم يكن لأجل الاستمداد من روح هذا المرحوم وروحانيته، وأن هذا المرحوم لم يكن له ذلك المقام الذي يستمدّ منه المرحوم الأنصاري ويلقى لديه ضالته، بل المرحوم الأنصاري كان يفحص عني ويستشّم رائحتي على أساس اني أجيء بعد ذلك في هذه الساعة إلى هذا المكان.

أقول: لو كان المرحوم الأنصاري يهدف إلى استشمام رائحة الحداد الذي سيأتي في المستقبل إلى هذا المكان ألم يكن يدرك أن لا حاجة له إلى إتيان هذه المقبرة لهذا الهدف لأنه كان الأفضل له أن يأتي إلى البستان الذي استأجروه له في خارج همدان وقضى فيه أياماً، أو إلى بيت الحاج محمد حسن البياتي الذي قضى فيه الحداد ليالي.

نعم إن هذه الحيل والمخادعات من قبل مثل الحداد قد تنطلي على بعض السذج من المؤمنين ولكنها لا تنطلي على المؤمنين الأذكياء. ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ (١٦).

(١٦) البقرة: ٩.

٤ - صدور الخرافات ممن يدعي السلوك والعرفان غير الحقيقي. وأذكر لذلك بعض الأمثلة:

أ - يروى عن الحداد أنه كان يفرق بين البصاق والنخامة بكراهة إلقاء الأول في بيت الخلاء وعدم كراهة إلقاء الثاني فيه، بدليل أن البصاق من أجزاء بدن المؤمن فلا ينبغي أن يختلط بالقاذورات والنخامة من أجزاء بدنه وهي أيضاً من الفضلات كما هو الحال في القاذورات فلا بأس باختلاطها معها (١٧).

(١٧) روح مجرد: ١١٢.

ب - يروى عن الحداد (١٨) أنه كان يتعجب من بكاء الناس وحزنهم في أيام عاشوراء، وهو أيضاً كان يبكي ولكنه كان يبكي بكاء شوق وليس بكاء حزن؛ وذلك لأنه كان يرى هذه الأيام أيام فرح وسرور لأنها أيام ظفر أهل البيت وورودهم في حريم الله وحرم الأمن والأمان، وطيبهم الدرجات والمراتب ووصولهم إلى أعلى درجات ذروة الحياة الأبدية.

(١٨) روح مجرد: ٨٤ - ٩٢.

ثم يوجه صاحب كتاب (روح مجرد) الراوي لهذه القصة هذا الكلام من قبل الحداد بأن هذا الكلام صدر منه في أيام طيّه لعوالم الكثرات ووصوله إلى الفناء المطلق في الله. وبكلمة أخرى في أيام انتهائه من السفر إلى الله وانشغاله بالسفر الثاني وهو السفر في الله. أما بعد أن انتهى من الاسفار الاربعة وآخرها البقاء بالله فتشكّل بعوالم الكثرة والوحدة في وقت واحد، وأدى حق كل عالم من العوالم بالذي ينبغي ويناسب ذاك العالم، وعندئذ كان يُرى في أواخر عمره يبكي في مجالس الحسين (عليه السلام) بكاء حزن وحرقة قلب حيث كان متصفاً

بالصفات الخَلقية في عين اتصافه بصفات الوحدة الربوبية، كما أن الحسين عليه السلام كان كذلك، فمن ناحية كان من خصائصه هو وبعض من معه أن تشرق ألوانهم بتلك المصائب وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم فقال بعضهم لبعض: انظروا لا يبالي بالموت، ومن ناحية أخرى كان يقول لبنته سكينه: لا تحرقى قلبي بدمعك حسرة ما دام مني الروح في جثمانى.

أقول: ليكن السالك الذي يسافر إلى الله ثم يفنى في الله تنكشف لديه الحقائق التي لم تكن تنكشف بالعقل، ولكن هذا لا يعني أن يفقد الانكشافات الحاصلة بالعقل قبل السلوك إلى أن يرجع مرة أخرى إلى عالم الكثرة، والعقل يعرف قبل السلوك أن قضية عاشوراء عملة ذات وجهين، فمن أحد الوجهين بطولة وعز ومقام وفخر واعتزاز ومن الوجه الآخر مصيبة ورزية وفجعية عظيمة، وليس من لوزم السلوك الحقيقي والعرفان الالهي فقدان منكشافات العقل ولا سيما المنكشافات الدينية والإيمانية والعرفانية كأوجه عملة عاشوراء الحسين عليه السلام. ولعل قائلًا يقول: إن الحداد كان غارقاً في عالم الفناء غافلاً عن عالم الكثرة، وعملة عاشوراء إنما تكون مصيبة ورزية بوجهها الخَلقي وبلحاظ الكثرة، ولذا لم يكن يدرك هذا الجانب من العملة.

ولكنني لا أدري أنه لو كان الأمر كذلك كيف أدرك أساساً كون قصة عاشوراء تعتبر مصيبة عند الناس ويكون لأجلها بكاء الحزن؟ ولم لم يغفل عن ذلك؟! فمثلاً من يغرق في الله ويخشع له لدى الصلاة ويفنى فيه لا يلتفت إلى الناس وإلى غير الله لا أنه يلتفت إليهم ويتعجب من انشغالهم بغير الله.

ج - روى صاحب كتاب (نشان از بي نشانها) المسمى بعلي المقدادي الاصفهاني قصة بشأن أبيه الحاج الشيخ حسن علي الاصفهاني الذي يعتبره من العرفاء الكبار، والقصة يرويها عن السيد ابي الحسن المرتضوي أنه كان يقول: كنت في مشهد الرضا بخدمة الحاج الشيخ حسن علي إذ جاءه رجل وقال: كنت أقرأ الفاتحة على مزار الشيخ الطبرسي وإذا بعقرب لسعني في يدي فسأله الشيخ: أين صار العقرب؟ فقال دخل في ثقب. قال الشيخ: إن هذه العقرب قد ضلّت عن بيتها. انذهب إلى ذاك المكان واجعل فمك قريباً من ذاك الثقب وقل:

أمر الحاج الشيخ حسن علي بأن تخرجني عن الثقب، فإذا خرجت عن الثقب أحملها برفق وضعها في باطن كفك واذهب بها إلى المقبرة الفلانية واتركها قريباً من الثقب الفلاني كي تُشفى يدك ثم ارجع واخبرنا عن عملك. قال الذي حكى هذه القصة: إنني كنت بخدمة الشيخ إذ رجع ذاك الرجل واخبر أنه فعل ما أمره الشيخ به وشفيت يده (١٩).

(١٩) نشان از بی نشانها: ٧٠ - ٧١.

د- روى في كتاب (روح مجرد) (٢٠) عن الحدّاد أنه سُئل ذات يوم عن اللعن الكثير الشديد الوارد في زيارة عاشوراء ودعاء علقمة ونحو ذلك، كيف يلتئم مع روح الامام المعصوم الذي هو منبع الرحمة والمحبة؟! فأجاب الحدّاد: إن كل لعن من هذا القبيل يكون من الرحمة على الملعون وطلب الخير له؛ لأنه بقدر ما تطول حياته وتكثر نعمه وقدراته تزداد معاصيه ويشتدّ عذابه ويوجب الإضرار بغيره أيضاً عن طريق الإجرام، فسلب هذه النعم أو القدرات أو الحياة عنه خير له ولغيره.

(٢٠) ص ١١٣ - ١١٥.

أقول: كأن هذا الرجل وصاحبه الذي ينقل عنه في الكتاب هذه القصة بعنوان بيان إفاداته ومناقبه لم يقرأ القرآن من قبيل قوله تعالى:

١ - ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (٢١).

(٢١) آل عمران: ١٧٨.

٢ - ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٢٢).

(٢٢) الأعراف: ١٨٢ - ١٨٣.

٣ - ﴿فَذَرْنِي وَمَن يَكْذِبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٢٣).

(٢٣) القلم: ٤٤ - ٤٥.

٤ - ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُر بِالرَّحْمَنِ لَبِئُوتُهُمْ سَقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبِئُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ * وَزُخْرَفٌ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢٤).

(٢٤) الزخرف: ٣٣ - ٣٥.

هـ- ورد في الرسالة المنسوبة إلى بحر العلوم (٢٥) في مقام بيان الطريق الذي سلكه هو رضوان الله عليه من الأذكار من أجل سلوك مدارج العرفان أنه كان ﷺ يتوسّل أحياناً بنجمة عطارده، لأن هذه النجمة تمدّ من روحانيتها أهل

(٢٥) ص ٢٠٨ - ٢٠٩ حسب الطبعة المشتملة على تعليق السيد محمد حسين الطهراني.

الأسرار وينبغي للسالك في بداية أمره حينما ينظر إليها بعد غروب الشمس أو قبل طلوعها لدى إمكانية رؤيتها أن يسلم عليها ويؤخر خطوة ويقول:

عطارُ أَيُّمَ الله طال ترقبي صباحاً مساءً كي أراك فأغنما
ثم يؤخر خطوة أخرى ويقول:

وها أنا فامنحني قُوَى أدرك المنى بها والعلوم الغامضات تكراً
ثم يؤخر خطوة أخرى ويقول:

وها أنا جد لي الخير والسعد كلّه بأمر ملك خالق الأرض والسما
وينبغي تكرار هذا العمل في بوادي السلوك.

أقول: إن وجود هذه الخرافة وأمثالها في الرسالة المنسوبة إلى بحر العلوم رحمته الله يجعلنا نقطع بكذب هذه النسبة أو تحريف الكتاب على أقل تقدير؛ فإنه لو فرض التوسل بعطار بما هو فهذا شرك صريح، ولو فرض التوسل بهذا الجماد بما هو مظهر من مظاهر الرب فهذا أيضاً يذكرنا بمشركي قريش الذين نقل الله سبحانه وتعالى عنهم أنهم كانوا يقولون: ﴿ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (٢٦) وحاشا لمثل السيد بحر العلوم وضوان الله تعالى عليه أن يتفوه بمثل هذا الكلام.

(٢٦) الزمر: ٣.

و- ويذكر أيضاً في الرسالة المنسوبة إلى السيد بحر العلوم رحمته الله (٢٧) أن من آثار السلوك حصول أنوار في القلب، ويكون بدء حصول النور في القلب على شكل السراج وبعده على شكل الشعلة وبعده على شكل الكوكب وبعده على شكل القمر وبعده على شكل الشمس، وبعده يغمر القلب ويعرئ عن اللون والشكل وكثيراً ما يكون على شكل البرق وأحياناً على شكل المشكاة والقنديل. ويستشهد ببعض الروايات من قبيل ما في اصول الكافي (٢٨) عن الباقر عليه السلام: قال: «إن القلوب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهر أجرد. فقلت: ما الأزهر؟ قال: فيه كهية السراج.

فأما المطبوع فقلب المنافق وأما الأزهر فقلب المؤمن. إن أعطاه شكر وإن ابتلاه

(٢٧) ص ١٩٤ حسب الطبعة التي أشرنا إليها.

(٢٨) ٢: ٤٢٢-٤٢٣.

أقول: انظر إلى هذا الجاهل - وحاشا أن يكون السيد بحر العلوم رحمه الله - كيف يتخيل كون نور قلب المؤمن على هيئة الأنوار المادية. ولا أدري كيف يفسر هذا الرجل الفقرة الواردة في دعاء الندبة بشأن الأئمة عليهم السلام: «أين الشمس الطالعة أين الأقمار المنيرة أين الأنجم الزاهرة» فيأثر هل يعتقد أن أئمتنا عليهم السلام كانوا على شكل الشمس الأقمار والأنجم بمعانيها المادية؟

ز - ويذكر أيضاً في تلك الرسالة (٢٩) أن من آثار السلوك بروز الصوت في القلب، ويكون في أوائل الامر كصوت الطير ثم كصوت وقوع حصاة في الطاس ثم على شكل مهمة كهمة الذباب الذي يجلس على خيط الإبريسم. أقول: ان نسبة كل هذه الخرافات إلى هذا السيد الجليل العظيم القدر وافترضه رحمه الله من هذه الطائفة انما تكون بهدف تقوية انفسهم وتوجيه عملهم وسيرتهم لدى المجتمع، فينحطون لأنفسهم من يروونه ممن اشتهر بالعبادة والزهد والتقوى والعرفان الصحيح، من قبيل السيد مهدي بحر العلوم رضوان الله عليه الذي ورد عنه كثير من الأمور الدالة على جلالته قدره وأذكر هنا منها قصتين:

الأولى ما روي عن تلميذه المولى زين العابدين السلماسي رحمه الله أنه قال: إن السيد مهدي بحر العلوم كان يمشي في الليالي في أزقة النجف وكان يعطي لبيوت الفقراء الخبز ونحوه ثم ترك التدريس فترة من الأيام، فشغني الطلبة لديه كي يعود إلى التدريس، فأبلغته بذلك فامتنع عن العودة إلى التدريس، ثم طلب مني الطلبة مرة أخرى أن أسأله عن سبب ترك الدرس فسألته عن ذلك فقال: أنا لا أسمع من بيوت الطلبة حينما أمشي في أزقة النجف في جوف الليل صوت المناجاة والتضرع، وأنا لا أرى هكذا طلبة مستحقين لإلقاء الدروس عليهم. فلما سمع الطلبة بذلك انشغلوا في جوف الليالي بالبكاء والمناجاة فعاد السيد إلى التدريس (٣٠).

والثانية: ما روي أيضاً من أن السيد بحر العلوم رحمه الله قال ذات ليلة: إنني لا اشتهي العشاء، ثم أمر بصب غذاء كثير في ظرف من الظروف وأخذه وذهب به إلى أزقة النجف حتى انتهى إلى باب دار كان صاحبها حديث عهد بعرس،

(٢٩) ص ١٩٧ حسب الطبعة
المشار إليها سابقاً.

(٣٠) قصص العلماء: ١٧٣ -

وكان هو وزوجته في تلك الليلة لا يمتلكان طعاماً وكانا يعيشان الجوع، فدقّ السيد ﷺ الباب فخرج الزوج لفتح الباب وقال السيد ﷺ: الآن قد جُعت انا أيضاً. فقسموا الطعام إلى ثلاثة أقسام وأعطيت قسمة للعروس وأكل الباقي السيد بحر العلوم مع الزوج (٣١).

ح - قال البعض: إن الجنة والنار وجودان صوريان نفسيان وليستا خارجيتين (٣٢) وإن الجنة وما فيها من حور وقصور وأنهار والنار بكل ما فيها من غسليين وزمهرير ما هي إلا ذات من حلّ فيها والخارج مقولة جوفاء (٣٣). وكنتُ أريد أن أعترض على صاحب هذا الكلام بأنه لم يلتزم بهذه المثالية في دار الدنيا؟! فلئن كان الثبات دليلاً على الواقع الخارجي وبه يمتاز عالم اليقظة عن عالم النوم الذي لا ثبات في الأحلام التي تقع فيه، فهذا الثبات موجود في عالم الآخرة أيضاً فيجب الالتزام بواقعيتها ورفض خيالياتها ومثالياتها. ثم التفتُّ إلى أن صاحب هذا الكلام قد التزم بالمثالية حتى بلحاظ دار الدنيا فهو يقول: وكل ما يتراءى لنا من الصور الطبيعية والدنيوية ما هي إلا مظاهر نفسانية غير خارجة عن قوانا الإدراكية (٣٤).

أقول: ان إبطال المثالية له مجال آخر غير هذا الكتاب ولكني اشير إلى أن استاذنا الشهيد ﷺ قد أوضح بطلانها عن طريق حساب الاحتمالات في كتابه القيم «الأسس المنطقية للاستقراء» (٣٥).

ط - روى في كتاب الإسراء والمعراج (٣٦) عمّن يسمونه بالشيخ الأكبر وهو ابن العربي أنه قال في كتاب الفتوحات (٣ / ٤٦٣ ط. صادر): «إن أهل العذاب الذين يخلدون في النار بالنيات يأخذ الالم جزاء العقوبة موازين لمدة العمر في الشرك في الدنيا، فإذا فرغ الأمر حصل لهم نعيم في الدار التي يخلدون فيها بحيث أنهم لو دخلوا الجنة تألموا لعدم موافقة الطبع الذي جبلوا عليه، فهم يتلذذون بما فيها من نار وزمهرير وما فيها من لدغ الحيات والعقارب كما يلتذّ أهل الجنة بالظلال والنور ولثم الحسان من الحور؛ لأن طبائعهم تقتضي ذلك... ومن الشاهد أن الواحد ممّا إذا لامس بدنه الماء الساخن نفر منه ولم يستسمجه ثم بعد ذلك يلائمه ويستعذبه...».

(٣١) قصص العلماء: ١٧١.

(٣٢) راجع: الإسراء والمعراج.

لعلي حب الله: ١١٧.

(٣٣) نفس المصدر: ١٢١.

(٣٤) راجع: نفس المصدر.

١٢٠.

(٣٥) راجع: كتاب الأسس

المنطقية للاستقراء: ٤٥٢.

٤٧٠.

(٣٦) ص ١٢٦ - ١٢٧.

إلى أن قال: «وبقي أهل هذه الدار الأخرى فيها فغلقت الأبواب وأطبقت النار ووقع اليأس من الخروج فحينئذٍ تعم الراحة أهلها لأنهم قد يسوا من الخروج منها، فإنهم كانوا يخافون الخروج منها لما رأوا إخراج أرحم الرحمين ... فيستعذبون العذاب.... ولهذا سمي عذاباً لأن المال استعذابه لمن قام به كمن سيتحلي للجرب من يحكه».

أقول: ما أجرأهم على تأويل كلمات الله ورسوله ﷺ؟!؟

٥ - حالة الاعتزال عن العمل السياسي والاجتماعي بتخيل أو بدعوى توقف تهذيب النفس على ذلك، في حين أنه عن طريق العمل الاجتماعي يتم علاج ضيق النفس يتحقق ذبح النفس بيد صاحبها لا بيد شخص آخر وقد مرّ تفصيل ذلك في النقطة الرابعة فلا نعيد*.

٦ - معرفة أصل هؤلاء وسندهم ونسبهم. ونذكر هنا ترجمة نص الكلام الوارد عن أحدهم حيث قال^(٣٧): حقيقة العرفان مأخوذة من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، والطرق التي نشرت هذه الحقيقة وإن جاوزت المئة أخيراً ولكن أصول طوائف التصوف لا تزيد على خمس وعشرين سلسلة.

وهذه السلاسل تنتهي جميعاً بعلي بن أبي طالب عليه السلام وفرقتان أو ثلاث فرق منهم شيعة وباقي الفرق جميعاً سنة.

وبعضهم تنتهي سلسلته إلى معروف الكرخي ومنه إلى الامام الرضا عليه السلام، ولكن طريقنا وهي نفس طريقة المرحوم الآخوند لا تنتهي إلى شيء من هذه السلاسل. وإجمال المطلوب أنه قبل حوالي أكثر من مئة سنة كان في تستر عالم جليل القدر وكان مصدراً للقضاء ومراجعات عامة الناس، وكان يسمى بالسيد علي التستري وكان كسائر العلماء متصدياً للامور العامة والتدريس والقضاء والمرجعية، وفي يوم من الايام دق احد باب بيته فقال له: من أنت؟ فقال: افتح الباب فان شخصاً ما يطلبك في شغل له معك وحينما فتح السيد علي الباب رأى رجلاً حائكاً وقال له: ماذا تريد؟ فقال له: ما أصدرته من الحكم وفق شهادة الشهود بأن فلاناً مالك للشيء الفلاني غير صحيح، وانما ذاك ملك طفل صغير يتيم وسنده مدفون في المحل الفلاني، وهذا الطريق الذي أنت تسلكه غير

(*) راجع : تزكية النفس
العمل الاجتماعي من منظور
ثقلين - رسالة الثقلين / العدد
١ السنة الرابعة (التحرير).

(٣٧) لب الباب: ١٥٤ - ١٥٨.

(٣٨) كأن ناقل القصة يتعقل فرضية أن عالماً جليلاً من علماء الشيعة حينما يظهر له الخطأ الواقعي في قضاء كان تاماً وفق مقاييس البيئات والايان لا يفهم ان هذا كان هو شأن رسول الله ﷺ حينما قال في الخير الصحيح السند: «إنما أقضي بينك بالبيئات والايان وبعضك ألحن بحجته من بعض فأتما رجل قطعت له من مال أخيه شيئاً فإينما قطعت له به قطعة من ثمنه» (وسائل الشيعة ٢٧: ٢٢٢، ج ٣، مبر كيفية الحكم، ج ١، ط. مؤسس آل البيت) أفهل يفترض أن العالم الجليل الشيعي يغور في الخوف خشية أن يكور كثير من أحكامه رغم موافقتهم للمقاييس التي يجب اتباعهم على خلاف الواقع، وهم يعلم أن هذا ما حذر به رسول الله ﷺ المتراجع الذي يعلم بنفسه أنه ليس على الحق ولكن رسول الله ﷺ يحكم لصالحه وفق المقاييس الظاهرية، ام كان هذا العالم الجليل يريد للقضاء وفق الواقع بينما لم يكن ذلك لرسوله رسول الله ﷺ الاسلام ﷺ؟

(٣٩) كأن ناقل القصة يفترض ان عالماً جليلاً شيعياً ينفذ أوامر شخص مجهول بشخص لم يعرف انه إنس أم جن أم ملك أو شيطان.

صحيح وطريقك سبيل آخر غير هذا. فقال آية الله التستري أفأخطأت انا؟ فقال له الحائك: الحقيقة ما بينته لك ثم انصرف الحائك وبقي آية الله التستري حائراً في فكره من هو هذا الرجل؟ وماذا قال؟ ثم حقق عن مسألة سند الملك فحصل عليه مدفوناً في نفس المكان الذي أشار إليه ذاك الرجل فغار في الخوف والخشية وقال: أخشى ان يكون كثير مما اصدورته من الأحكام من هذا القبيل^(٣٨). وفي الليلة الثانية اتاه في نفس الساعة ذلك الرجل الحائك وقال له: ايها السيد علي التستري ليس الطريق ما تسلكه. وفي الليلة الثالثة تكررت نفس الواقعة وقال له الحائك: يبيعوا البيت واجمعوا فوراً أثنائه وانتقلوا إلى النجف الأشرف، وبعد ستة اشهر انتظروني في وادي السلام. وعلى هذا الاساس انشغل المرحوم التستري فوراً بتنفيذ ما قاله له هذا الحائك وباع البيت وجمع الاثاث وتجهز للسفر إلى النجف الأشرف وبمجرد وروده إلى النجف الأشرف رأى في وقت طلوع الشمس الرجل الحائك في وادي السلام وكأنه نبت من الارض وحضر أمامه واعطاه الأوامر اللازمة واختفى^(٣٩). ودخل المرحوم التستري النجف الأشرف وعمل بأوامر الحائك إلى أن وصل إلى المقام الذي لا يوصف ولا يذكر رضوان الله عليه وأخذ يحضر المرحوم السيد علي التستري بحث المرحوم مرتضى الأنصاري احتراماً له فقهاً واصولاً، وكان يحضر الشيخ في الاسبوع مرة بحث السيد في الأخلاق. وبعد أن توفي الشيخ رحمه الله السيد التستري في محل تدريس الشيخ وأخذ يدرس من النقطة التي انتهت إليها الشيخ، ولكن لم يطل عمره بعد ذلك أكثر من ستة أشهر وارتحل إلى رحمة الله الأبدية. وفي خلال هذه الأشهر الستة كتب المرحوم التستري رسالة إلى أحد مبرزى طلاب المرحوم الشيخ الأنصاري وهو الآخوند المولى حسين قلي الدرجيني الهمداني، وقد كانت منذ سنين عديدة في زمان حياة المرحوم الشيخ الانصاري رابطة الألفة قائمة بين الآخوند والسيد التستري، وكان الآخوند يستفيد الأخلاق والعرفان من السيد التستري، وكان الآخوند بعد وفاة الشيخ الأنصاري مصتماً على التدريس وبانياً على تكميل بحث الشيخ الذي كان قد كتبه هو أيضاً بعنوان التقارير. وإذا برسالة السيد التستري تصل إلى

الآخوند الهمداني ويقول له فيها: هذا الطريق غير صحيح لك، ولا بد لك أن تدرك مقامات عالية أخرى... إلى أن يؤثّر السيد في الآخوند ويقلبه إلى وادي الحق والحقيقة. وأخيراً أصبح الآخوند في المعارف الالهية فوق الأقران وكان من عجائب الدهر. وهو أيضاً ربّي تلاميذ على هذا الخط، وأصبح كل واحد منهم اسطوانة في المعرفة والتوحيد وآية عظيمة، ومن أبرزهم المرحوم الحاج ميرزا جواد آقا الملكي التبريزي والمرحوم السيد أحمد الكربلائي الطهراني والمرحوم السيد محمد سعيد الحبوبى والمرحوم الحاج الشيخ محمد البهاري. وكان الاستاذ الكبير والعارف بلا بديل المرحوم الحاج علي آقا القاضي التبريزي رضوان الله عليه من تلاميذ مدرسة السيد أحمد الكربلائي. هذه هي سلسلة اساتيدنا المنتهية إلى المرحوم التستري ومنه إلى ذاك الشخص الحائك الذي لم يُعلم من هو وبمن كان مرتبطاً ومن أين أتى بهذه المعارف وبأي وسيلة حصل عليها؟ انتهت.

أقول: إنني لا أريد أن أتهم الأفاضل الأعلام الموجودة اسمائهم في القصة التي قصّها صاحب كتاب لبّ الباب لارتباطهم برجل حائك لم يعرف هل هو إنس أو ملك أو جنّ ولا أعرف مدى صدق هذه القصة، وإنما أريد مناقشة اصل الكلام الوارد في هذا الكتاب.

فاقول: لاشك أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو سيّد العارفين وكهفهم وملانهم وإمامهم وامام المؤمنين، وأقصد بذلك العرفان بالمعنى الوارد في قوله (عليه السلام) في دعاء كميل: «يا غاية آمال العارفين»، لا بالمعنى الذي ناقشناه حتى الآن. وأتساءل أنه لو كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) على رأس نحو من خمس وعشرين سلسلة للصوفية على ما ورد في لبّ الباب فلماذا انتخب (عليه السلام) أكثرهم من السنة حسب ما مضى من قوله في لبّ الباب أن فرقتين أو ثلاثاً منهم شيعة والباقي سنة؟ وهلاً علم (عليه السلام) هذا الطريق ميثماً التمار وصعصعة بن صوحان العبدي ورشيداً الهجري^(٤٠) وكميل بن زياد وأصبع بن نباته وحجر بن عدي الكندي^(٤١) وأمثالهم من أعاضل اصحابه رحمهم الله.

إن الحقيقة ليست هكذا بل الحقيقة أن التصوف دُكّن فتحه اعداء علي

(٤٠) روى الكشي أنه كان في إليه علم المنايا والبلايا. ج: مجمع الرجال ٧: ١٩٢.

(٤١) روى الشيخ طوسي (رحمه الله) أنه كان من أبدال. راجع: مجمع الرجال سيد الخوئي (رحمه الله) ٤: ٢٣٧.

واعداء الاثمة عليه السلام في مقابل ائمتنا المعصومين. ذلك أن الشيطان لا يستطيع ان يغري ابتداءً كل احد عن طريق الخمر أو النساء أو الملاهي وما إلى ذلك فلرب انسان لا يأنس إلا بالمسجد فطريق حرفه عن الحق هو بناء مسجد ضرار، ولرب انسان لا يطيب له إلا العرفان فطريق حرفه عن جادة الحق هو اختلاق العرفان الكاذب. ومن نقاط القوة في ائمتنا عليهم السلام الجاذبة للنفوس الطيبة كان هو العرفان الالهي الشامخ المضيء الذي يشع شيء يسير منه فيما وصلنا من اليسير من ادعيتهم وكلماتهم المضيفة التي أشرنا إلى نزر منها في النقطة الرابعة، فكان لابد للشيطان أن يفتح دكاناً في مقابل الاثمة عليهم السلام باسم التصوف، وكان خير مناخ لتأسيس هذا الدكان هو مناخ غير الشيعة؛ لأن الشيعة غالباً ما كانوا مكتفين بالأضواء الحقيقية التي تشع من ائمتهم عليهم السلام، ولهذا لا ترى أثراً من هذا الدكان لدى الشيعة في اوائل الامر وإنما انحدر هذا الطريق اليهم واستهوى بعضهم بعدما تم تأسيسه وتشيد بنائه لدى غيرهم. ومن الطريف أن السلسلة التي يفتخر بها صاحب لب اللباب - لو لم تكن خيالية أو مختلفة - تنتهي حسب مدعاه إلى شخص حائك لم يعرف حتى الآن ولا ندري هل كان - على تقدير واقعيته - بشراً أو ملكاً أو شيطاناً مريداً. ويؤيد الثالث ما مضى في هذه النقطة الخامسة من نقل بعض الخرافات عن لب اللباب وعن كتابه الآخر (روح مجرد)، ولم يكن كل ما نقلنا إلا جزءاً يسيراً مما في الكتابين. وأضيف هنا مقطعاً آخر من خرافات لب اللباب وهو ما ترجمته:

«أكثر الأفراد الذين وقفوا لنفي الخواطر وسطع عليهم آخر سلطان المعرفة كانوا في إحدى حالتين: (الاولى) تلاوة القرآن المجيد والالتفات إلى من هو القارئ الحقيقي؟ فينكشف لديهم أن الله جل جلاله هو القارئ الحقيقي. (والثانية) التوسل بأبي عبد الله الحسين عليه السلام...» (٤٢).

(٤٢) لب اللباب: ١٥٩.

قد يقول قائل: إن هذا المضمون ورد في القرآن الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ (٤٣).

(٤٣) الأنفال: ١٧.

ولكن الواقع أن مقصود القرآن هو بيان أنه لا حول ولا قوا إلا بالله، وأن التوفيق من الله لا نسبة فعل العبد حقيقة إلى الله. والدليل على ذلك هو سياق

الآية حيث بينت فيما قبل هذا المقطع النهي عن تولية الأدبار وترك القتال وفيما بعده أن المقصود هو ابتلاء المؤمنين وامتحانهم. وكل هذا لا معنى له لو كان الفعل حقيقة فعل الله سبحانه وتعالى. وإليك الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولَهُمْ يَوْمَئِذٍ دَرَبَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَدَبَّأَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وهنا أؤكد مرة أخرى أنني لا اتهم الأسماء التي جاءت بعنوان افتراض سلسلة لمؤلف كتاب لبّ اللباب، وفرض انتهائهم إلى الرجل الحائك وعهدة هذا الفرض عليه. وما يدرينا لعل هؤلاء الأسماء من أفضل العارفين بالله بالمعنى الحقيقي للكلمة لا بالمعنى المشتغل على الخرافات أو الانحرافات.

وبوَدِّي أن أشير إلى أن ما فرضه هذا المؤلف من انتهاء بعض سلسلة الصوفية إلى معروف الكرخي صاحب الامام الرضا عليه السلام لم نر عليه شاهداً في ترجمته إلا ادعاء الصوفية انفسهم لذلك من دون ذكر سند ودليل، فقد ادّعى ان بعض سلاسلهم تنتهي إلى معروف الكرخي ومنه إلى الإمام الرضا عليه السلام ومنه إلى آباءه عليهم السلام إلى علي عليه السلام ويسمّون هذه السلسلة بالسلسلة الذهبية ونحن لا نعلم هل حقاً كان معروف الكرخي من الصوفية أو لا؟

نعم روي عنه أنه قال للامام الصادق عليه السلام: «أوصني يا بن رسول الله. فقال: أقلل معارفك. قال: زدني. قال: أنكر من عرفت منهم»^(٤٤) وهذا الحديث يناسب ذوق المتصوفة. مع أن ذلك لا ينسجم مع ما ورد في ترجمته من أنه أسلم في صباه على يد الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

فقد روى السيد الخوئي رضوان الله تعالى عليه^(٤٥) عن ابن شهر آشوب في المناقب الجزء الرابع باب إمامة أبي الحسن علي بن موسى الرضا قال: «ذكر ابن الشهرزوري في مناقب الأبرار ان المعروف الكرخي كان من موالي علي ابن موسى الرضا عليه السلام، وكان أبواه نصرانيين فسلما معروفاً إلى المعلم وهو صبي، وكان المعلم يقول له: قل ثالث ثلاثة، وهو يقول: بل هو الواحد، فضربه

(٤٤) مجمع البحرين في ذيل مادة عرف.

(٤٥) في معجم الرجال ١٨:

٢٣١، راجع أيضاً تنقيح المقال

٢٢٨: ٢

المعلم ضرباً مبرحاً فهرب ومضى إلى الرضا عليه السلام وأسلم على يده، ثم إنه أتى داره فدق الباب فقال أبوه: من بالباب؟

فقال: معروف. فقال: على أي دين؟ قال: على ديني الحنفي. فأسلم أبوه ^(٤٦) ببركات الرضا عليه السلام. قال معروف: فعشت زماناً ثم تركت كلما كنت فيه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام وعن ابن خلكان وغيره نظير ذلك.

وعلى أية حال فتصوف معروف الكرخي غير ثابت لدينا، كما أن كونه من خدام الإمام الرضا عليه السلام ليس قطعياً عندنا، فإن خلو كتبنا الرجالية طراً عن ذكره ولا سيما خلؤ كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام عن نقل رواية عنه عليه السلام بواسطته مما يريب الفطن في اختصاصه بالرضا عليه السلام.

وقبره في عصرنا الحاضر في بغداد لا يزوره عادة إلا السنة وهم يمجّدونه. وتفترض الصوفية أنه كان من أكابرهم. ويقول الشيخ المامقاني رحمته الله: «لم ينقل عنه ما يقضي بالتصوف وإنما نسب المتصوفون إليه التصوف رواجاً لطريقتهم الفاسدة، وهذه عادة أهل المذاهب الفاسدة ينسبون إلى مؤمن تقي مذهبهم كذباً وبهتاناً لترويج مذهبهم الفاسد. أليس ينسبون التصوف إلى أمير المؤمنين عليه السلام البريء منهم ومن مسلكهم؟» ^(٤٧).

(٤٧) تنقيح المقال ٣: ٢٢٩.

قَالَ الرَّضَا عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

فَكَرُّ الْمَرْءِ مِرَّةً
شَرٌّ مِنْ حَمَلِهِ مِنْ مَنَجِدِهِ .

عَنْ الْحَاكِمِ : ٢٤ ص ٥٨

عقيدة الشيعة

د. محمد باقر الصدر

شبهة ورد

* الشيخ

جعفر السبحاني

الندوة العلمية الدولية حول ماضي التشيع وحاضره

قامت هيئة الادارة لوقف دراسات العلوم الاسلامية في تركيا بتشكيل ندوة علمية حول ماضي التشيع وحاضره في تاريخ ١٣-١٥ فبراير / ١٩٩٣، للموافق ٢١-٢٣ شعبان المعظم / ١٤١٣ في استانبول، وقد شاركت فيها شخصيات من مختلف الاقطار كمصر، وسوريا والاردن والسعودية، والعراق وايران والباكستان، وكان محور المحاضرات التي القاها اساتذة جامعات تركيا مذهب الشيعة في مجالي العقيدة والشريعة، وكانت اللغة للرائجة هي اللغة التركية، وقد ترجمت اكثر المقالات إلى اللغة العربية من قبل ووزعت بين الوافدين من خارج البلد مضافاً إلى أن جهاز الترجمة كان يترجم المحاضرات إلى اللغة العربية مثل سائر الندوات العالمية.

كانت هذه الندوة أول ندوة علمية موضوعية انعقدت طيلة أربعة عشر قرناً، منذ أن نجم بين المسلمين اتجاهان باسم السنة والشيعة يتفقان في أكثر الأصول والفروع، ويختلفان في قليل منهما. نعم إنما سبق عليها ما لا يدعمه العقل والشرع من مصارعات ومجادلات وأحياناً حروب دامية على وجه يحكيه لنا الشهرستاني بقوله: «ما سئل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سئل على الإمامة في كل زمان»^(١).

واستغرقت جلسات الندوة أياماً ثلاثة، ألقى فيها ما يفوق على خمس عشرة محاضرة في جو هادي، تخيم عليه الموضوعية وفهم للحقيقة.

والذي دعاني إلى هذه الملاحظة والتعليق هو تبين موقف الشيعة من أنفسهم، وأنهم صلوات الله عليهم أوصياء الرسول الأعظم ﷺ وليسوا بأنبياء، على خلاف ما كان يتصوره بعض المحاضرين كالاستاذ الدكتور علي «اوزك» استاذ كلية الاهليات بجامعة مرمره ورئيس وقف الدراسات الاسلامية^(٢)، والاستاذ المساعد الدكتور يوسف

(١) الشهرستاني، الملل للنحل ١: ٢٢، ط. بيروت، والمعرفة.

(٢) الدكتور اوزك، رأي الشيعة الإمامية الاثني عشرية التفسير: ٨، ٣، ٢.

(٢) الدكتور يوسف شوقي
ياوز ، مناقشة آراء الامامية
وتقييمها حول اصول الدين :
٧ و ٢ .

شوقي «ياوز»^(٢) وكانت الامور التالية اساس ذلك التوهم :

١ - حجية ائوال الاثمة ورواياتهم واحاديثهم بنفسها ، وإن لم تكن منتهية إلى
لرسول الأكرم .

٢ - الاعتقاد بكونهم معصومين من الزلل والخطأ مثل الأنبياء .

٣ - اثبات للمعجزات لهم كما في المصادر الشيعية .

ولما كان هذا التوهم عالقاً بذهن الأستاذين وغيرهما - احياناً - ناقشنا هذا الرأي
بإلقاء موجز ما جاء في هذا المقال ، وكان له التأثير الخاص إلى حد جعل المحاضر الثاني
يعتذر عن رميه الشيعة بالقول بنبوته ائمتهم وعدم ختم بابها ، قائلاً بأنه لم يصدر في
مقاله إلا عن بعض كتب المعتزلة والزيدية وغيرها .

أئمة الشيعة اوصياء الرسول وليسوا بأنبياء

اتفقت الشيعة على أن الأئمة الاثني عشر اوصياء الرسول ، وأنهم
أئمة الامة وأحد الثققلين للذين اوصى بهما رسول الله في غير
موقف من المواقف ، وقال : «إني تارك فيكم الثققلين كتاب الله وعترتي» والحديث
من التواتر بمكان أغنانا عن ذكر مصادره ، ويكفي في ذلك ما نشرته دار
التقريب بين المذاهب الاسلامية في القاهرة في هذا المجال .



إن الشيعة الامامية كسائر المسلمين مؤمنون بعالمية رسالة النبي الاكرم
كما هم مؤمنون بخاتمية رسالته مستدلّين بقوله سبحانه : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا
أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾^(٤) .
وقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٥) إلى غير ذلك من الآيات والاحاديث .

إن خاتمية رسالة النبي الأكرم من الامور الدينية الضرورية تكفل ببيانها
الذكر الحكيم والاحاديث المتضافرة التي بلغت حد التواتر ، منها قوله ﷺ عند
ما خرج إلى غزوة تبوك فقال له عليّ : «أخرج؟» فقال : « لا » فبكى عليّ ، فقال له
رسول الله ﷺ : « أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي
بعدي »^(٦) .

وهذا عليّ أمير المؤمنين أول الأئمة الاثني عشر قال وهو يلي غسل رسول

(٤) الاحزاب : ٤٠ .

(٥) فضلت : ٤١ - ٤٢ .

(٦) امالي الصدوق : ٢٩ ،
ومعاني الاخبار : ٩٤ ، وغيرها
من المصادر الشيعية ، ولاحظ
صحيح البخاري : ٤ : ٢٠٨ ط .
دار الفكر .

الله ﷺ : « بأبي أنت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء » (٧).

وفي كلام آخر له : « أقام رسول الله فخاتم النبيين ليس بعده نبي ولا رسول وختم رسول الله الأنبياء إلى يوم القيامة » (٨).

إن فقهاء الشيعة حكموا بارتداد من أنكر عالمية الرسالة ، أو عدم خاتمتيتها ، ولأجل ذلك فالبابية والبهائية وهكذا القاديانية مرتدون عندهم ارتداداً فطرياً أو ملياً أحياناً ، وهذه كتبهم الفقهية في باب الحدود وأحكام المرتد وغير ذلك .

هذا قليل من كثير اكتفينا به لتبيين عقيدة الشيعة في حق الرسول الأعظم ﷺ ، وأنهم بأجمعهم معتقدون بعالمية رسالة الرسول وخاتمتيتها ، ولم ينحرفوا عن هذا الخط قيد شعرة ، ويظهر ذلك من المرور على الكتب الاعتقادية المدونة من بداية القرن الثالث الهجري إلى عصرنا هذا ، فقد أَلْفُوا مئات الكتب والرسائل ، بل الموسوعات الكبيرة حول العقائدية الإسلامية وهي بين مخطوطة ومطبوعة منتشرة في العالم ، وهذه كتبهم ومكتباتهم وجامعاتهم العلمية وخطبائهم ومنشوراتهم الرسمية فلا تجد فيها كلمة تشير إلى نبوة غير النبي الأكرم ﷺ أو نزول الوحي على غيره ، فلا محيص عن القول بأن هذه النظرية الخاطئة استنبطها الاستاذان من خلال أمور لا دلالة لها على ما يرتئيانه ، ولا بأس بالإشارة إلى بعض هذه الأمور التي وقعت سبباً لهذا الوهم ، وقد ألمح إليها الدكتور يوسف شوقي في الصفحة السابعة من مقاله ، وهي لا تتجاوز أموراً ثلاثة :

١ - حجة أحاديثهم وأفعالهم .

٢ - القول بعصمتهم من الإثم والخطأ .

٣ - نسبة الكرامات إليهم .

واليك تحليل هذه الأمور :

الأول : الشيعة وحجة اقوال العترة الطاهرة

يقال : إن الشيعة يتعاملون مع احاديث العترة كالتعامل مع احاديث

(٧) نهج البلاغة ، الخطبة

١٢٩ .

(٨) نهج البلاغة ، الخطبة

٢٣٠ ، ومجالس المفيد : ٥٢٧ ،

وبحار الأنوار : ٢٢ : ٥٢٧ .

ونكتفي في هذه العجالة بهذا

المقدار من النصوص ، ومن

أراد أن يوقف على نصوص

الأئمة الاثني عشر عليهم السلام في

مسألة ختم النبوة وانقطاع

الوحي وسد باب التشريع بعد

رحلة الرسول ﷺ فعليه

الرجوع الى الجزء الثالث من

كتاب (مفاهيم القرآن) .

النبي الاكرم ﷺ ، فكيف تكون أحاديثهم حجة لولا كونهم انبياء أو طرفاً للوحي؟

الجواب : إن الشيعة الامامية تأخذ باقوالهم للامور التالية :

أ- أن النبي الاكرم ﷺ هو الذي أمر المسلمين قاطبة بالأخذ باقوال العترة حيث قال : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ...» (٩) فالتمسك بأحاديثهم واقوالهم امتثال لقول الرسول الاكرم ﷺ ، وهو لا يصدر إلا عن الحق ، فمن أخذ بالثقلين فقد تمسك بما ينقذه من الضلالة ، ومن أخذ بواحد منهما فقد خالف الرسول .

ب- أن الرسول الاكرم ﷺ قد أمر الامة بالصلاة على آل محمد في الفرائض والنوافل ، والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يذكرون العترة بعد النبي الاكرم ﷺ في تشهدهم ويصلون عليهم بمثل الصلاة عليه ، والفقهاء وإن اختلفوا في صيغة التشهد لا يختلفون في لزوم الصلاة على النبي وآله . وفيها يقول الإمام الشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله كفاكم من عظيم الشأن أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له فإذا لم يكن للعترة شأن ومقام في مجال هداية الامة ولزوم الاقتفاء بهم ، فما معنى جعل الصلوات عليهم فريضة في التشهد وتكرارها في جميع الصلوات ليلاً ونهاراً ، فريضة وناقلة .

وهذا يعرب عن سر نقف عليه من خلال أمر النبي الاكرم ﷺ في هذا المجال ؛ وهو أن لآل محمد شأنًا خاصاً في الامور الدينية والقيادة الاسلامية ، أظهرها أن اقوالهم وآراءهم حجة على المسلمين ، وأن لهم المرجعية الكبرى بعد رحلة الرسول ﷺ ، سواء أكانت في مجال العقيدة والشرعية أم في مجال آخر .

ج- أن النبي الاكرم ﷺ شبه العترة الطاهرة بسفينة نوح ، وأنه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق (١٠) وهو يدل على حجية اقوالهم وافعالهم . إلى غير ذلك من الوصايا الواردة في حق العترة التي نقلها اصحاب

(٩) ربما يُروى عنه ﷺ : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي ، ولا تعارض بين الخبرين ، غير أن الأول متواتر دون الثاني ، والأول مسند والثاني مرسل نقله الإمام مالك في موطنه ، وابن هو من حديث العترة الذي اطبق المحدثون على نقله . والتفصيل موكول إلى محله .

(١٠) الحاكم ، المستدرک ٢ :

١٥١ ، والسيوطي ، الخصائص الكبرى ٢ : ٢٦٦ ،

وابن حجر ، الصواعق : ١٩١ ،

الباب ١٢ .

الصالح والمسانيد ومن أراد فليرجع إلى مصادرها.

فالمسلم المؤمن بصحة هذه الوصايا لا يشك في حجة اقوال العترة سواء أعلم مصدر علومهم أم لم يعلم . قال سبحانه : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴾ (١٧) .

(١١) الاحزاب : ٣٦ .

ومع ذلك كله نحن نشير إلى بعض مصادر علومهم حتى يتضح أن حجة اقوالهم لا تدلّ على أنهم أنبياء أو فوض اليهم أمر التشريع .

١ - السماع عن رسول الله

إن الأئمة يروون أحاديث رسول الله ﷺ سماعاً منه ﷺ ، إما بلا واسطة أو بواسطة آبائهم ، ولأجل ذلك ترى في كثير من الروايات أن الامام الصادق عليه السلام يقول : « حدثني أبي ، عن أبيه ، عن زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن علي أمير المؤمنين عن الرسول الاكرم » وهذا النمط في الروايات كثير في أحاديثهم ، وقد تضافر عن الامام الصادق عليه السلام أنه كان يقول : « حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي » (١٢) ، فعن هذا الطريق تحفّلوا أحاديث كثيرة عن الرسول الاكرم وبلغوها ، من دون أن يعتمدوا على الأخبار والرهبان ، أو على أناس مجاهيل ، أو شخصيات متسترة بالاسلام . وهذا النوع من الأحاديث ليس بقليل .

(١٢) البحار ٢ : ١٧٨ .

٢ - كتاب علي عليه السلام

ويرجع قسم آخر من أحاديثهم إلى ما أخذوه عن كتاب الامام أمير المؤمنين بإملاء رسول الله ﷺ وخط علي ، وقد اشار اصحاب الصحاح والاسانيد إلى بعض هذه الكتب (١٣) .

(١٣) مسند الامام احمد ١ :

٨١ ، وصحيح مسلم ٤ : ٢١٧ ،

والبيهقي ، السنن الكبرى ٨ :

٢٦ ، نقلاً عن الامام الشافعي .

قد كان لعلي عليه السلام كتاب خاص بإملاء رسول الله ، وقد حفظته العترة الطاهرة وصدرت عنه في مواضع كثيرة ونقلت نصوصه في موضوعات مختلفة ؛ وقد بثّ الحرّ العاملي في موسوعته الحديثية أحاديث ذلك الكتاب حسب الكتب الفقهية من الطهارة إلى الديات . ومن أراد فليرجع إلى تلك الموسوعة .

قال الامام الصادق عليه السلام عندما سُئِلَ عن الجامعة : « فيها كل ما يحتاج الناس اليه وليس من قضية إلا فيها حتى ارش الخدش » .

وكان كتاب علي مصدراً لأحاديث العترة الطاهرة ، يرثونه واحداً بعد آخر وينقلون عنه ويستدلون به على السائلين .

وهذا هو أبو جعفر الباقر عليه السلام يقول لأحد اصحابه أعني حمران بن أعين وهو يشير إلى بيت كبير : « يا حمران إن في هذا البيت صحيفة طولها سبعون ذراعاً بخط علي وإملاء رسول الله ، لو ولينا الناس لحكمتنا بما أنزل الله لم نعد ما في هذه الصحيفة » .

وهذا هو الامام الصادق عليه السلام يعرّف كتاب علي عليه السلام بقوله : « فهو كتاب طولها سبعون ذراعاً إملاء رسول الله من فُلق فيه وخط علي بن أبي طالب بيده . والله فيه جميع ما تحتاج اليه الناس إلى يوم القيامة ، حتى إن فيه ارش الخدش والجلدة ونصف الجلدة » .

ويقول سليمان بن خالد : « سمعت أبا عبد الله يقول : إن عندنا لصحيفة طولها سبعون ذراعاً إملاء رسول الله وخط علي بيده . ما من حلال وحرام إلا وهو فيها حتى ارش الخدش » .

ويقول أبو جعفر الباقر لبعض اصحابه : « يا جابر إنا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ، ولكننا نحدثكم بأحاديث نكتزها عن رسول الله » (١٤) .

٣- الاستنباط من الكتاب والسنة

المصدر الثالث لاقوالهم هو امعانهم في الكتاب والسنة وتدبرهم فيهما ، فاستخرجوا من المصدرين الرئيسيين ما يرجع إلى العقيدة والشريعة بما يقصر عنه اكثر الافهام ، وهذا هو الذي جعلهم متميزين بين المسلمين بالوعي والدقة والفهم ، وخضعت لهم ائمة الفقه في مواقف شتى ، حتى قال ابو حنيفة بعد تتلمذه على الامام الصادق عليه السلام سنتين «لولا السنتان لهلك النعمان» ولأجل ذلك كانوا يستدلون على كثير من الاحكام عن طريق الكتاب والسنة ويقولون : « ما من شيء إلا وله اصل في كتاب الله وسنة نبيه » .

(١٤) وقد جمع العلامة المجلسي ما ورد من الاثر حول كتب الامام علي في موسوعته بحار الانوار ٢٦ : ١٨ - ٦٦ ، تحت عنوان « باب جهات علومهم وما عندهم من الكتب » فلاحظ الأحاديث ١ و ١٠ و ٣٠ من ذلك الباب .

أخرج الكليني بإسناده عن عمر بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال : «سمعتة يقول: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله ، وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه ، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً».

وأخرج أيضاً بإسناده عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «سمعتة يقول: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة» .

وأخرج أيضاً عن سماعة عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : «قلت له : أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ، أو تقولون فيه ؟ قال : بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه» (١٥) .

ومن وقف على الأحاديث المروية عنهم عليهم السلام يقف على أنهم كيف يستدلون على الأحكام الالهية من المصدرين بفهم خاص ووعي متميز يبهر العقول ويورث الحيرة ؛ ولولا الخوف من الاطالة لنقلت في المقام نماذج من ذلك . ونكتفي ببيان موردين :

أ - قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة فأراد أن يقيم عليه الحد فأسلم ، فقال يحيى بن أكنم : «الايان يحو ما قبله» ، وقال بعضهم : «يُضرب ثلاثة حدود» ، فكتب المتوكل إلى الامام الهادي عليه السلام يسأله ، فلما قرأ الكتاب كتب «يُضرب حتى يموت» فأنكر الفقهاء ذلك ، فكتب اليه يسأله عن العلة ، فكتب : «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ ﴾» (١٦) ، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات (١٧) .

إن الامام الهادي ببيانه هذا شق طريقاً خاصاً لاستنباط الاحكام من الذكر الحكيم ، طريقاً لم يكن فقهاء عصره ليخطر لهم على بال ، وكانوا يزعمون أن مصادر الاحكام الشرعية هي الآيات الواضحة في مجال الفقه التي لا تتجاوز ثلثمائة آية ، وبذلك أبان للقرآن وجهاً خاصاً لدلالته لا يلتفت اليه إلا من نزل القرآن في بيته ، وليس هذا الحديث غريباً في مورده ، بل له نظائر في كلمات الامام وغيره من آبائه وأبنائه عليهم السلام .

(١٥) راجع الكافي «باب الرد إلى الكتاب والسنة» ١ : ٥٩ - ٦٢ ، تجد فيه احاديث تصرح بما ذكر ، والمراد منها اصول الاحكام وجذورها لا فروعها وجزئياتها .

(١٦) غافر : ٨٤ - ٨٥ .

(١٧) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ٤ : ٤٠٥ .

ب - لما سُمَّ المتوكل نذر لله إن رزقه الله العافية أن يتصدق بمال كثير، أو بدراهم كثيرة ، فلما عُوِفِيَ اختلف الفقهاء في مفهوم «المال الكثير» ، فلم يجد المتوكل عندهم فرجاً ، فبعث إلى الامام علي الهادي عليه السلام فسأله ، قال : «يتصدق بثلاثة وثمانين ديناراً»، فقال المتوكل : «من أين لك هذا ؟ قال : من قوله تعالى ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾»^(١٨) والمواطن الكثيرة هي هذه الجملة ، وذلك لأن النبي ﷺ غزا سبعاً وعشرين غزوة ، وبعث خمساً وخمسين سرية ، وآخر غزواته يوم حنين» ، فعجب المتوكل والفقهاء من هذا الجواب^(١٩) .

(١٨) التوبة : ٢٥ .

(١٩) سبط ابن الجوزي

تذكرة الخواص : ٢٠٢ .

وقد ورد عن طريق آخر أنه قال : «بثمانين» مكان «ثلاثة وثمانين» وذلك لأن عدد المواطن التي نصر الله المسلمين فيها إلى يوم نزول هذه الآية كان أقل من ثلاثة وثمانين^(٢٠) .

(٢٠) مناقب آل أبي طالب ٤

٤٠٢ .

٤ - الاشراقات الالهية

إن هناك مصدراً رابعاً لأحاديثهم نعبر عنه بالاشراقات الالهية، وأَيّ وازع من أن يخص سبحانه بعض عباد به علوم خاصة يرجع نفعها إلى العامة ، من دون أن يكونوا انبياء أو معدودين من المرسلين ، والله سبحانه يصف صاحب موسى بقوله ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عَيْنِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ ولم يكن الصاحب نبياً بل كان ولياً من اولياء الله سبحانه وتعالى بلغ في العلم والمعرفة مكاناً حتى قال له موسى - وهو نبي مبعوث بشريعة - ﴿هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي بِمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾^(٢١) .

(٢١) الكهف : ٦٥ .

ويصف سبحانه وتعالى جليس سليمان آصف بن برخيا بقوله : ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾^(٢٢) .

(٢٢) النمل : ٤١ .

وهذا الجليس لم يكن نبياً ، ولكن كان عنده علم من الكتاب ، وهو لم يحصله من الطرق العادية المتعارفة في المدارس والجامعات ، بل كان علماً إلهياً أفيض عليه لصفاء قلبه وروحه ، ولأجل ذلك ينسب علمه إلى فضل ربه ويقول : ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ .

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: «قال النبي ﷺ: لقد كان في من كان قبلكم من بني اسرائيل يكلمون من غير أن يكونوا انبياء ، فإن يكن من امتي منهم أحد فعمر» (٢٣).

(٢٣) صحيح البخاري ٢ :

١٩.

قال القسطلاني «ليس قوله : (فإن يكن) للترديد بل للتأكيد ، كقولك : إن يكن لي صديق ففلان ، إذ المراد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الاصدقاء ، وإذا ثبت أن هذا وجد في غير الامة المفضولة فوجوده في هذه الامة الفاضلة أخرى» (٢٤).

(٢٤) ارشاد الساري في شرح

صحيح البخاري ٦ : ٩٩ .

وأخرج البخاري في صحيحه بعد حديث الغار عن أبي هريرة مرفوعاً: «قد كان فيما مضى قبلكم من الامم محدثون. إن كان في امتي هذه منهم فإنه عمر ابن الخطاب» (٢٥).

(٢٥) صحيح البخاري ٣ : ٨٧١ .

قال القسطلاني : «قال المؤلف : يجري على سنتهم الصواب من غير نبوة . وقال الخطابي : يلقي الشيء في روعه ، فكأنه قد حُدَّتْ به يظن فيصيب ، ويخطر الشيء بباله فيكون ، وهي منزلة رفيعة من منازل الاولياء» (٢٦) .

(٢٦) ارشاد الساري في شرح

صحيح البخاري ٥ : ٤٣١ .

وأخرج مسلم في صحيحه في باب فضائل عمر عن عائشة عن النبي ﷺ : «قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في امتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم» .

ورواه ابن الجوزي في (صفة الصفوة) وقال : حديث متفق عليه (٢٧) . وأخرجه أبو جعفر الطحاوي في (مشكل الآثار) بطرق شتى عن عائشة وأبي هريرة ، وأخرج قراءة ابن عباس «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث» . قال : «معنى قوله محدثون أي ملهمون ، فكان عمر ينطق بما كان ينطق ملهماً» (٢٨) .

(٢٧) صفة الصفوة ١ : ١٠٤ .

(٢٨) مشكل الآثار ٢ : ٢٥٧ .

قال النووي في شرح صحيح مسلم : «اختلف تفسير العلماء للمراد بمحدثون فقال ابن وهب : ملهمون ، وقيل : مصيبون إذا ظنوا ، فكأنهم حُدِّثُوا بشيء فظنوه . وقيل : تكلمهم الملائكة ، وجاء في رواية : مكلمون . وقال البخاري : يجري الصواب على السنتهم وفيه اثبات كرامات الاولياء» .

وقال الحافظ محب الدين الطبري في (الرياض) : «ومعنى محدثون - والله

أعلم - أي يلهمون الصواب ، ويجوز أن يحمل على ظاهره وتحدثهم الملائكة لا بوحى وإنما بما يطلق عليه اسم الحديث ، وتلك فضيلة عظيمة» (٢٩).

(٢٩) الرياض ١ : ١٩٩ .

قال القرطبي : «محدثون بفتح الدال اسم مفعول جمع محدث بالفتح أي ملهم أو صادق الظن ، وهو من ألقى في نفسه شيء على وجه الإلهام والمكاشفة من الملائكة الأعلى ، أو من يجري الصواب على لسانه بلا قصد ، أو تكلمه الملائكة بلا نبوة ، أو من إذا رأى رأياً أو ظن ظناً أصاب كأنه حدث به ، وألقى في روعه من عالم الملكوت فيظهر على نحو ما وقع له ، وهذه كرامة يكرم الله بها من يشاء من عباده ، وهذه منزلة جلية من منازل الأولياء .

(فإن يكن من امتي منهم أحد فإنه عمر) ، كأنه جعله في انقطاع قريته في ذلك كأنه نبي ، فلذلك أتى بلفظ «إن» بصورة الترديد . قال القاضي : ونظير هذا التعليق في الدلالة على التأكيد والاختصاص قولك : إن كان لي صديق فهو زيد ، فإن قائله لا يريد به الشك في صداقته بل المبالغة في أن الصداقة مختصة به لا تتخطاه إلى غيره» (٣٠) .

(٣٠) لاحظ للوقوف على

سائر الكلمات حول المحدث

كتاب الغدير ٥ : ٤٢ - ٤٩ .

فإذا كان في الامم السالفة رجال بهذا القدر والشأن فلماذا لا يكون بين الامة الاسلامية رجال شملتهم العناية الالهية فأحاطوا بالكتاب والسنة إحاطة كاملة يرفعون حاجات الامة في مجال العقيدة والتشريع .

فمن زعم أن مثل هذه الافاضة تساوق النبوة والرسالة فقد خلط الأعم بالأخص ، فالنبوة منصب إلهي يقع طرفاً للوحي يسمع فيه النبي كلام الله تعالى ويرى رسول الوحي ، ويكون إما صاحب شريعة مستقلة أو مروجاً لشريعة من قبله .

وأما الامام فهو الخازن لعلوم النبوة في كل ما تحتاج اليه الامة من دون أن يكون طرفاً للوحي أو سامعاً كلامه سبحانه أو راثياً للملك الحامل له . ولاحاطته بعلوم النبوة طرق اشترنا إليها .

ومن التصور الخاطئ الحكم بأن كل من ألهم من الله سبحانه أو كلمه الملك فهو نبي ورسول ، مع أن الذكر الحكيم يذكر أناساً ألهموا أو رأوا الملك ، ولم يكونوا بالنسبة إلى النبوة في حل ولا مرتحل .

هذه أم موسى يقول في حقها سبحانه : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ
فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنْ
الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣١) .

(٣١) القصص : ٧ .

أفصارت أم موسى بهذا الالهام نبية من الأنبياء ؟
وهذه مريم البتول تكلمها الملائكة من دون أن تكون نبية . قال سبحانه :
﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ *
يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٣٢) .

(٣٢) آل عمران : ٤٢ - ٤٣ .

وبلغت مريم العذراء مكاناً شاهدت فيه رسول ربها المتمثل لها بصورة
البشر . قال سبحانه : ﴿ فَارْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ
بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى
يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ
وَلِنَجْعَلَ لَكِ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ (٣٣) .

(٣٣) مريم : ١٧ - ٢١ .

نرى أن مريم البتول رأت الملك وسمعت كلامه ولم تصر بعد نبية ولا
رسولة ، فمن تدبر في الكتاب والسنة يقف على أبدال شملتهم العناية الالهية ،
فوقفوا على اسرار الشريعة ومكامن الدين بفضل من الله سبحانه من دون أن
يصيروا أنبياء .

الثاني : عصمة الائمة الاثني عشر

إن القول بعصمة الائمة الاثني عشر صار ذريعة لمن تخيلوا أنهم انبياء ،
زاعمين أن العصمة تساوي النبوة ، غافلين عن أنها أعم من النبوة . واليك
البيان .

العصمة قوة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية والخطأ ، حيث لا يترك
واجباً ، ولا يفعل محرماً مع قدرته على الترك والفعل ، وإلا لم يستحق مدحاً ولا
ثواباً . وإن شئت قلت : إن المعصوم قد بلغ في التقوى حداً لا تتغلب عليه
الشهوات والاهواء ، وبلغ من العلم في الشريعة واحكامها مرتبة لا يخطأ معها
أبداً .

وليست العصمة شيئاً ابتدعته الشيعة ، وإنما دلّهم عليها في حقّ العترة الطاهرة كتاب الله وسنة رسوله . أما الكتاب فقد قال فيه سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٢٤) وليس المراد من الرجس إلا الرجس المعنوي وأظهره الفسق .
وأما السنة فنذكر منها :

١ - قال النبي ﷺ : « عليّ مع الحق والحق مع عليّ يدور معه كيفما دار »^(٢٥) ، ومن دار معه الحق كيفما دار لا يمكن أن يعصي أو أن يخطأ .
٢ - وقال ﷺ في حق العترة : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً »^(٢٦) ، فإذا كانت العترة عدل القرآن فإنّ هي معصومة كالكتاب ، لا يخالف أحدهما الآخر .

ولا أظن أحداً يرتاب فيما ذكرنا إلا أنّ اللازم هو التعرف على أهل بيته عن طريق نصوص الرسول الاكرم فنقول : من هم العترة وأهل البيت ؟
لا أظن أحداً قرأ الحديث والتاريخ يشكّ في أن المراد من العترة وأهل البيت لفيف خاص من أهل بيته ، ويكفي في ذلك مراجعة الأحاديث التي جمعها ابن الاثير في جامعته عن الصحاح ، ونكتفي بالقليل من الكثير منها .

روى الترمذي عن سعد بن أبي وقاص قال : « لما نزلت هذه الآية : ﴿ فَفَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ ﴾ الآية ، دعا رسول الله ﷺ عليّاً ، وفاطمة ، وحسناً ، وحسيناً ، فقال : اللهم هؤلاء أهلي » .

وروى أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها ، قالت : « إن هذه الآية نزلت في بيتي : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ وأنا جالسة عند الباب ، فقلت : يا رسول الله ، ألسنت من أهل البيت ؟ فقال : إنك إلى خير ، أنت من أزواج رسول الله . قالت : وفي البيت رسول الله ، وعليّ ، وفاطمة ، وحسن ، وحسين ، فجلّاهم بكسائه وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » .

وروى أيضاً عن انس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يمرُّ بباب فاطمة إذا خرج إلى الصلاة حين نزلت هذه الآية قريباً من ستة أشهر ، يقول : « الصلاة

(٢٥) حديث مستفيض ، رواه الخطيب في تاريخه ١٤ : ٣٢١ ، والهيتمي في مجمع ٧ : ٢٣٦ .

(٢٦) حديث متواتر ، أخرجه مسلم في صحيحه ، والدارمي في فضائل القرآن وأحمد في مسنده ٢ : ١١٤ ، وغيرهم .

أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ .

وروى مسلم: « قال يزيد بن حيان : انطلقت أنا وحصين بن سبرة ، وعمر بن مسلم إلى زيد بن ارقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ، رأيت رسول الله ﷺ ، وسمعت حديثه ، وغزوت معه ، وصليت خلفه . لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً ، رأيت رسول الله ﷺ ، وسمعت حديثه ، ما سمعت من رسول الله ﷺ . قال : يا بن أخي ، والله لقد كبرت سني ، وقدم عهدي ، فما حدثتكم فاقبلوا ، وما لا فلا تكلفوني . ثم قال : قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً ، بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ثم قال : أما بعد ، ألا أيها الناس ، إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به . فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : وأهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي ، اذكركم الله في أهل بيتي .

فقلنا : من أهل بيته ؟ نسأله ؟ قال : وايم الله ، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ، ثم يطلقها ، فترجع إلى أبيها وقومها . أهل بيته أصله وعصبته الذين حُرِّموا الصدقة بعده » (٢٧) .

٣ - روى المحدثون عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال : « إِنَّمَا مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِي أُمَّتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ » (٢٨) .

فشبه صلوات الله عليه وآله أهل بيته بسفينة نوح في أن من لجأ إليهم في الدين فأخذ أصوله وفروعه منهم نجا من عذاب النار ، ومن تخلف عنهم كان كمن أوى يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله ، غير أن ذاك غرق في الماء وهذا في الحميم .

فإذا كانت هذه منزلة أهل البيت فأئى تصرفون ؟

يقول ابن حجر في صواعقه : « وجه تشبيههم بالسفينة أن من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة مشرفهم ، وأخذ بهدي علمائهم نجا من ظلمة المخالفات ، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم ، وهلك في مفاوز الطغيان » (٢٩) .

عصمة الامام في الكتاب :

(٢٧) لاحظ فيما نقلناه من

الاحاديث جامع الاصول ١ :

١٠٠-١٠٣ ، الفصل الثالث من

الباب الرابع .

(٢٨) مستدرک الحاكم ٢ :

١٥١ ، والخصائص الكبرى

للسيوطي ٢ : ٢٦٦ ، وللحديث

طرق ومسانيد كثيرة ، من

اراد الوقوف عليها فليراجع

تماليق إحقاق الحق ٩ : ٢٧٠ -

٢٩٣ .

(٢٩) الصواعق : ١٩١ الباب

١١١

ومما يدلّ على عصمة الامام على وجه الاطلاق قوله سبحانه : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾^(٤٠).

(٤٠) النساء : ٥٩.

والاستدلال مبني على دعامتين :

١ - أن الله سبحانه أمر بطاعة اولي الأمر على وجه الاطلاق ، أي في جميع الأزمنة والأمكنة وفي جميع الحالات والخصوصيات ، ولم يقيد وجوب امتثال أوامرهم ونواهيهم بشيء كما هو مقتضى الآية .

٢ - أن من البديهي أنه سبحانه لا يرضى لعباده الكفر والعصيان ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾^(٤١) . من غير فرق بين أن يقوم به العباد ابتداءً من دون تدخل أمر آمر أو نهى ناهٍ ، أو يقومون به بعد صدور أمر ونهي من اولي الأمر . فمقتضى الجمع بين هذين الامرين ، أعني وجوب إطاعة اولي الأمر على وجه الاطلاق ، وحرمة طاعتهم إذا امروا بالعصيان ، أن يتصف اولوا الأمر الذين وجبت إطاعتهم على وجه الاطلاق ، بخصوصية ذاتية وعناية الهية ربانية ، تصدّهم عن الأمر بالمعصية والنهي عن الطاعة ؛ وليس هذا إلا عبارة اخرى عن كونهم معصومين ، وإلا فلو كانوا غير واقعين تحت العناية ، لما صحّ الأمر بإطاعتهم على وجه الاطلاق ولما صحّ الأمر بالطاعة بلا قيد وشرط ، فيستكشف من اطلاق الأمر بالطاعة اشتمال المتعلّق على خصوصية تصدّه عن الأمر بغير الطاعة .

ومثّن صرح بدلالة الآية على العصمة الرازي في تفسيره ، ويطيب لي أن اذكر نصه حتى يمعن فيه من يعشق الحقيقة . قال : « إن الله تعالى أمر بطاعة اولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ، ومن امر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً عن الخطأ . إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد امر الله بمتابعته ، فيكون ذلك امراً بفعل ذلك الخطأ ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه ، فهذا يقضي إلى اجتماع الامر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد ، وإنه محال ، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة اولي الأمر على سبيل الجزم ، وثبت أن كلّ من امر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ ، فثبت قطعاً أن اولي الأمر

(٤١) الزمر : ٧.

المذكورين في هذه الآية لابد وأن يكونوا معصومين» (٤٢).

الثالث : ظهور الكرامات بأيديهم

إن تاريخ الرجال الصالحين مليء بالكرامات الصادرة عنهم بإذنه سبحانه في مواقف خاصة لغايات دينية ؛ ولا أقول بصحة كل ما ينسب إليهم وإنما يصدق بصورة قضية جزئية ، فلا عجب أن يكون الأئمة الاثنا عشر بل من دونهم مصادر تلك الكرامات لتلك الغايات ، فيجيب سبحانه دعاءهم إذا دعوا ، وهذا هو النبي الاكرم ﷺ ، وقد دعا الوفد النجراني للمباهلة أو دعي هو إليها ، خرج بأناس علم أنه يستجاب دعاؤهم ، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين ، وترك جميع الصحابة وامهات المؤمنين ، فواجه العدو بأفلاك أكباده وأولي أقرب وشائجه ، وهذا يعرب عن أن لفاطمة وبعلمها وبنيتها مكانة مرموقة لا يرد فيها دعاؤهم .

فلا يكون ظهور الكرامات بأيديهم دليلاً على أنهم أنبياء ، وتسميتها معجزة ناشئة من الغفلة عن حد الاعجاز ؛ لأن العمل الخارق للعادة لا يُعدّ معجزة إلا إذا اجتمعت فيه شرائط أربعة منها دعوى النبوة ، والتحتي بها .

وهذه مريم البتول يصفها سبحانه بقوله : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٤٣).

(٤٣) آل عمران : ٣٧ .

أفهل ترى أن مريم صارت بهذه الكرامة نبية أو رسولة؟

حصيلة الكلام أنه من الظلم الواضح رمي الشيعة بأنهم يعتقدون بنبوة أئمتهم ، لأجل العمل بأقوالهم وأحاديثهم ، أو للقول بعصمتهم ، أو لظهور الكرامات على أيديهم .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

بِنَاخَتِ اللَّهِ الَّذِينَ كَانُوا فَتَحَهُ ، وَبِنَا
يُرْفِ اللَّهُ قُلُوبَكُمْ بَعْدَ الْعِدَّةِ وَالْبُضَاءِ .

الأسس المبدئية للوحدة الإسلامية

في مدرسة أهل البيت

عليه السلام

الشيخ الاجتماعي والسياسي الطام

* الشيخ

فؤاد كاظم المقدادي

(العراق)

وينطلق هذا الاساس المبدئي من الآية الكريمة: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١)، وتؤكد آية كريمة أخرى ذات المفهوم فتقول: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٢).



ومن ظاهر الآيتين الكريمتين نجد أن علّة وحدة الأمة الإسلامية هي وحدة الرب والمعبود ، وأن هذه الوحدة لا تتحقق في إطارها الاجتماعي والسياسي إلا إذا تجسّدت هذه العقيدة عبادة لله ، وتقوى على هديه وشريعته التي أرادها حياةً للأمة ، وتوحيداً لها في سيرها الشامل نحو الله تعالى .

ونجد مخطط هذه الوحدة الشاملة لجميع جوانب حياة الأمة وحركتها الإلهية في الجوانب التالية :

١ - وحدة الشعائر الإسلامية :

كالقبلة الواحدة والصلاة والحج وغيرها ؛ ولهذا الجانب أثر كبير في إبراز الصفة القدسية لمظهرية وحدة الأمة من خلال الشعائر الإسلامية الواحدة ، فالقبلة الواحدة ، وهي الكعبة المشرفة ، بيت الله الذي أقام قواعده نبيا الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، بأمر الله ووحيه : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

(٣) البقرة: ١٢٧.

وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴿٣﴾.

والقيمة الرسالية المميّزة لقبلة المسلمين هذه أنها لم تكن قبلتهم بادئ الأمر، إلى أن أمر الله رسوله أن يتحوّل إلى الكعبة المشرفة ويتخذها قبلة خاصة للمسلمين ، فقد روى علي بن إبراهيم بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: «تحوّل القبلة إلى الكعبة بعدما صلّى النبي ﷺ بمكة ثلاث عشرة سنة إلى بيت المقدس، وبعد مهاجرته إلى المدينة صلّى إلى بيت المقدس سبعة أشهر، قال: ثم وجهه الله إلى الكعبة، وذلك أن اليهود كانوا يعيرون رسول الله ﷺ ويقولون له: أنت تابع لنا، تصلي إلى قبلتنا، فاعتم رسول الله من ذلك غمّاً شديداً، وخرج في جوف الليل ينتظر إلى آفاق السماء، ينتظر من الله تعالى في ذلك أمراً، فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم قد صلّى من الظهر ركعتين، فنزل جبرئيل عليه السلام فأخذ بعضديه وحوّله إلى الكعبة، وأنزل عليه: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾. وكان صلّى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة، فقالت اليهود والسفهاء: ﴿ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾» (٤).

(٤) مجمع البحار ١: ٢٢٣.

وبذلك تميّز المسلمون عن اليهود وكانت الكعبة قبلتهم دون سواهم، وخذوا الله باستقبالها في صلاتهم وشعائرهم المتعلقة بها، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إذا استقبل المصلّي القبلة استقبل الرحمن بوجهه لا إله غيره» (٥)، فكانت بحق إحدى عوامل شعورهم بالأمة الواحدة في مبدئها ومسارها وغايتها، وكذلك الأمر في الصلاة، فهي مبدأ بناء أمة التوحيد والعدل، وذلك مفاد قوله تعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء﴾ (٦).

(٦) إبراهيم: ٤٠.

وشأن الصلاة توحيد المسلمين، لكونها رأس الاسلام بعد الإقرار بالدين، فعن رسول الله ﷺ قال: «ليكن ههنا الصلاة، فإنها رأس الاسلام بعد الإقرار بالدين» (٧). ولكونها أيضاً وجه الدين، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لكل شيء وجه، ووجه دينكم الصلاة» (٨). وكونها خير العمل وعمود الدين، فعن رسول الله ﷺ: «الصلاة عمود الدين» (٩). وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أوصيكم

(٧) البحار ٧٧: ١٢٧.

(٨) البحار ٨٢: ٣٦٠.

(٩) كنز العمال ج ١٨٨٨٩.

بالصلاة وحفظها ، فإنها خير العمل ، وهي عمود دينكم» (١٠).

(١٠) البحار ٨٢ : ٢٠٩ .

وعنه عليه السلام أيضاً : « الله الله في الصلاة : فإنها عمود دينكم » (١١) ، ولكون إقامتها إقامة للملة ، بل هي الملة كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : « عباد الله إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله جل ذكره الإيمان بالله وبرسوله وما جاءت به من عند الله وإقامة الصلاة ، فإنها الملة » (١٢) ، وهل أدل من ذلك في شأنية الصلاة على وحدة المسلمين في الدين والملة ؟ خصوصاً إذا تَوَجَّأ أدائها بالجماعة ، ففي ذلك إظهار للحجة ، وإعلان للتوحيد في العبادة ، وبناء لأمة الاسلام الواحدة.

(١١) شرح نهج البلاغة ١٧ : ٥٠ .

(١٢) البحار ٧٧ : ٢٩٠ .

فمن صلاة الجماعة قال الامام الرضا عليه السلام : « إنما جعلت الجماعة لتلا يكون الاخلاص والتوحيد والاسلام والعبادة لله إلا ظاهراً مكتشوفاً مشهوراً ، لأن في إظهاره حجة على أهل الشرق والغرب لله وحده ، وليكون المنافق والمستخف مؤدياً لما أقر به ، يظهر الاسلام والمراقبة ، وليكون شهادات الناس بالاسلام بعضهم لبعض جائزة ممكنة ، مع ما فيه من المساعدة على البر والتقوى ، والزجر عن كثير من معاصي الله عز وجل » (١٣).

(١٣) وسائل الشيعة ٥ : ٣٧٢ .

نقلاً عن العلل وعيون الأخبار .

والحج هو الآخر شعيرة من شعائر الله الكبرى التي تعبر تعبيراً عظيماً عن وحدة المسلمين وتواصلهم وتعارفهم وتناصرهم ، من خلال الاجتماع الهائل للحجاج المسلمين في مكة المكرمة على اختلاف قومياتهم وأوطانهم واجتهاداتهم الاسلامية ، ومن خلال أدائهم الواحد وتناسقهم الفريد في أعمال الحج وشعائره الموحدة ، وجعل الشارع الحج فريضة واجبة على المستطيع ، يبرز أهميته وأثره في تحقيق أهداف الاسلام السياسية والاجتماعية الكبرى ، تصديقاً للآية الكريمة : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ (١٤) ؛ وهي بعد ذلك نداء وأذان للناس المسلمين للاجتماع : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (١٥) ليتداولوا شؤونهم وينظّموا أمرهم ، وليتشاوروا فيما يحقّق وحدتهم وعزّزتهم ، ويقيم دينهم ويدبّل دولتهم ، ويقوي شوكتهم سياسياً واقتصادياً .

(١٤) آل عمران : ٩٧ .

(١٥) الحج : ٢٧ .

كل ذلك يتم في أجواء شعائر الحج الإلهية المقدسة ، وفي إطار المناخ

الروحي لهذه الفريضة العبادية المشهودة ، فعن هشام بن الحكم قال : « سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له : ما العلة التي من أجلها كلف الله العباد الحج والطواف بالبيت ؟ فقال : إن الله خلق الخلق ... وأمرهم بما يكون من أمر الطاعة في الدين ، ومصلحتهم من أمر دنياهم ، فجعل فيه الاجتماع من الشرق والغرب ليتعارفوا ، ولينزع كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد ، ولينتفع بذلك المكاري والجمال ، ولتعرف آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وتعرف أخباره ويذكر ولا ينسى .

ولو كان كل قوم (إنما) يتكلمون على بلادهم وما فيها هلكوا وخربت البلاد، وسقطت الجلب والارياح ، وعميت الاخبار ، ولم تقفوا على ذلك ، فذلك علة الحج » (١٦).

(١٦) وسائل الشيعة ٨ : ٩ .

وفي باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان أنه سمعها من الامام الرضا عليه السلام جاء : « فإن قال [قاتل] : فلم أمر بالحج ؟ قيل : لعله الوفاة إلى الله عز وجل وطلب الزيادة ... مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع في شرق الارض وغربها ... وقضاء حوائج أهل الأطراف في المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها ، مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الأنمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلُوا نَفَرًا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ و﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ » (١٧).

(١٧) عيون اخبار الرضا ٢

وهكذا لو تتبعنا باقي الشعائر الاسلامية لوجدناها طافحة بدلالات التوحيد العقائدي والوحدة الاجتماعية والسياسية بين المسلمين ، مفعمة بروح التواصل والتناصر والتآخي في الله فيما بينهم .

٢٦٦

٢ - وحدة الشأن الاسلامي :

وفي هذا الجانب يظهر أبرز صور التكافل وأقوى الأواصر الأخوية بين أبناء الامة الاسلامية ، وتنشأ منه حالة اجتماعية فريدة ومعبرة عن شوكة المسلمين ومنعتهم ، مما يؤهلهم لتمثل الوحدة السياسية فيما يتعلق بكيانهم الاسلامي الواحد ، ومجمل حركته العامة ، وهو يخوض صراع إثبات الوجود وأصالة البقاء عقائدياً وحضارياً . وبمنظرة فاحصة إلى ما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة نجدها قد حاءت نصاً جلياً في بيان هذا الأصل

الاسلامي الشامخ ، منها الآية الكريمة التي تحكي قوّة الارتباط بين المؤمنين ، وتعبر عنها بالولاية ، حيث تقول : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٨) .

(١٨) التوبة : ٧١ .

ويحدثنا الرسول ﷺ عن وحدة الشأن الاسلامي فيما بين المؤمنين ، وضرورة اهتمام بعضهم بقضايا البعض الآخر وأموره ، تحقيقاً لتلك الوحدة فيقول : « مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ » (١٩) ، ويضيف ﷺ أيضاً مؤكداً أن كل ذلك مرتبط بالله ، رافض للذل ، محقق للعزّة ، مصدّق قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٠) فيقول ﷺ : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْ أُمَّتِي وَهَمَّتْهُ غَيْرُ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ ، وَمَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأُمُورِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ ، وَمِنْ أَقَرِّ بِالذَّلِّ طَائِعاً فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ » (٢١) .

(١٩) الكافي : ٢ : ١٦٣ .

(٢٠) المنافقون : ٨ .

(٢١) البحار : ٧٧ : ١٦٣ ، ح ١٨١ .

ويؤكد حفيده الامام الصادق عليه السلام ذلك بقوله : « مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ » (٢٢) .

(٢٢) الكافي : ٢ : ١٦٤ .

ثم يسلط الرسول ﷺ الضوء على حالة الاهتمام بأُمُور المؤمنين ، ويصفها بأنها حالة تواد وتراحم ، ويعلل ذلك بأن المؤمنين هم كالجسد في ترابطه وإحساسه الواحد ، فيقول : « مَثَلُ الْمُؤْمِنُونَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى بَعْضُهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالسَّهْرِ وَالْحَقَنِ » (٢٣) .

(٢٣) البحار : ٦١ : ١٥٠ .

ويقول الامام الصادق عليه السلام في ذلك أيضاً : « الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ ، إِنْ اشْتَكَى شَيْئاً مِنْهُ وَجَدَ أَلَمَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ جَسَدِهِ ... » (٢٤) .

(٢٤) الكافي : ٢ : ١٦٦ .

ويقول عليه السلام أيضاً : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ بَنُو أَبٍ وَأُمٍّ ، وَإِذَا ضَرَبَ عَلَى الرَّجُلِ مِنْهُمْ عَرَقٌ سَهَرُ لَهُ الْآخَرُونَ » (٢٥) .

(٢٥) البحار : ٧٤ : ٢٦٤ .

إذن فوحدة الشأن الاسلامي أصل وحقيقة مبدئية مقوِّمة للوحدة والاخوة بين المسلمين ، وأساس بناء في قيام الامة الاسلامية الواحدة .

٣- الولاية والتناصر بين المسلمين :

إنَّ أول ما أسَّسه الرسول ﷺ بأمر الله سبحانه في بناء كيان الامة

الاسلامية ، وعمل لتجسيده واقعاً محسوساً هو مبدأ الولاية والتناصر بين المسلمين ، الذي عبّر عنه القرآن الكريم أروع تعبير حين قال : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٦). وبذل الرسول ﷺ الكثير لشدة المسلمين نحو تمثيلهم صورة حاكية معبرة في جميع جوانب الحياة ، سواء في بعدها الفردي أو الاجتماعي والسياسي ، حتى أصبحت السمة البارزة والمميّزة لهم ، ولدرجات قربهم إلى الله ورسوله ، وتكشف لنا الآيات القرآنية الكريمة عن هذا المبدأ الأساسي بتفصيل رائع ، حيث يقول تعالى فيها : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَالَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٧).

(٢٦) التوبة : ٧ .

(٢٧) الأنفال : ٧٢ - ٧٥ .

وقد جعل رسول الله ﷺ أمر التناصر بين المسلمين معياراً لانتماء المسلم وارتباطه العضوي بالأمة الاسلامية وكيانها الواحد ، فعن أبي عبد الله عليه السلام أن النبي ﷺ قال : « من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ، ومن يسمع رجلاً ينادي : يا للمسلمين ، فلم يجبه فليس بمسلم » (٢٨).

(٢٨) الكافي ٢ : ١٦٤ .

ثم جعل لدماء المسلمين حرمة أوجب حفظها ، وشرّع القصاص لمن يتجاوز عليها ، بل جعل المسلمين - كل المسلمين - قوة واحدة متكافئة متكافئة في الدفاع عن كل فرد ينتمي مبدئياً إليهم ، فعن الصادق عليه السلام قال : « خطب رسول الله ﷺ بمنى (إلى أن قال) : المسلمون أخوة تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، هم يد على من سواهم » (٢٩).

(٢٩) وسائل الشيعة ٢٩ : ٧٥ .

وعن إبراهيم بن عمر اليماني عنه عليه السلام قال : « حق المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه ، ولا يروى ويعطش أخوه ، ولا يكتسى ويعرى أخوه ، فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم ! » .

وقال عليه السلام : « أَحِبَّ لأخيك المسلم ما تحب لنفسك ، وإذا احتجت فسله ، وإن سألك فأعطه لا تمله خيراً ولا يمله لك . كن له ظهراً فإنه لك ظهر ، إذا غاب فأحفظه في غيبته وإذا شهد فزره وأجله وأكرمه فإنه منك وأنت منه ، فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسأل سميحته ، وإن أصابه خير فاحمد الله وإن ابتلي فاعضده ، وإن تحمل له فأعنه ، وإذا قال الرجل لأخيه : أف انقطع ما بينهما من الولاية ، وإذا قال : أنت عدوي كفر أحدهما ، فإذا اتهمه انماث الايمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء » .

وقال : « بلغني أنه عليه السلام قال : إن المؤمن ليزهر نوره لأهل السماء كما تزهر نجوم السماء لأهل الأرض » .

وقال عليه السلام : « إن المؤمن ولي الله يعينه ويصنع له ولا يقول عليه إلا الحق ولا يخاف غيره » (٣٠) .

(٣٠) الكافي ٢ : ١٧٠ - ١٧١ .

وبذلك تُحكم أركان الولاية والتناصر في الامة الاسلامية ، معبرة عن أفضل وأهم عوامل قيام الوحدة الاجتماعية والسياسية بين ابنائها ، على أسس عقائدية وطريقة عملية تكاملية ، تجسد مبدأ التوحيد في منهجيته لتوحيد الامة وجوداً وحركةً وهدفاً ، ليصدق فيها قول الله عز وجل في كتابه الكريم : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٣١) .

(٣١) آل عمران : ١١٠ .

٤ - التواصي بالحق والتواصي بالصبر :

لا شك أن عظمة هذا المبدأ وقيمه في تكوين عصبه الايمان ، وتقوية شوكة المسلمين ورص صفوفهم ، وخلق المنعة والاقتدار في كيانهم هي العلة في أن يُقسِم الله لأجله في قرآنه الكريم ، وينص فيه على أن النجاة من الخسران المبين ، والفوز بمراتب التسليم له سبحانه رهين بالتزامهم به محتوي ومنهجاً في حياتهم الاجتماعية والسياسية ، حيث يقول عز من قائل :

(٣٢) العصر: ١-٣.

﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٣٢).

إن التواصي بالحق والتواصي بالصبر على حمله والعمل به يوجب تحقق رتب للمؤمن تترتب علاقته بالحق على ضوئها كالآتي :

أ - أولى هذه الرتب هي معرفة الحق ، وقد حدد الاسلام طريقة معرفته ، وحصرها بما جاء به الرسول ﷺ من عند الله قرآنًا ، إرشادًا ، وسنة للعقول ، وتشريعًا للحياة ، حيث خاطب الله رسوله ﷺ في محكم كتابه الكريم قائلاً: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (٣٣) ، وجعل معيار الايمان وميزانه معرفة

(٣٣) البقرة: ١١٩.

الحق من الله عز وجل عن طريق رسوله الكريم ﷺ حيث قال : ﴿... فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (٣٤) ، ورفض المنهج الأرضي الذي يقرر أن معرفة الحق بالرجال ، وأثبت العكس في أن معرفة الرجال تكون بالحق ليس إلا ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : «إن دين الله لا يُعرف بالرجال ، بل بآية الحق ، فاعرف الحق تعرف أهله» (٣٥) وقال عليه السلام أيضاً «إن الحق والباطل لا يعرفان بأقدار الرجال. اعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف أهله» (٣٦).

(٣٥) أمالي المفيد: ٥.

(٣٦) ميزان الحكمة ٢: ٤٧٣.

نقلًا عن كتاب علي وبنوه.

وقد رسم الامام الصادق عليه السلام منهج معرفة الحق ، وردع عن سواه فقال : «مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ بِالرِّجَالِ أَخْرَجَهُ مِنْهُ الرِّجَالُ كَمَا أُدْخِلُوهُ فِيهِ ، وَمَنْ دَخَلَ فِيهِ بِالْكِتَابِ وَالسَّنةِ زَالَتْ الْجِبَالُ قَبْلَ أَنْ يَزُولَ» (٣٧) ، كما حث الاسلام على طلب الحق مهما كانت الموانع والعقبات ، حيث لا يكون من أهل الحق إلا مَنْ وجده وسلّم له وعمل به ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : «خُصَّ الْغِمَرَاتُ إِلَى الْحَقِّ حَيْثُ كَانَ» (٣٨) ، وقال عليه السلام في ضرورة لزوم الحق عند معرفته ليكون من أهله : «الزَّمِ الْحَقَّ يُنْزِلْكَ مَنَازِلَ أَهْلِ الْحَقِّ يَوْمَ لَا يُقْضَى إِلَّا بِالْحَقِّ» (٣٩).

(٣٧) البحار ٢: ١٠٥.

(٣٨) البحار ٧٧: ٢٠٠.

(٣٩) غرر الحكم: ٤٦٥ ح.

٤٠٨٩.

ب - وثاني هذه الرتب التسليم للحق والعمل به ، وهو أول مصاديق معرفة الحق وآثاره الحقّة.

فقد جاء عن رسول الله ﷺ قوله : «السَّابِقُونَ إِلَى ظِلِّ الْعَرْشِ طَوِيلٌ لِهِمْ ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ هُمْ ؟ فَقَالَ : الَّذِينَ يَقْبَلُونَ الْحَقَّ إِذَا سَمِعُوهُ وَيَبْذُلُونَهُ إِذَا سُئِلُوهُ وَيَحْكُمُونَ لِلنَّاسِ كَحُكْمِهِمْ لَأَنْفُسِهِمْ» (٤٠).

(٤٠) غرر الحكم ٢: ٤٧١، ح ٤١٢١.

وقد تألق أمير المؤمنين في وصف هذه الرتبة ، فقال ببلاغته الفريدة وفصاحته السديدة : « ألا وإن الحق مطايا ذلل ، ركبها أهلها وأعطوا أزمتها ، فسارت بهم الهويينى حتى أتت ظلاً ظليلاً »^(٤١) ، وعن الامام الصادق عليه السلام قال : « العز أن تذل للحق إذا ألزمتك »^(٤٢) ، وفي العمل بالحق قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إن أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه وكرهه * من الباطل وإن جر فائدة وزاده »^(٤٣) .

وفي بيان الثمار الوفيرة والآثار العظيمة للتسليم للحق والعمل به يقول الامام الصادق عليه السلام : « إن الله إذا أراد بعبيد خيراً شرح صدره للإسلام ، فإذا أعطاه ذلك أنطق الله لسانه بالحق فعمل به ، فإذا جمع الله له ذلك تم له إسلامه ... وإذا لم يُريد الله بعبيد خيراً وكله إلى نفسه ، وكان صدره ضيقاً حرجاً ، فإن جرى على لسانه حق لم يعقد قلبه عليه ، وإذا لم يعقد قلبه عليه لم يُعطه الله العمل به ... »^(٤٤) .

ج - وثالث الرتب الصبر على الحق ، لأن الحق ثقيل مبدأ يحمله الانسان المؤمن والجماعة المؤمنة ، ومنهج حياة وعمل وجهاد يتتبعه العاملون في طريق الله ، ويقارعون به الجبت والطاغوت من أعداء الله والمستكبرين في الأرض ، وقد نزلت في بيان شدة الحق وثقله على الانسان آيات كريمة منها قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾^(٤٥) ، وتكرر في أكثر من آية قوله تعالى : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾^(٤٦) .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك ، وفي أن العاقبة في الصبر على الحق قال : « الحق ثقيل ، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة ، فصبروا نفوسهم ، ووثقوا بصدق موعود الله لمن صبر واحتسب ، فكن منهم واستغن بالله »^(٤٧) ، وقال عليه السلام أيضاً : « لا يصبر للحق إلا من يعرف فضله »^(٤٨) ، وقال عليه السلام أيضاً : « اصبر على مرارة الحق ، وإياك أن تنخدع لحلاوة الباطل »^(٤٩) ، وعن الامام الباقر عليه السلام قال : « لما حضرت أبي علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضقتني إلى صدره ثم قال : أي بني ، أوصيك بما أوصاني أبي حين حضرته الوفاة ، وبما ذكر أن آياه عليه السلام أوصاه به : أي بني ، اصبر على الحق وإن كان مرأً »^(٥٠) . وعن الامام الصادق عليه السلام قال : « ... اصبر على الحق فإنه لم يصبر أحد قط لحق إلا عوضه الله ما هو خير له »^(٥١) .

(٤١) نهج السعادة ٣ : ٢٩٤ .

(٤٢) البحار ٧٨ : ٢٢٩ .

(*) كره الأمر : ساءه واشتد عليه . وبلغ منه المشقة / راجع

لسان العرب ، مادة «كره» .

(٤٣) البحار ٧٠ : ١٠٧ .

(٤٤) البحار ٧٨ : ٢٢٤ .

(٤٥) الشورى : ٢٤ .

(٤٦) المؤمنون : ٧٠ .

والزخرف : ٧٨ .

(٤٧) البحار ٧٧ : ٢٥٨ .

(٤٨) غرر الحكم ٢ : ٣٥٨ .

(٤٩) غرر الحكم ٢ : ٤٦٨ ، ح

٤١٥ .

(٥٠) البحار ٧٠ : ١٨٤ .

(٥١) البحار ٧٠ : ١٠٧ .

د - ورابع الرتب إعلان الحق والدعوة له تخلفاً بأخلاق الله في ذلك حيث يقول عز من قائل في كتابه الكريم : ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (٥٢) ، وهذه الرتبة هي اعلى الرتب وأسمائها لما فيها من إقامة الحق وإرساء قواعده في الامة ، وردع الباطل وأهله ومواجهة الجور وسلطينه . وقد تواصلت آيات القرآن الكريم يؤكد بعضها الآخر على ضرورة اضطلاع الامة المؤمنة بمهمة بيان الحق والدعوة إليه ، منها قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْبُدُونَ ﴾ (٥٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهُودُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْبُدُونَ ﴾ (٥٤) ، كما أن هذه المهمة تعتبر من محصات الايمان ومحكات اختباره ، لا يفرق فيها من يتحملها بين أن تكون له وللأقربين منه أو عليه وعليهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (٥٥) ، كما لا يفرق فيها بين رضا أو غضب ، فعن رسول الله ﷺ قال : « ما أنفق مؤمن نفقة هي أحب إلى الله عز وجل من قول الحق في الرضا والغضب » (٥٦) وعن أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه الحسين عليه السلام قال : « يا بني ، أوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر ، وكلمة الحق في الرضا والغضب » (٥٧) .

(٥٢) الاحزاب : ٤ .

(٥٣) الانعام : ١٥٩ .

(٥٤) الانعام : ١٨١ .

(٥٥) النساء : ١٣٥ .

(٥٦) البحار : ٧١ : ٣٥٨ .

(٥٧) البحار : ٧٧ : ٢٣٦ .

بل إن مهمة اعلان كلمة الحق والصدع بها هي من أفضل الجهاد عند الله ، فعن رسول الله ﷺ قال : « ألا لا يمنعن رجلاً مهاجرة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه . ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (٥٨) ، وعن حفيده الامام الصادق عليه السلام قال : « كان أبي يقول : قم بالحق ولا تعرض لما نابك » (٥٩) .

(٥٨) كنز الفوائد ح ٤٣٥٨٨ .

(٥٩) البحار : ٧٤ : ١٩٦٦ .

وهكذا فلو ترقّت الامة وتسامت في رتب التواصي بالحق والتواصي بالصبر هذه تكامل بناؤها ، ورُصّت صفوفها ، واشتد عودها ، ولأصبحت امة الحق والعدل ، يتوحد فيها هدفها ومسارها ومصيرها ولتستتم بذلك رتبة الشهادة على الناس أمماً وشعوباً بعد الله ورسوله ، ليصدق بحقها قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (٦٠) . ولا يتم ذلك جزافاً ، بل لابد من الجهاد في الله حق الجهاد ،

(٦٠) البقرة : ١٤٣ .

والاعتصام به سبحانه في هذا السبيل لنيل هذه الرتبة السامية والشرف العظيم : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ (٦١).

(٦١) الحج : ٧٨ .

وقد بيّن الله سبحانه أنّ كل ما يصيب الامة الراشدة من قرح وفتن فهو سنة قائمة في الناس لا تختص بالمؤمنين منهم، فيجب أن لا تنبيههم عن تنكّب طريق الحق والعدل والوصول إلى رتبة الشهادة الكبرى: ﴿ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٦٢).

(٦٢) آل عمران : ١٤٠ .

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إنّ هذه الوظيفة الالهية والمبدأ الاسلامي ذات مفادٍ شامل لكل أبعاد الحياة الفكرية والعملية ، وتكاد تنحصر ثمارها بممارستها على صعيد الامة خصوصاً ، حيث لا نجد آية كريمة في القرآن الكريم لا يكون فيها خطاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبطاً بالمؤمنين ، بوصفهم أمة واحدة وجماعة متحدة يوالي بعضهم البعض الآخر ، كما نجد أن طبيعة الارتباط بين وحدة الامة الاسلامية ، بما تتحلّى به من إيمان وخير ورشاد ، وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارتباط الموصوف بصفته والمعلول بعلته ، فقد جعل الله سبحانه وتعالى الامة الاسلامية خير الأمم التي أخرجت للناس ، بوصفها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٦٣) ، كما أن ارادة الله سبحانه وتعالى شاءت أن تكون سنة التمكين في الأرض للامة المؤمنة معللة لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَخَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٦٤) ، وهكذا الأمر في غيرها من الآيات الكريمة وما جاء في

(٦٣) آل عمران : ١١٠ .

(٦٤) الحج : ٤١ .

السنة الشريفة.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تزال امتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وتعاونوا على البر ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعنا منهم البركات وسلط بعضهم على بعض ، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء » (٦٥).

وللإحاطة بهذا المبدأ الاسلامي المهم ، ودوره الخطير في بناء وتوحيد الأمة الاسلامية ، نعرض له باختصار في ثلاثة جوانب أساسية :

(٦٥) وسائل الشيعة ١١ : ٣٩٨

(٦٦) البحار ١٠٠ : ٧٥.

أولاً: أهلية الأمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فلو لم تكن الأمة مؤهلة للقيام بهذه الوظيفة الإلهية الخطيرة ، فإنها ستفقد أهم عامل من عوامل قوة شوكتها ودوام وحدتها ، ذلك أن الامام الباقر عليه السلام قال : « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله عز وجل فمن نصرهما أعزه الله ومن خذلها خذله الله » (٦٦).

وأهلية الأمة هنا تعني توفرها على خصائص معينة بما هي أمة ، وهذه الخصائص هي :

أ - الايمان بالله ورسوله والتسليم والطاعة لهما ، وهذه الصفة هي المنبع الأول والأساسي لمعرفة كل معروف يراد الأمر به ، ومعرفة كل منكر يراد النهي عنه ، والاستقامة في أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحقيق ثماره في الأمة : ﴿ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٦٧) ، ولذا نجد أن الله سبحانه قد جعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سياق الايمان بالله واليوم الآخر ، ليحقق في القائمين به أنهم من الصالحين : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٦٨) . وفي آية أخرى جعل الله سبحانه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في سياق الايمان بالرسول واتباعه واتباع النور الذي أنزل معه ، وبذلك يصدق وصف الله لهم بالمفلحين :

(٦٧) النحل : ٨٩.

(٦٨) آل عمران : ١١٣ - ١١٤.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ قَالُوا آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٦٩).

(٦٩) الأعراف: ١٥٧.

وفي ضرورة احاطة من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بأحكام الاسلام ، وعلمه بتفصيلاتها واستقامته عليها وحكمته في أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقول الامام الصادق عليه السلام : « إنما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال : عالم بما يأمر عالم بما ينهى ، عادل فيما يأمر عادل فيما ينهى ، رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى » (٧٠) ، وقال عليه السلام عندما سُئل عنهما : « إنما هو على القوى المطاع العالم بالمعروف من المنكر ، لا على الضعفة الذين لا يهتدون سبيلاً إلى أي من أي . يقول : إلى الحق أم إلى الباطل ، والدليل على ذلك من كتاب الله قول الله عز وجل ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾... » (٧١).

ب - الولاية فيما بين أبناء الأمة المؤمنة ، فلو لم يكن بين أبناء الأمة الواحدة موالاة الايمان لكان ثلماً في طاعتهم لله ورسوله ، ومن ثم تخلفاً في اقامتهم للدين ، وقوامه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو ظاهر تفريع الله سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله على الولاية فيما بين المؤمنين والمؤمنات في قوله عز من قائل : ﴿ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧٢).

(٧٢) التوبة: ٧١.

وقد جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يؤكد أن أهم عوامل الولاية بين المؤمنين والمؤمنات هو الأمر بالمعروف ، حيث قال : « من أمر بالمعروف شدد ظهور المؤمنين » (٧٣) ، وقال عليه السلام أيضاً : « الأمر بالمعروف أفضل أعمال الخلق » (٧٤) ، أما ضعف الايمان الذي يبغضه الله سبحانه ، وهو أخطر الوهن في الفرد المؤمن والأمة المؤمنة ، فهو لازم لعدم النهي عن المنكر ، وهو قول رسول

(٧٣) نهج البلاغة، الحكمة

٣١

(٧٤) غرر الحكم:

ج ١٢٣٩٤

الله ﷺ: «إن الله ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل: وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهي عن المنكر» (٧٥).

(٧) وسائل الشيعة ١١: ٣٩٩.

ج - الخلافة لله ولرسوله في الأرض ، التي يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم مستلزماتهما واجباتها ؛ لقوله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٧٦) ، وقال الامام الباقر عليه السلام «إن الله جعل للمعروف أهلاً من خلقه حبيب اليهم فعالة ، ووجه لطلاب المعروف الطلب اليهم ويسر لهم قضاءه ، كما يسر الغيث للأرض المجربة» (٧٧) . والخلافة عهد وبيعة بايع بها المؤمنون ربهم الله ورسوله على حمل الأمانة الالهية وأدائها في الأرض ، وإقامة الدين وإعلاء كلمته ، وإن من أهم مقوماتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْفُ الْعَظِيمُ * الثَّانِيُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧٨).

(٧) الحج: ٤١.

(٧) الكافي ٤: ٢٥.

(٧) التوبة: ١١١ - ١١٢.

والخلافة هنا خلافة الامة المؤمنة الواحدة التي يسعى لتحقيقها الرسل وأتباعهم من المؤمنين الصالحين ، فهي خلافة الدين ورسالته في الأرض التي وعدها الله عباده الصالحين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٧٩) ، وقال الرسول ﷺ : « من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الأرض ، وخليفة كتابه ، وخليفة رسوله » (٨٠).

(٧) النور: ٥٥.

(٧) كنز العمال، ج ٥٥٦٤.

ثانياً: دوائر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاث دوائر هي :

أ - الدائرة الاولى هي دائرة الامة داخلياً ، سواء أكان الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر على صعيد فردي فيها ، أو على صعيد جماعي ، كما لو استشرت حالة المنكرات والإعراض عن المعروف استشارة اجتماعياً عاماً ، أو كانت هناك منظمات خاصة تقبع وراء انتشار المنكرات والإعراض عن المعروف بشكل مباشر أو غير مباشر ، لذا جعل الاسلام غايته وقوامه في هذه الدائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فعن الرسول ﷺ أنه قال : « لا ينبغي لنفس مؤمنة ترى من يعصي الله فلا تنكر عليه »^(٨١) ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « فرض الله تعالى النهي عن المنكر ردعاً للفسهاء »^(٨٢) ، وعنه عليه السلام أيضاً قال : « غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة الحدود »^(٨٣) ، وقال أيضاً : « قوام الشريعة الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإقامة الحدود »^(٨٤) . كما أن في الأمر بالمعروف تحقيقاً لمصلحة العامة في المجتمع الاسلامي الموحد ، وذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام : « فرض الله تعالى ... الأمر بالمعروف مصلحة للعوام »^(٨٥) .

ب - الدائرة الثانية هي دائرة حكام الجور التي طالما جاهدها المؤمنون المجاهدون في أغلب أدوار المسيرة الاسلامية عبر تاريخها الطويل ؛ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الدائرة من أفضل الجهاد لقول رسول الله ﷺ : « ألا لا يمنعن رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه ، ألا إن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »^(٨٦) .

وقال الامام علي عليه السلام : « ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق ، ولكن يضاعفان الثواب ويعظمان الأجر ، وأفضل منهما كلمة عدل عند امام جائر »^(٨٧) . بل إن البر كله والجهاد في سبيل الله لا يعدلان قيمة ودور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لقول أمير المؤمنين عليه السلام : « ما اعمال البر كلها ، والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفتة في بحر لجي »^(٨٨) ، وما نهضة الامام الحسين عليه السلام وأهل بيته الكرام ، وثورته على يزيد المنحرف الجائر إلا تصديق لهذا الأمر الالهي ، وصدع بكلمة الحق في وجه السلطان الجائر الذي رام حرف الدين ، والاجهاز على أصوله وتعطيل فروعها ومحو صورته الالهية التي جاهد رسول الله ﷺ ، وأهل بيته الطاهرون عليه السلام

(٨١) كنز العمال، ج ٥٦١٤.

(٨٢) البحار، ج ٦: ١١١.

(٨٣) مستدرک الوسائل ٢: ٣٥٩.

(٨٤) غرر الحكم ٢: ٨٠.

(٨٥) البحار، ج ٦: ١١١.

(٨٦) كنز العمال ج ٤٣٥٨٨.

(٨٧) غرر الحكم ٦: ٢٦٢.

(٨٨) شرح نهج البلاغة ١٩: ٣٠٦.

وأصحابه الكرام (رضوان الله تعالى عليهم) لتثبيتها وتوحيد الأمة عليها ، وهو القائل ﷺ في ذلك : «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي» (٨٩).

(٨٩) البحار ٤٤ : ٣٣٩.

ولولا ثورة الامام الحسين ﷺ والمواقف الجهادية المتواصلة لأئمة أهل البيت ﷺ وأتباعهم المخلصين ، لوجدنا أن الأمة الاسلامية الواحدة أمم متعددة بعدد سلاطين الجور والضلال ، ولما حصل هذا الانفصال والتقابل بين الأمة المؤمنة وهؤلاء السلاطين ، ولما جعل منها أمة واحدة في مواجهة ألوان الجاهلية والتجبر والطغيان ، رغم الحدود والموانع المختلفة بين شعوبها وأوطانها .

ج - الدائرة الثالثة هي الدائرة الخارجية التي تدفع فيها الأمة الاسلامية عن نفسها من جهة كل منكر يغزوها من الأمم الضالة ، وكل معروف مزور يفدها من المجتمعات الجاهلية ، وذلك قول الامام الباقر ﷺ : «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء ، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض ، وتأمين المذاهب ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الأرض ، وينتصف من الأعداء ، ويستقيم الأمر ، فأنكروا بقلوبكم ، ولفظوا بألسنتكم ، وصكوا بها جباههم ، ولا تخافوا في الله لومة لائم» (٩٠).

(٩٠) الكافي ٥ : ٥٥ - ٥٦.

ومن جهة أخرى تتحمل الأمة الاسلامية مسؤوليتها الكبرى في دعوة الامم والشعوب الاخرى إلى الاسلام وبيانه لهم عقيدة حق ، ونظام سعادة ، وحضارة كمال للانسان على الأرض لقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (٩١). وقوله تعالى أيضاً ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٩٢). ولكون الأمة الاسلامية تتفرد دون غيرها بأنها خير الأمم ، لشرف انتمائها للاسلام الذي وحدها وميّزها عن الأمم الأخرى ، وعظمة الرسالة التي تحملها للناس : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٩٣).

(٩١) سبأ : ٢٨.

(٩٢) الأنبياء : ١٠٧.

(٩٣) آل عمران : ١١٠.

ثالثاً : أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في بناء الأمة الإسلامية والحفاظ على كيانها الواحد.

إن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آثاراً عظيمة على صعيد بناء الأمة الإسلامية ، والحفاظ على وحدتها قوية شامخة ، ومن أبرزها :

أ - تحقيق الوحدة والتماسك الداخلي على أساس التقوى والعدل ، وامتلاك القدرة على الحد من حالات الطغيان والظلم التي قد تظهر في أوساط الأمة ، سواء أكان على صعيد أفراد أو قوى أو قيام دول وبروز حكام ينزون على السلطة فيها ويجنحون إلى الجور والفساد ، وبعبكسه سوف ينتشر الفساد في أوساطها ، وتذهب ريحها وتتمزق أوصالها ، وتتفرق شيعاً وأحزاباً يلعب بمقدراتها أهل الفجور والفساد ، ويملك المستكبرون أمرها ، ويسومها الطغاة الظلم والجور ، ويجزعها المتجبرون الذل والهوان ، وينهش أطرافها ويستحوذ على ثرواتها العتاة والشذاذ من الأمم الأخرى ، فقد جاء في كتاب الله الحكيم : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (٩٤) .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال : « اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الأخبار إذ يقول : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُم الرِّبَانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِم الْإِثْمَ ﴾ (٩٥) ، وقال : ﴿ لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ - إِلَى قَوْلِهِ - لَيْبَسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٩٦) وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد ، فلا ينهونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا يinalون منهم ، ورهبة مما يحذرون ؛ والله يقول : ﴿ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَخَشَوْنِي ﴾ (٩٧) ، وقال : ﴿ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٩٨) فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه ، لعلمه بأنها إذا أتيت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هيئتها وصعبها ، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام ، مع رد المظالم ، ومخالفة الظالم ، وقسمة الفيء والغنائم ، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها » (٩٩) .

بل تفقد الأمة لطف الله سبحانه باستجابة دعائها للخلاص مما هي فيه من

(٩٤) هود : ١١٦ .

(٩٥) المائدة : ٦٦ .

(٩٦) المائدة : ٨١ .

(٩٧) المائدة : ٤٧ .

(٩٨) التوبة : ٧٢ .

(٩٩) تحف العقول : ٢٣٧ .

بلاء ، إن هي تركت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم تعد إليها ، فعن رسول الله ﷺ قال : « إذا لم يأمرُوا بمعروف ولم ينهوا عن منكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي ، سلط الله عليهم شرارهم ، فيدعو عند ذلك خيارهم فلا يستجاب لهم » (١٠٠) ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « لتأمرن بالمعروف ولتنهن * عن المنكر ، أو ليستعملن عليكم شراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » (١٠١) .

(١٠٠) البحار ١٠٠ : ٧٢ .

(*) هكذا وردت في المصدر ،

وصوابها (ولتنهون) ، وكذا

نبيما يأتي من أحاديث .

(١٠١) الهذيب ٦ : ١٧٦ .

ب - تقوية شوكة الامة الاسلامية أمام الأمم الأخرى ، وظهورها بمظهر القوة الواحدة التي تُرهب أعداء الله والاسلام ، ذلك أن قوة شوكتها امام الاعداء ناشئة من قوة بنائها الداخلي ، وتماسكها الذاتي الذي حصنها من نفوذ قوى الكفر والجاهلية ، وجعلها قوة تُرهب أعداء الله ورسوله ، مضافاً إلى كونها تترصد العدو ، وتحذره بما تملك من الحس بالمنكر فتكره قبل أن ينفذ إلى أوساطها ، والحس بالمعروف فتعلنه وتأمُر به لينشأ منه رأي عام يملك الآفاق والنفوس ، فعن الرسول ﷺ أنه قال : « لا يزال الناس بخير ما أمرُوا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وتعاونوا على البر » (١٠٢) .

(١٠٢) البحار ١٠٠ : ٩٤ .

ثم إن الأمة الاسلامية قد تحمّلت مسؤولية دعوة الناس للدخول في دين الله الحق ، ورفع الحجب التي وضعها المستكبرون والطفغة ليحولوا بين البصائر ورؤية الحق حقاً فيتبع والباطل باطلاً فيجتنب ، والصبر على ما يصيبها من كيد الاعداء وفتنتهم ، فقد جاء على لسان لقمان عليه السلام في القرآن الكريم : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٠٣) ، كما أن النصر الإلهي في تحقيق هذه الأهداف أثر من آثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا الصعيد ، لقول رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس ، إن الله يقول لكم : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألوني فلا اعطيكم وتستنصروني فلا انصرمكم » (١٠٤) ، كما ربط الله تعالى حرمان بركات الوحي ونزع هيبة الاسلام من الأمة ، بتركها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعظيم الدنيا ، فعن رسول الله ﷺ قال : « إذا عظمت أمتي الدنيا نُزعت منها هيبة الاسلام ، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن

(١٠٣) لقمان : ١٧ .

(١٠٤) الترغيب ٣ : ٣٣٣ ، رواه

ن ماجه وابن حبان .

(١٠٥) كنز العمال ح ٦٠٧.

(١٠٦) البحار ١٠٠ : ٩٤.

(٩) والمراد لينقصكم الله في النفوس والأموال، ولم يصبكم بالمصائب العظام فتكونون كالأغصان التي جردت من أوراقها، وعريت من ألحيتها وأليافها فصارت قصباناً مجردة، وعيداناً مفردة.

(١٠٧) البحار ١٠٠ : ٧١.

(١٠٨) كنز العمال ح ٥٥٦٣.

المنكر حرمت بركة الوحي» (١٠٥). وعنه عليه السلام أيضاً : « لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وتعاونوا على البر ، فإذا لم يفعلوا نُزعت عنهم البركات وسلط بعضهم على بعض ، وليس لهم ناصر في الأرض ولا معين » (١٠٦)، كما ربط ذهاب قوة الأمة وفقدان عزتها بتركها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فعن رسول الله ﷺ قال : « لتأمرن بالمعروف ولتنهئن عن المنكر أو ليلحيتم * الله كما لحيت عصاي هذه » (١٠٧) ، وعنه ﷺ أيضاً : « لتأمرن بالمعروف وتنهئن عن المنكر أو ليبعثن الله عليكم العجم فليضربن رقابكم ، وليكونن أشداء لا يفزون » (١٠٨).

٦ - التعاون على البر والتقوى :

البر هو أوسع صور الإحسان وأصدقها ، وما اقترانه بالتقوى في كثير من الآيات الكريمة والروايات الشريفة ، إلا دليل على أن البر يفترق في ديمومته ونموه في الكيف والكم إلى تقوى البار لله تعالى ؛ كما أنهما لا ينهضان ولا يظهران حالة اجتماعية وسلوكاً عاماً لأبناء الأمة ، إلا إذا تناجى المسلمون بهما وتعاونوا عليهما ، والتعاون عليهما عمل جماعي يجب أن يمارس على صعيد الأمة ، لتحقيق بذلك الأخوة بأفضل صورها وأعلى رتبها ، وتكون عاملاً حاسماً في رفع ودفع كل صور الإثم والعدوان والعصيان من واقع الأمة ، وتوحيدها في المبدأ والمسار والمصير ، ورص صفوفها على صراط الله المستقيم وسبيله القويم ، وفي ذلك قال الله تعالى في محكم كتابه المجيد : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (١٠٩) ، وفي آية أخرى قال الله تعالى : ﴿ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١١٠) ، وجاء عن الامام الصادق عليه السلام في وصيته لأحد أصحابه قوله : « من صالح الاعمال البر بالاخوان، والسعي في حوائجهم ، ففي ذلك مرغمة للشيطان ، وتزحزح عن النيران ، ودخول الجنان. أخبر بهذا غرر أصحابك ... هم البررة بالاخوان في العسر واليسر » (١١١).

(١٠٩) المجادلة : ٩.

(١١٠) المائدة : ٢.

(١١١) البحار ٧٤ : ٣١٢.

ويؤكد المضمون المبدئي للبر وارتباطه المعنوي بالتقوى أن علامات وصفات البار هي نفس علامات وصفات التقى ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١١٢) ، كما جاء في الحديث عن الرسول ﷺ في علامات البار قوله : « يحب في الله ، ويبغض في الله ، ويصاحب في الله ، ويفارق في الله ، ويقضب في الله ، ويرضى في الله ، ويعمل لله ، ويطلب اليه ويخشع خائفاً مخوفاً ، طاهراً مخلصاً ، مستحيياً مراقباً ، ويحسن في الله » (١١٣) .

(١١٢) البقرة : ١٨٩ .

(١١٣) تحف العقول : ٢٢ .

وهكذا فإن أمة هذه صفات أبنائها ، والله الواحد الأحد محورها في كل شيء ، هي لا شك أمة التوحيد والوحدة في عقيدتها وحياتها وحركتها . ويؤكد الامام الصادق عليه السلام دور التعاون على البر وأثره في بناء الأمة الصالحة وتوحيدها في الله ، وأنه يُثمر الحب في الله ، والتواصل والتراحم فيما بين أبناء الأمة ، وهذا هو أعلى صور الأخوة والتوحد في الله ومن أجل الله ، وذلك لتفريعه عليه السلام كل ذلك على البر في قوله : « اتقوا الله ، وكونوا إخوة بررة ، متحابين في الله ، متواصلين ، متراحمين » (١١٤) ، وجاء عنه عليه السلام أيضاً : « تواصلوا وتبازوا ، وتراحموا ، وتعاطفوا » (١١٥) ، وجاء عنه عليه السلام أيضاً : « تواصلوا وتبازوا وتراحموا ، وكونوا إخوة بررة كما أمركم الله عز وجل » (١١٦) .

(١١٤) الكافي ٢ : ١٧٥ .

(١١٥) الكافي ٢ : ١٧٥ .

(١١٦) الكافي ٢ : ١٧٥ .

بل إن رسول الله ﷺ يرى أن بذل النفس في سبيل الله من أعلى درجات البر ، فقد قال عليه السلام : « فوق كل ذي برٍ حتى يقتل في سبيل الله فليس فوقه برٌ » (١١٧) . وبذلك يكون التعاون على البر جهاداً يدفع عن الأمة كيد الأعداء ، ويحفظ بيضة الاسلام من الخطر ، وهو عمل أمة متحدة على أسس الايمان والتقوى والبذل والتضحية والصبر في البأساء والضراء وحين البأس ، لقوله عز من قائل في كتابه الكريم : ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١١٨) .

(١١٧) البقر : ٧٤ : ٦١ .

(١١٨) البقرة : ١٧٧ .

٧ - الاستباق إلى فعل الخير وإشاعته :

لقد طُفح القرآن الكريم والسنة الشريفة بالدعوة إلى فعل الخير والاستباق إليه وإشاعته ، فقد قال الامام علي عليه السلام : « عليكم باعمال الخير فبادروها ، ولا يكن غيركم أحق بها منكم » (١١٩) ، وذلك لكونه أعم الاسس الأخلاقية في تكوين الانسان الصالح والأمة الصالحة ، وبناء وحدتها وتطبيق مبدأ الأخوة بين أبنائها ، لاجتماع حقيقة الدين فيه ، لقول أمير المؤمنين عليه السلام فيه : « جماع الخير في الموالاة في الله ، والمعادة في الله ، والبغض في الله ، والمحبة في الله » (١٢٠) . وقال الامام الصادق عليه السلام : « جعل الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا ، وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا » (١٢١) .

(١٢١) مشكاة الانوار : ٢٦٤ .

وقد صرح القرآن الكريم بالسبب الكامن وراء الاختلاف والتفرق وهو اتباع الأهواء ، كما صرح بالعلاج لهذا الداء الوبيل وهو الحكم بما أنزل الله واستباق الخيرات ، فإنها الاساس الأخلاقي الأمثل لتوحيد الأمة ورفع الاختلاف فيما بينها ، ومن آيات ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِيهَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٢٢) .

(١٢٢) المائدة : ٤٨ .

كما جعل الله سبحانه من أبرز أعمال أوليائه - رسلاً وأئمة - فعل الخيرات ، وأنها أحد اركان العبادة له سبحانه وتعالى ، حيث قال في محكم كتابه الكريم : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (١٢٣) .

(١٢٣) الأنبياء : ٧٣ .

ومن أبرز سنن الخير التي تضافي على الأمة الاسلامية روح الأخوة والسلام ، وتخلق فيها أجواء الحب والوئام ، وتميزها عن غيرها من الامم هي سنة إفشاء السلام ، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : « ألا أخبركم بخير أخلاق أهل الدنيا والآخرة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، فقال : إفشاء السلام في العالم » (١٢٤) ، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « سنة الأخيار لين الكلام وإفشاء

(١٢٤) البحار : ٧٦ : ١٢ .

(١٢٥) غرر الحكم.

السلام» (١٢٥).

أما أنه كيف تعرف الخير وأهله فقد ورد وصفهم في حديث المعراج على لسان رب العزة قال : « يا أحمد، إن أهل الخير وأهل الآخرة رقيقة وجوههم كثير حياؤهم ، قليل حمقهم كثير نفعهم ، قليل مكرهم ، الناس منهم في راحة وانفسهم منهم في تعب ، كلامهم موزون ، محاسبين لانفسهم متعبين لها ، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، أعينهم باكية وقلوبهم ذاكرة ، إذا كتب الناس من الغافلين كتبوا من الذاكرين ... ولا يشغلهم عن الله شيء طرفة عين . ولا يريدون كثرة الطعام ولا كثرة الكلام ولا كثرة اللباس . الناس عندهم موتى والله عندهم حي قيوم ... » (١٢٦) .

(١٢٦) البحار ٧٧ : ٢٤ .

وأما أنه كيف تنتمي إلى أهل الخير وأمته وذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام : « ألا وإن الله سبحانه قد جعل للخير أهلاً ، وللحق دعائم ، وللطاعة عصماً ؛ وإن لكم عند كل طاعة عوناً من الله سبحانه يقول على الألسنة ، ويثبت الأفئدة فيه كفاء لمكتفٍ ، وشفاء لمشتفٍ » (١٢٧) ، فقد ورد في معرفة خير الناس أنه : « قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله : ... أحب أن أكون خير الناس ، فقال : خير الناس من ينفع الناس فكن نافعا لهم » (١٢٨) . وقال صلى الله عليه وآله أيضاً : « خير الناس من انتفع به الناس » (١٢٩) ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « خير الناس من نفع الناس » (١٣٠) ، وعنه عليه السلام أيضاً : « خير الناس من تحقل مؤنة الناس » (١٣١) وعن معرفة الخير والشر وأهلها يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « إن الخير والشر لا يُعرفان إلا بالناس ، فإذا أردت أن تعرف الخير فاعمل الخير تعرف أهله ، وإذا أردت أن تعرف الشر فاعمل الشر تعرف أهله » (١٣٢) .

(١٢٧) نهج البلاغة خ ٣١٤ .

(١٢٨) كنز العمال ح ٤٤١٥٥ .

(١٢٩) البحار ٧٥ : ٢٣ .

(١٣٠) غرر الحكم .

(١٣١) غرر الحكم .

(١٣٢) البحار ٧٨ : ٤٦ .

أما خير الأخيار وأفضلهم فقد عرّفه رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله : « خيركم من دعاكم إلى فعل الخير » (١٣٣) ، وقال صلى الله عليه وآله أيضاً : « خير من الخير معطيه » (١٣٤) ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « افعلوا الخير ما استطعتم فخير من الخير فاعله » (١٣٥) ، وعنه أيضاً قال : « فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه » (١٣٦) .

(١٣٣) تنبيه الخواطر : ٣٦٢ .

(١٣٤) البحار ٧٧ : ١٦١ .

(١٣٥) غرر الحكم .

(١٣٦) نهج البلاغة ، الحكمة ٣٢ .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :

إِنَّمَا النَّاسُ بِحَسَبِ مَا عَمِلُوا ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

مقارنات

لتغيير الاجتماعي المنشؤ من نظار واقعة الطف

١

* د. السيد

زهير الاسرجي

(العراق)

ملخص البحث

إن دراسة التغيير الاجتماعي الذي أحدثته واقعة الطف على الأمة الإسلامية بل الإنسانية جميعاً ، إنما هو جزء من دراسة اشمل تتناول الابعاد الاجتماعية لواقعة الطف . فقد افرزت تلك الواقعة اسئلة عديدة بخصوص (الولاية الشرعية) ، و(من الذي يحكم ؟) ، و(الاخلاقية الحربية) ، و(الرأي العام) ، و(التغيير الاجتماعي) . ولا شك أن طبيعة تشكيل الواقعة العظيمة يدعونا للاعتقاد بأنها إنما صممت من اجل احداث اقصى قدر ممكن من التغيير الاجتماعي في المجتمع الانساني أمدأ غير منظور ، لأن القوى السياسية المضادة للتغيير الديني ، حاولت - بعد وفاة رسول الله ﷺ - تحريف السنة النبوية بما يخدم اغراضها السياسية ، فكانت واقعة الطف اعظم محاولة من قبل ائمة أهل بيت النبوة ﷺ ، لتجريد الهالة المقدسة للخلافة المزعومة وما تمثله من سلطة دنيوية بعيدة عن روح الدين . وأصبح المؤمن بقضية الحسين ﷺ فرداً على درجة عظيمة من الفهم الاجتماعي للعدالة السياسية وامكانية تحقيقها ؛ وأصبح قادراً على العيش في أقصى ظروف الظلم الاجتماعي ، وهو لا يزال محافظاً على عقيدته الإسلامية وولائه لأهل بيت

النبوة ﷺ .

إلا أن التغيير الاجتماعي لابد أن يرتبط بالنفس الانسانية ، فالمأساة الدينية المهولة تشكل تصميماً جديداً لشخصيات الافراد ؛ ولا يعيش الافراد واقعة مرعبة إلا أن تضع تلك الواقعة بصماتها التأثيرية على سلوكهم الخارجي . ولا شك أن النظرية الاجتماعية مدينة لنتائج واقعة الطف ، لأنها انتجت نظريات جديدة حول النفس الانسانية والتغيير الاجتماعي.

إن فكرة (النفس الاجتماعية) التي طرحها (وليم جيمس) في علم الاجتماع، تقابلها (النفس الربانية) التي افترضتها واقعة الطف ؛ فتزعم نظرية (النفس الاجتماعية) أن للفرد نفسيات اجتماعية متباينة ، لاختلاف الافراد الذين يتعامل معهم في المجتمع الكبير ، بينما نلاحظ في فكرة (النفس الربانية) النفس التي يشغلها تعلقها بالله سبحانه وتعالى عن اقتباس سلوك الآخرين ممن أفضلية دينية لهم، وفكرة (النفس المرآتية) التي طرحها (چارلس كولي) و(جورج ميد) تقابلها (النفس الواعية) في واقعة الطف فتدعي فكرة (النفس المرآتية) أن النفس الانسانية ما هي إلا مرآة لسلوك الآخرين ؛ ولكن هذه النظرية تفشل في تحليل النفس الانسانية للنبي أو الامام المعصوم ﷺ ، لأنها تفترض أن جميع الافراد هم عرضة للتغيير الاجتماعي بما يناسب آراء ونظرات الآخرين المتغيرة ، مع أن الانبياء والأئمة المعصومين ﷺ هم انفسهم مصادر التغيير الاجتماعي في مجتمعاتهم .

ولم تستطع فكرة (النفس المرآتية) الصمود في واقعة الطف الملتهبة ، لأنها يفترض أن تحاكي سلوك الاقوياء وتمضي تصرفاتهم ، خصوصاً وانها أمام سبل من السيوف ووسائل القتل والتعذيب الاخرى ؛ فليس هناك من نفوس (مرآتية) في معسكر الامام الحسين ﷺ بقدر ما كانت هناك نفوس (واعية) ، وهي النفوس التي كانت تعي دورها الرسالي في الحياة الانسانية ، وكانت لها ثقة مطلقة بالعقيدة التي آمنت بها وضحت من اجلها ، وكانت لها درجة من درجات الانكشاف لحياة اخرى لم نألفها بعد .

وهذه الدرجة من السمو في (النفوس الربانية) أو (النفوس الواعية) لم تكن

محصورة بالرجال فقط ، بل كانت نساء آل محمد ﷺ اللاتي شاركن في الواقعة على درجة عظيمة من التماسك والاستعداد لاداء ادوارهن الرسالية .

فلا شك أن هناك اسباباً اجتماعية قوية ، تدعونا لتفسير الفوارق بين الرجال والنساء من وجهة نظر اسلامية . وما الاختلاف الفلسفي بين الذكر والانثى إلا اختلاف في الادوار الحيوية وليس اختلافاً في المنزلة ، ولذلك قام نساء آل الرسول ﷺ ، كزينب بنت علي ﷺ ، وفاطمة بنت الحسين ﷺ ، وأم كلثوم بنت علي ﷺ بالادوار التي اقتضتها المصلحة الاجتماعية الاسلامية ضمن حدود الشريعة بعد واقعة الطف . وهذه النظرة الاسلامية تفند وتناقض آراء النظريتين العالميتين حول الانوثة ، وهما : (النظرية التوفيقية) ، ونظرية (الصراع الاجتماعي). فالنظرية التوفيقية تصرّ على أن للرجل خصائص وشروط القيادة الاجتماعية ، إلا أنها تعجز عن ايجاد حل اجتماعي في حالات غياب الرجل عن الساحة الاجتماعية ، واهمية مشاركة المرأة في التغيير الاجتماعي ، كما حصل بعد واقعة الطف . أما نظرية (الصراع الاجتماعي) فإنها تعتبر الظلم المستند على اساس الانوثة شكلاً آخر من اشكال السيطرة على الثروة ووسائل الانتاج الاجتماعي ؛ إلا أنها تفشل في تحليل واقعة الطف ودور (المرأة الرسالية) فيها ، لأن تلك المرأة لم تكن جزءاً من عملية توزيع الثروة الاجتماعية ، ولم تكن نتيجة من نتائج السيطرة الاجتماعية التي زعمتها نظرية الصراع .

ولم تنجح النظريات الاجتماعية الغربية في التغيير الاجتماعي في فهم النتائج التغييرية لواقعة الطف ؛ فد (النظرية الخلقية) لـ (بيتريم سوروكين) تزعم أن التغيير الاجتماعي إنما يتحقق لأن للبشرية فترات متناوبة من العقلانية والاضطراب ، في حين أننا نؤمن بأن مصدر التغيير الاجتماعي هو المعصوم في قوله وتقريره وفعله ؛ لأنه سيد العقلاء ، ولا ارتباطه بمطلق التشريع . فنحن لا نستطيع أن نفترض أن واقعة الطف قد حصلت في تلك الفترة المتناوبة بين العقلانية والاضطراب ، لأنها كانت معركة مصممة لإحداث التغيير الاجتماعي ، وليست صدفة من صدف الفترات المتناوبة بين العقلانية والاضطراب ؛ وهكذا

كانت واقعة الطف بأشراف مباشر واشترك فعلي من قبل الامام المعصوم عليه السلام نفسه .

أما نظرية (التضامن العضوي أو الميكانيكي) لـ (اميلي ديركهايم) ، التي تفسر التغيير الاجتماعي من منظور توقف مصلحة الفرد على مصالح بقية الافراد، فإنها لم تصل إلى مستوى النظرية الدينية ؛ ولكن إذا كان الفرد يعيش (التضامن الميكانيكي) فإنه لا يستطيع أن ينفصل عن رسالة الدين ، فمصلحة الفرد ليست مستقلة عن الرسالة الإلهية ؛ وإذا كان الفرد يعيش التضامن العضوي فإن رسالة الدين لا تستطيع أن تتخلى عنه بأي حال من الأحوال ؛ إلا أن واقعة الطف لا يمكن تفسيرها بطريقة (التضامن العضوي أو الميكانيكي) ، لأن لها خصوصية متميزة ، وهي أنها بقيت فوق كل المتغيرات الحضارية ، وستبقى كذلك .

ونظرية (التطور البيولوجي) و(النظرية الموحدة في التغيير الاجتماعي) لهما ضعفهما أيضاً ؛ فهما تميزان بين قابليات الافراد على تقبل التغيير الاجتماعي على اساس التكويني أو على اساس الاقتصادي ؛ وقد تبين أن ذلك التمييز باطل على الصعيدين التاريخي والتجريبي . فتكون واقعة الطف من الوقائع الثابتة في التاريخ الانساني ، فقد استهدفت تغيير الفرد والنظام الاجتماعي لتقبل مفردات الرسالة الإلهية ، وتطبيق حكم الله في الارض .

مقدمة حول مصادر التغيير الاجتماعي

إن عملية التغيير الاجتماعي إنما تستهدف تبديل القيم ، والعادات ، والعلاقات الاجتماعية من شكل لآخر ، أو تبديل نظام الظلم الاجتماعي بالعدالة الاجتماعية أو بالعكس . بيد أن اهم مصادر التغيير الاجتماعي هي التغييرات الناتجة عن الاسباب الخارجة عن إرادة الانسان ، كالكوارث الطبيعية المتمثلة بالزلازل والفيضانات ، والتغييرات الناتجة عن الاسباب المتعلقة بالارادة الانسانية ، كالاختراعات والغزو الثقافي والحروب والاستعمار العسكري .

فيكمن السبب في حصول هذه التغييرات الاجتماعية في تغير العلاقات الانسانية بين الافراد واضطراب الانسجام الفكري بينهم . ولكن عملية التغيير الاجتماعي التي تطال المجتمعات الانسانية لا تقتصر على مجرد الكوارث الطبيعية والتغيرات الانسانية ، بل إن للرسالة السماوية دوراً في تصميم شكل ذلك التغيير ؛ فلا شك أن الرسالة الدينية تحتل مكان الصدارة في التغيير الاجتماعي ، لأنها تقلب مفاهيم الافراد في العلاقات والعادات الاجتماعية ، وتخلق نظاماً جديداً للقيم الفردية والجماعية ، وتساهم أيضاً في تبديل نظام الظلم الاجتماعي بالعدالة الاجتماعية .

ومن المسلم به أن التغيير الاجتماعي الذي يتم عن طريق الاسباب الطبيعية أو البشرية ، إنما يتم أيضاً بسبب تغير التركيبة الاقتصادية للجماعة وتحلل العلاقات الاجتماعية فيما بينها ؛ والسبب في ذلك أن المال والقوة الاقتصادية لهما أثر حاسم على طبيعة توجهات الفرد الاجتماعية والفكرية ، إلا أن اشد التغييرات الاجتماعية وقعاً على الافراد والمجتمعات هي التغييرات التي تحصل نتيجة للحروب ، والسياسات التي تعقبها من قبل القوى المنتصرة في عملية الصراع الاجتماعي . ولكننا نقف امام منحيين متضادين في طبيعة الصراع المسلح ونتائجه التغييرية ، فالمنحنى الاول : هو الحرب التي يأخذ فيها الصراع شكل المصلحة الاقتصادية ، أو حجم الغنائم من العدو اهم مبادئها .

فالحروب المسلحة التي تعرض لها العالم الاسلامي مثلاً خلال القرون الخمسة الاخيرة ، والهزيمة التي لحقت الشعوب المستضعفة على ايدي القوى الاستكبارية ، تعتبر من اهم عوامل التغيير الاجتماعي التي ابعدت المسلمين عن دينهم ؛ فالاستعمار الاوربي الذي كبّل آسيا وافريقيا بالقيود لم يكن استعماراً اقتصادياً وسياسياً فحسب ، بل كان استعماراً اخلاقياً وعقائدياً أيضاً ؛ بمعنى أن الطرف المنتصر في العمليات العسكرية ، وهو الرجل الاوربي وما يمثله من قيم واهداف في هذه الحالة ، حاول أن يفرض نظاماً اخلاقياً وفكرياً بعيداً عن النظام الاخلاقي الديني الذي كان يمارسه مواطنو الدول المهزومة .

لكن التغيرات الاجتماعية التي تُفرض بقوة السلاح ترتبط بتقبل أو مقاومة الافراد لها ؛ فبعض الشعوب تُظهر شكلاً من اشكال الاستسلام للتغيير الفكري والثقافي اكثر من غيرها ، والبعض الآخر يُظهر مقاومة وتصلباً للأفكار الواردة بالقوة . إلا أن القلة هي التي ترفض التغيير وتبقى متمسكة بعقيدتها جيلاً بعد جيل ؛ وهذا هو الذي يفسر لنا بقاء عقائد الافراد منتقلة من جيل لآخر ، على الرغم من الاضطهاد والكبت الذي تمارسه القوى المنتصرة على القوى المهزومة عسكرياً . وليس هناك شك من أن إبعاد الافراد بالقوة عن عقيدتهم يولد تغييراً اجتماعياً كبيراً في عاداتهم واخلاقياتهم واساليب حياتهم اليومية . إلا أن سرعة انتشار التغيير الاجتماعي تعتمدُ على كمية المعلومات الفكرية والعقائدية المخزونة في ضمير الامة ؛ فانسجام الافكار الدينية الاسلامية مع الطبيعة الفطرية للمجتمع الاسلامي ، هو الذي وضع حاجزاً نفسياً عظيماً في عدم تقبل الافكار النصرانية التي جلبها الاستعمار الاوربي مثلاً فضلاً عن الايمان بها .

والمنحى الثاني : هو الحرب التي تصمم من اجل إحداث اقصى قدر ممكن من التغيير الاجتماعي إلى أمد غير منظور ؛ فتماسك افكار اهل بيت النبوة ﷺ واتصالها المباشر بالتصميم الإلهي للرسالة الاسلامية ، جعل من واقعة الطف نقطة تحول في ضمير الامة الاسلامية وطريقاً من طرق تصحيح توجهات الافراد نحو دور الدين في السلطة السياسية والاجتماعية .

فليس هناك ادنى شك من أن اعظم مصادر التغيير الاجتماعي للامة الاسلامية، خلال القرون الاربعة عشر الماضية هي تلك الواقعة الدامية بكل ابعادها الاجتماعية والدينية والسياسية ؛ فواقعة الطف ليست ثورة بالمعنى اللغوي المتداول في هذا العصر ، مع أننا نطلق عليها ذلك الوصف مجازاً ؛ لأن للثورة شروطها الموضوعية كانتفاض الامة بكافة افرادها ، ووجود الظلم الاجتماعي ، وتمكن القيادة الشرعية ، وانسداد ابواب التغيير الاجتماعي من قبل السلطة ؛ وهذه الشروط لا تنطبق جميعها على واقعة الطف ؛ لأن الامة لم تنتفض بكافة افرادها ضد الدولة الظالمة ، قبل المعركة على الاقل ؛ وهي ليست

بنهضة بالمعنى الشائع الذي نصطلح عليه ؛ لأن الامام الحسين عليه السلام لم يكن غافلاً فانتبه ولم يكن قاعداً فنهض .

وعلى ضوء ذلك لا يحق لنا - أفراداً - يرون الواقعة العظيمة من خارج ، أن نستعمل اصطلاحات معينة نطلقها على ذلك الحدث الذي هو الكون وما فيه ، إلا على سبيل المجاز والاستعارة . ولكن لنترك الحدث يتحدث عن نفسه هنا ، ولنطلق عليه واقعة الطف .

ويكفي لفهم التأثير الاجتماعي لواقعة الطف العظيمة ، أنها انجبت بعد اربعة عشر قرناً من وقوعها ثورة عظيمة هي الثورة الاسلامية في ايران ، بقيادة زعيمها المظفر آية الله السيد الامام روح الله الخميني رحمه الله ، التي اصبحت مصدراً من مصادر التغيير الاجتماعي في المجتمع الايراني المعاصر ؛ بل المجتمعات الاسلامية في العالم اجمع . فواقعة الطف ، إذن ، تعتبر مصدراً رئيسياً من مصادر التغيير الاجتماعي المستمر في المجتمع الاسلامي .

القوى التي وقفت بوجه التغيير الديني خلال الصدر الاسلامي الأول

إن مصطلح (السلطة) في علم الاجتماع يعبر عن قابلية اناس على تحقيق اهدافهم ، من خلال السيطرة على بقية الافراد على رغم وجود معارضة اجتماعية؛ ولذلك تبحث ديناميكية السلطة عن : من الذي يحكم ؟ وكيف يمكن تبرير ذلك الحكم شرعياً أو اخلاقياً ؟ وماهي التبعات والنتائج المتمخضة عن ذلك الحكم؟.

ولا شك أن الذي يهتما في مفهوم (السلطة) هو شرعيتها ؛ واهمية شرعية السلطة تنبع من أن مسك زمامها قد يؤدي إلى توزيع غير عادل للخيرات الاجتماعية بين القلة الحاكمة والكثرة المحكومة ؛ ولذلك نرى أن الرسالة السماوية تعاملت مع (السلطة) ومشروعيتها من هذا الباب ؛ فهي في الوقت الذي ادانت فيه السلطة التقليدية أو العشائرية ، ارجعت الحكم والسلطة المطلقة لله عز وجل ، أو من يوكلهم لحفظ مصلحة الافراد والنظام الاجتماعي كالرسل والائمة المعصومين عليهم السلام . وقد جاء في النص المجيد : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ

اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ ، ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (٢) ، ﴿إِنَّمَا قَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ (٣) ، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (٤) .

(١) المائدة : ٤٧ .
(٢) الانعام : ٥٧ .
(٣) النور : ٥٦ .
(٤) النساء : ٥٩ .

وبطبيعة الحال نجحت الرسالة السماوية التي حققت تغييراً عظيماً في افكار الأفراد ومعتقداتهم وسلوكهم ، وحطمت التركيبة السياسية الجاهلية ، نجحت في تأسيس الدولة الاسلامية الاولى بزعامة رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ . واستطاعت تلك الدولة الفتية - بنصر الله العزيز المقتدر - كسر شوكة المشركين والمنافقين واعداء الرسالة من كل الاطراف ، إلا أن بقايا مؤسسات النظام الجاهلي المندحر بقيت تعمل سراً لاسترجاع ما فقدته من سلطة وتحكم بالافراد ؛ حتى إن بعض الذين دخلوا الاسلام ظاهراً لم يكونوا من المؤمنين به قلبياً ، وقد ادانهم القرآن الكريم بالقول : ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٥) .

(٥) الحجرات : ١٤ .

ولا يسعنا إلا أن نقول : إن القوى السياسية المعادية للرسالة الجديدة كانت تخطط بدهاء منقطع النظير لفترة ما بعد رسول الله ﷺ ، وكان أولى خطواتها أن منعت كتابة حديث رسول الله ﷺ بزعم اختلاطه بالقرآن ؛ حتى تستطيع أن تخلق اقوالاً تنسب إلى رسول الله ﷺ بما يخدم اهدافها السياسية . وكان باستطاعتهم - لو كانوا على درجة من الاخلاص - أن يضعوا كتاباً للقرآن وآخر للحديث ، وهو أمر لا يستعصي عليهم وهم الذين كانوا يعتنون بكتابة الشعر وترجمة حياة الشعراء كلاً على انفراد ؛ فهذا (عبدالله بن عمرو بن العاص) يقول : «كُنْتُ اَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ اسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَتْنِي قَرِيشٌ ، وَقَالُوا : تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ؟ فَأَمْسَكَتُ عَنِ الْكِتَابَةِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَوْمَأَ بِأَصْبَعِهِ إِلَيَّ فِيهِ وَقَالَ : اَكْتُبْ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ » (٦) .

(٦) مسند احمد ٢ : ١٦٢ ، سنن ابي داود ٢ : ١٢٦ ، باب اية العلم .

إلا أن تلك القوى السياسية التي كانت تحاول عرقلة التغيير الاجتماعي الذي احداثته الرسالة الاسلامية ، كانت ناشطة وعلى وعي من دورها السياسي ، إلا أن عملها كان سرياً ؛ ولكن ما إن تبين أن رسول الله ﷺ على

مشارف الرحيل إلى الرفيق الاعلى ، حتى بدأ ذلك الصراع يأخذ شكلاً علنياً واضحاً ، وخصوصاً في الساعات الاخيرة من حياة رسول الله ﷺ : «انتوني بكتاب ، اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً فقالوا : يهجر رسول الله ﷺ» (٧) ، وهو اتهام يناقض اوضح مبادئ الاسلام ، وهو الذي وصفه الله عز وجل في قرآنه المجيد : ﴿ وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٨) . وفي رواية اخرى : «لما حضر النبي ﷺ ... وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال : هلم اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده قال عمر : إن النبي ﷺ غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، فحسبنا كتاب الله ، واختلف اهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قرّبوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما اكثروا اللغط والاختلاف عند النبي ﷺ قال : قوموا عني» (٩) .

وقد كان عصر الخليفة الأول مزدحماً بالاحداث التي حاولت تغيير نتائج عصر الرسالة وسنة زعيمها رسول الله محمد ﷺ ؛ فقد أنكر حق وصي رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب ﷺ بالخلافة الشرعية ، ومُنعت فاطمة الزهراء ﷺ من حقها في منحتها من أبيها فدك ، وصممت السيرة النبوية الشريفة بشكل يناسب التوجه الجديد ؛ فقد روى الذهبي : « أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ احاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً ، فمن سألکم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه» (١٠) . وهو رأي صحيح بطبيعته ، إلا أن كتاب الله يتناول الخطوط العامة للتشريع ويترك التفاصيل للسنة الشريفة ؛ ولكننا نعلم أن هذا التوجه لم يكن هدفه حفظ السنة من الاختلاط بكتاب الله ، بقدر ما كان يراد منه اخفاء بعض الحقائق المتعلقة بالسلطة السياسية الشرعية في الاسلام ، وموقع أئمة اهل بيت النبوة ﷺ منها .

حتى إن تلك القوى منعت (فدك) عن فاطمة الزهراء ﷺ بعد عشرة ايام فقط من وفاة رسول الله ﷺ (١١) ، بدعوى أن الانبياء لا يورثون ؛ ولكن في واقع

(٧) صحيح مسلم ٥ : ٥٧ ، باب ترك الوصية .
(٨) النجم : ٣ - ٤ .

(٩) البخاري ٨ : ١٦١ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب كراهية الخلاف ، ط. دار الفكر .

(١٠) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١ : ٢ - ٣ ، ترجمة ابي بكر .

(١١) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٤ : ٩٧ .

الحال كانت تلك القوى تخشى أن تترجم القوة المالية إلى قوة سياسية ، بحيث تستطيع أن تصحح ما أريد افساده . وفي ذلك روايات منها :

١ - « إن فاطمة عليها السلام قالت لابي بكر : اعطني فدك فقد جعلها رسول الله لي ، فسألها البينة فجاءت بأُم أيمن ورباح مولى النبي فشهدا لها بذلك ، فقال : إن هذا الامر لا تجوز فيه إلا شهادة رجل وامرأتين ^(١٢) . وفي رواية أخرى : شهد لها علي بن ابي طالب فسألها شاهداً آخر فشهدت لها أم أيمن ^(١٣) .

(١٢) ابن اعثم ، فتوح البلدان
٣٤ : ٣٥ .

٢ - وفي سنن الترمذي عن ابي هريرة : « إن فاطمة جاءت إلى ابي بكر وعمر تسأل ميراثها من رسول الله ﷺ فقالا : سمعنا رسول الله يقول : إني لا أورث . قالت : والله لا أكلمكما ابداً ، فماتت ولا تكلمهما ^(١٤) .

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) سنن الترمذي ٧ : ١١١ .

٣ - « إن ابا بكر عندما منع فاطمة من ارث ابيها ، قالت أم المؤمنين عائشة : واختلفوا في ميراثه فما وجدوا عند احد من ذلك علماً ، فقال ابو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنا معشر الانبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة ^(١٥) . قال ابن ابي الحديد : المشهور أنه لم يرو حديث انتقاء الارث إلا ابو بكر وحده ^(١٦) .

(١٥) المتقي الهندي ، كنز العمال ١٤ : ١٣٠ .

(١٦) ابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٤ : ٨٢ .

لما بلغ فاطمة اجماع ابي بكر على منعها فدك لاثت خمارها على رأسها ، واشتملت جلبابها ، واقبلت في لغة من نساء قومها ما تحرم* من مشية رسول الله ﷺ شيئاً ، حتى دخلت على ابي بكر وهو في حشد من المهاجرين والانصار ، فأنت أنه أجش لها القوم بالبكاء ، فلما سكن نشيجهم افتتحت كلامها بحمد الله عز وجل والثناء عليه ، والصلاة على رسول الله ﷺ ثم قالت وقد أسبل بينها وبينهم ستر : « ... أنا فاطمة وأبي محمد . أقولها عوداً على بدء : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رثوف رحيم ﴾ فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم ، واخا ابن عمي دون رجالكم ... » ثم استرسلت في خطبتها إلى قولها : « وأنتم الآن تزعمون أن لا ارث لنا ﴿ أفحكم الجاهلية يغفون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ ... يابن ابي قحافة ، أترث اباك ولا ارث أبي ؟! لقد جئت شيئاً فرياً ، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعود القيامة وعند الساعة يخسر المبطلون ... افعلني عمي تركم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم ؟ إذ يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وورث سليمان

(*) ما تحرم: أي ما تنقصر مشيتها عن مشيته ﷺ .

(١٧) النمل : ١٦ .

(١٨) مريم : ٦٥ .

(١٩) الانفال : ٧٥ .

(٢٠) النساء : ١١ .

(٢١) البقرة : ١٨٠ .

(٢٢) راجع بلاغات النساء .

كلام فاطمة بنت رسول
الله ﷺ

(٢٣) تذكرة الحفاظ ١ : ٧ .

ترجمة عمر .

(٢٤) منتخب الكنفز بهامش

مسند احمد ٤ : ٦٤ .

داود) (١٧) ، وقال الله عز وجل فيما قص من خبر يحيى بن زكريا : ﴿ قَهَبَ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرْتَنِي وَيُورِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ (١٨) ، وقال عز ذكره : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (١٩) ، وقال : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ (٢٠) ، وقال : ﴿ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢١) . وزعمتم أن لا حق ولا ارث لي من ابي ولا رحم بيننا : أفخصكم الله بآية اخرج نبيه ﷺ منها ؟ أم تقولون : أهل منتين لا يتوارثون ؟ أولست انا وابي من أهل ملة واحدة ؟ لعلمكم اعلوم بخصوص القرآن وعمومه من النبي ﷺ ، (٢٢) .

ولعل الوثيقة الاخيرة تعتبر من اخطر الوثائق واقوى الأدلة على انكشاف ملامح الصراع السياسي بعد وفاة رسول الله ﷺ ؛ إلا أن حرص أهل بيت النبوة على حقن دماء المسلمين ، وحرص السلطة الجديدة على استثمار ذلك لصالحها هو الذي ادّى إلى تقوية نفوذ تلك القوى ، إلى حد أن الخليفة الثاني أمر بحبس ثلاثة من الصحابة : ابن مسعود ، وأبي الدرداء ، وأبي مسعود الانصاري ، بتهمة أنهم أكثروا الحديث عن رسول الله ﷺ (٢٣) ؛ وهي تهمة ادت دورها في كبت انفس بعض الصحابة الذين كانوا على علم بحقيقة الولاية الشرعية في الاسلام . وفي عهد الخليفة الثالث تطور نفوذ بني أمية ، بحيث إن عثمان بن عفان قال على المنبر : « لا يحل لأحد أن يروي حديثاً لم يسمع به في عهد ابي بكر ولا في عهد عمر » (٢٤) ؛ وبذلك قطع الطريق - بقوة السيف - على الاحاديث النبوية الخاصة بالولاية الشرعية ؛ حتى إن ابا ذر - وهو من خيرة صحابة رسول الله ﷺ - نفي من بلد إلى بلد لمخالفته التوجه الجديد للسلطة ، إلى أن لقي حتفه وحيداً فريداً في الربرة عام ٣١ للهجرة .

وفي عهد معاوية بن ابي سفيان سيطرت القوى المعادية لخط الولاية على النظام السياسي والاجتماعي سيطرة تامة ، وانتقل الصراع إلى مرحلة خطيرة كان يُشتم فيها امير المؤمنين علي بن ابي طالب ﷺ من على المنابر (٢٥) ، فقد روى المدائني في كتاب الاحداث قال : كتب معاوية نسخة واحدة [اي نسخ متماثلة] إلى عماله بعد عام المجاعة : أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل ابي تراب واهل بيته ؛ وكان اشد البلاء حينئذٍ على اهل الكوفة .

(٢٥) تاريخ ابن الاثير ٣ : ٦٤ .

وفي هذا السبيل قتل حُجر بن عدي واصحابه صبراً ، وقتل وصلب رشيد الهجري وميثم التمار . وقد استمدَّ معاوية بن أبي سفيان لتدعيم مواقفه السياسية والاجتماعية من بعض بقايا الصحابة ممن كان في دينه رقة وفي نفسه ضعف ، من امثال : عمرو بن العاص ، وسمرة بن جندب ، وأبي هريرة ، فاستجابوا له ووضعوا له من الحديث ما ساعده على تنفيذ اهدافه المعلنة في محاربة خط الولاية الشرعية ، ثم نسبوه زوراً إلى رسول الله ﷺ .

وكل ذلك كان هدفه صرف الناس عن اتباع دين العدالة الإلهية بشكله المرسل من السماء ، ومنع نشر اهداف حملة ذلك الدين الإلهي السامية كأمير المؤمنين عليه السلام وبقية ائمة اهل بيت النبوة عليه السلام ؛ ولذلك فان الامة كان لابد لها من هزة عنيفة حتى تستيقظ من غفوتها ، وتلتفت إلى ما آل اليه امرها ؛ فكانت واقعة الطف أولى خطى التغيير الاجتماعي المنشود للجاهلية الاموية الجديدة ، وأول خطوة نحو تجريد الهالة المقدسة للخلافة المزعومة ، وما تمثله من سلطة دنيوية بعيدة عن روح الدين .

التغيير الاجتماعي بعد واقعة الطف

إن الذي يهمننا على هذا الصعيد من دراستنا حول التغيير الاجتماعي بعد واقعة الطف ، أن موقف الامام الحسين عليه السلام كان يستهدف تغيير شكل النظام الاجتماعي ، وما يتبع ذلك التغيير من تبديل في التركيبة السياسية ، والثقافة الاجتماعية ، والسلوك الاجتماعي للأفراد .

فعلى صعيد التركيبة السياسية استقطبت واقعة الطف وما تلاها من احداث جسيمة ، جماهير واسعة من محبي اهل البيت عليه السلام ، فظهرت الامة الشيعية حركة منظمة محورها الاطاحة بالتركيبة السياسية الاموية واقامة حكم الله على الارض، على المدى القصير على الاقل . وهذا الوضع الاجتماعي المتغير يصوره المسعودي فيقول : « وفي سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة، وتلاقوا بالتلاوم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ، ورأوا أنهم قد اخطأوا خطأ كبيراً بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ، ولم يقتله إلى جانبهم فلم ينصروه،

(٣٦) مروج الذهب ٣: ١٠٠ -

١٠١

ورأوا أنهم لا يفصل عنهم ذلك الجرم إلا قتل من قتله أو القتل فيه» (٣٦).
 إلا أن حركات التوابين ، والمختار الثقفي ، وثورة زيد بن علي ، وابنه
 يحيى ، وثورة عبدالله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب ، والتفاف العباسيين
 بعبادة اهل البيت عليهم السلام ، كلها أدت دوراً مؤقتاً مهماً في اسقاط حكم بني أمية .
 أما التأثير الواقعي الحقيقي لواقعة الطف فهو تغيير التركيبة السياسية الظالمة
 في العالم إلى أمد بعيد يمتد إلى يوم القيامة ، وفناء العالم الارضي ووقوف
 الناس امام رب العالمين ؛ لأن كل ظلم اجتماعي وسياسي اصبح يتلبس
 بصورة الخليفة الاموي الظالم ، وكل مجموعة تستهدف الاطاحة بالظلم
 الاجتماعي تتلبس بلباس الحسين عليه السلام ، أو تقتدي بهدي ائمة اهل البيت عليهم السلام .
 وعلى صعيد الثقافة الاجتماعية غيرت معركة الطف موازين الامة الفكرية ،
 وقلبت مفاهيمها حول العدالة والظلم ، والحياة والموت ، والحق والباطل ، وقوة
 الارادة وضعفها ؛ بل إنها خلقت أدباً جديداً سُمي فيما بعد بأدب الطف ؛ وهو
 لون من ألوان الشعر والادب المحكي والمكتوب الذي يصور مأساة الطف
 تصويراً عاطفياً قصصياً مؤثراً ؛ وهذا الادب المحكي المنظم زمنياً ومكانياً
 ساهم في بناء الامة الاسلامية الشيعية مئات السنين ، وجعلها ملتصقة بمنبع
 الوحي الإلهي زمن البعثة ، خصوصاً أن الحسين عليه السلام كان من احب احفاد
 رسول الله صلى الله عليه وآله وأصدقهم في مواجهة ما جرى من محاولات لتغيير التوجه
 الديني للمجتمع الاسلامي . إلا أن التأثير الثقافي الاعظم على الامة الاسلامية
 بالعموم والشيعية بالخصوص هو التغيير الظاهر في التركيبية العقلية للفرد
 المسلم ؛ فقد اصبح المؤمن بقضية الحسين عليه السلام فرداً على درجة عظيمة من
 الفهم الاجتماعي للعدالة السياسية وامكانية تحقيقها ، واصبح قادراً على العيش
 في أقصى ظروف الظلم الاجتماعي وهو محافظ على عقيدته الاسلامية على
 خطى اهل بيت النبوة عليهم السلام ؛ بمعنى أن المعاناة التي مر بها سيد الشهداء عليه السلام في
 واقعة الطف ، جعلت للمؤمنين بقضيته قدرة فائقة على تقبل المعاناة الجمعية
 من اجل العقيدة التي آمنوا بها .

وعلى صعيد السلوك الاجتماعي كانت الدموع التي تسكب على فاجعة

الطف ، وما زالت ، تهذب عواطف الافراد ، وتجعل قلوبهم اكثر رقة وحناناً ؛ خصوصاً وهو القائل عليه السلام : « أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا استعبر » (٢٧) . ولا شك أن هذا المد العاطفي يربط الفرد في الاجيال اللاحقة لجيل الحسين عليه السلام بمصدر النبع الإلهي للرسالة الاسلامية ؛ بمعنى أن استمرارية حضور المأساة في ذهن الفرد المسلم ، تعكس على مدى الاجيال المتعاقبة استمرارية حضور الاسلام وضرورة الجهاد من اجل تطبيقه . حتى إن الرموز العبادية كزيارة قبر الامام الحسين عليه السلام ، والسجود على التربة الحسينية المختلطة بدماء سيد الشهداء عليه السلام ، ومراسيم عاشوراء والادعية الملحقة بالمأساة ، كلها تصب في اطار الاستحضار الذهني للشهادة والموت والتضحية من اجل العقيدة السماوية . وبكلمة أخرى : إن واقعة الطف غيّرت السلوك الاجتماعي للأفراد ، وهذّبت تهذيباً لم يسبق له مثيل ، بحيث إن نظام الظلم الاجتماعي في كل مكان وزمان بات مهدداً من ظل تصميم الحسين عليه السلام واصحابه نحو الشهادة ، وظلال مأساوية الواقعة العظيمة التي خاضوا غمارها بكل صدق وايمان .

الشعور القومي والتغيير الاجتماعي

إن الشعور القومي لبني أمية لم يكن لينطفئ بظهور الاسلام ، لأن ذلك الشعور كان المصدر الرئيسي لهويتهم السياسية الحقيقية ، فقد كانت تلك الطبقة الحاكمة ابتداءً من أبي سفيان في الجاهلية ومروراً بمعاوية إلى يزيد ومن لحقه منهم من الخلفاء ، يشارك بعضها بعضاً بنفس القيم والولاءات والاعتقادات ، فالمفهوم القومي والعشائري لدى الامويين كان من اهم الروابط التي ساعدت على تماسكهم وهم مجموعة قليلة تسيطر على الاكثرية غير الاموية . وقد كان المال والثروة وسيلتان من وسائل السيطرة السياسية للعشيرة الاموية ؛ فقد اعطى الخليفة الثالث (الاموي النسب والهوية) عثمان بن عفان خمس غزوة إفريقية الاولى إلى عبدالله بن ابي سرح ابن خالته وأخيه من الرضاعة (٢٨) ؛ واعطى خمس الغزوة الثانية ابن عمه وصهره مروان بن الحكم ثم أقطعته فدك (٢٩) ، وهي صدقة النبي التي طلبتها فاطمة من ابي بكر ، كما مر

(٢٧) كامل الزيارات : ١٠٨ .

(٢٨) تاريخ النعماني ٢ : ٧٩ -

٨٠

(٢٩) تاريخ ابن الاثير ٣ : ٣٥٠ .

وتاريخ ابي الفداء ١١ : ٢٣٣ .

(٣٠) ابن عبد ربّه الأندلسي،
العقد الفريد ٤ : ٢٨٣ .

(٣١) انساب الاشراف ٥ :
١٢٨ .

(٣٢) طبقات ابن سعد ٥ :
٢٨٩ .

(٣٣) ابن أبي الحديد ، شرح
نهج البلاغة ٤ : ٨٠ .

بنا ؛ واقطع الحارث بن الحكم ابن عمه وصهره أرضاً تسمى بـ (مهورز) وهي موضع سوق المدينة ، وكان رسول الله ﷺ قد تصدق بها على المسلمين (٣٠) ؛ واعطى عمه الحكم صدقات قضاة ، وكانت صدقات سوق المسلمين يدفعها عثمان إلى عمه الحكم ايضاً (٣١) . أما معاوية فقد اصطفى كل صفراء وبيضاء ، وأمر أن لا يقسم بين المسلمين من الغنائم ذهب ولا فضة (٣٢) . وبعد استيلاء معاوية على فداك اعاد توزيعها على بني أمية ، فأقطع مروان بن الحكم ثلثها ، وأقطع عمرو بن عثمان بن عفان ثلثها الثاني ، وأقطع يزيد بن معاوية ثلثها الأخير ، فلم يزالوا يتداولونها حتى خلصت كلها لمروان (٣٣) .

وهذا التصرف المالي بحقوق المسلمين ، وحصر تلك الثروة العظيمة ضمن الدائرة الاموية ، قلب الموازنات السياسية لصالح الطبقة الحاكمة ، وجعلها اكثر تماسكاً ضد الاكثرية المسلمة المغلوب على امرها ؛ وبسبب هذا الظلم الاجتماعي استطاعت تلك العشيرة أن تضمن الحكم السياسي البعيد عن روح الشريعة مدة قرن كامل من الزمان .

ولا شك أن الحبل السياسي الممتد من ابي سفيان حتى يزيد بن معاوية كان اقرب إلى الجاهلية منه إلى الاسلام ، وقد عكس تصرف يزيد بن معاوية عند دخول سبايا اهل البيت ﷺ إلى قصره قسراً ، وتمثله بآيات ابن الزبيرى :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسفل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل (٣٤)

(٣٤) ابن طائوس ، اللهوف :
١٠٢ .

فهذا الموقف الاموي يمثل تمثيلاً واضحاً الدور القومي في الحكم ؛ فلم يكن الدين ورسالته السماوية العظيمة محور ادارة دولة المسلمين في ذاك الوقت ، بل كان - حسب تعبير يزيد بن معاوية - مجرد لعبة سياسية دارت بين فئتين سياسيتين هما بنو هاشم وبنو أمية ؛ وكأن الصراع الاجتماعي كان صراعاً سياسياً على استلام السلطة بين رسول الله محمد ﷺ وأبي سفيان . ولا شك

أن هذا التفكير المنحرف كانت له حيثياته الاجتماعية ؛ فالطبقة الاموية حافظت على كيانها السياسي الداخلي على رغم قوة العقيدة الاسلامية في نفوس الافراد زمن رسول الله ﷺ وما بعده ، لأن هذه الطبقة الحاكمة كانت لها مشتركات ثابتة في التاريخ ، واللغة ، والعقيدة ؛ فأبو سفيان دخل الاسلام كرهاً^(٣٥) ، ولم ينفك يخطط لتخريب روح الرسالة ومضامينها العظيمة في العدالة الاجتماعية ؛ فقد سأل بعد دخوله الاسلام رسول الله ﷺ أن يجعل ابنه معاوية كاتباً له^(٣٦) ، وهي اول محاولة تسلل من قبل هذه الطبقة المهزومة بعد نفوذ للرجوع تدريجياً إلى السلطة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وقد تم لها ذلك ، إذ تشير المصادر التاريخية أن معاوية « لما قدم من الشام ، وكان عمر قد استعمله عليها ، دخل على أمه هند فقالت له : يا بني ، إنه قلما ولدت حرةً مذكك ، وقد استعملك هذا الرجل فاعمل بما وافقه أحببت ذلك أم كرهته ؟ ثم دخل على ابيه ابي سفيان فقال له : يا بني ، إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفعهم سبقهم وقصّرنا فأخّرنا فصرنا أتباعاً وصاروا قادة ، وقد قلدوك جسيماً من أمرهم فلا تخالفن أمرهم ، فإنك تجري إلى أمٍ لم تبلغه ولو قد بلغت لتنفست فيه . قال معاوية : فتعجبتُ من اتفاقهما في المعنى ، على اختلافهما في اللفظ »^(٣٧) . و «لما قدم رجال الكوفة على عمر بن الخطاب يشكون سعد بن ابي وقاص قال : من يعذرني من اهل الكوفة ، إن وليتهم التقى ضقفوه ، وإن وليتهم القوي فجّروه ؛ فقال له المغيرة : يا أمير المؤمنين ، إن التقى الضعيف له تقواه عليك ضعفه ، والقوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره ؛ قال : صدقت ، فأنت القوي الفاجر فأخرج اليهم ؛ فلم يزل عليهم ايام عمر وصدرأ من ايام عثمان وايام معاوية حتى مات المغيرة »^(٣٨) .

(٣٥) سيرة ابن هشام ٤ : ٤٤ .

(٣٦) شذرات الذهب ١ : ٣٧ .

(٣٧) ابن عبد ربه ، العقد الفريد

١ : ٢٢ .

(٣٨) ابن عبد ربه ، العقد الفريد

١ : ٢٦ .

وهذا المعنى يعكس بعد قرون عديدة تطابق شعور افراد النادي (البويمهي) في كاليفورنيا في الولايات المتحدة ، وهو من نوادي الطبقة العليا الحاكمة ، مع مشاعر حكام بني امية ؛ فقد رفع النادي شعاراً يتبناه في كل مناسبة ؛ وهذا الشعار يعكس تمسك القلة القوية بالسلطة السياسية ويقول : إن الذين ينسجون بيوت العنكبوت ليس لهم محل في هذا المكان^(٣٩) .

(٣٩) جيمس هنسلين ، قراءات

في علم الاجتماع . نيويورك :

المطبعة الحرة ، ١٩٨٥ م .

ولا شك أن هذا الشعور القومي الأموي أحبط كل شكل من أشكال التغيير الاجتماعي الديني للأغلبية من أفراد الأمة ، لأن هذا الشعور كان يلبي رغبات تلك الطبقة الحاكمة القليلة العدد ، التي كانت تكبت دائماً الشعور الديني لدى الأغلبية المسلمة .

بسم الله الرحمن الرحيم
 إني لم أخرج لأرسل طيراً . ولا
 نفساً أو دماً . وإنما أخرجت
 أطلب لأرسل في الله ما يحب
 رسول الله . أريد أن أقرض
 وأمرني عن الكفر والفسق
 خير من ربي

قصيدة

النهر العذراء

فنون وآداب

www.almawakeel.com

* مصطفى الفخاري

(الجزائر)

الى «دريّنا» النهر اليوسفي الخالد الذي ابى المجرمون الصرب إلا أن
يحولوا مجراه ويفيضوا يتابعه، ويغتالوا فيه فطرة التوحيد. فاللعنة على
الظالمين، وبعداً بعداً للصامتين.

دَرِينَا أَنْ جَرَحَ يَا «دَرِينَا»	رهين للسفزة الأحمرينا
رَمَوْا جَسَدِي وَقَالُوا كُنْ سَلَاماً	فها أناذا أجرجره حزينا
كَأَتَيْ مَا قُطِرَتْ عَلَى الْمَعَالِي	ودين جلّ في الأديان دينا
وَحَبِّ لَمْ تَشْبِهْهُ رُؤَى بِسَوَار	إذا ما شبيب حبّ العابثينا
وَقُرْآنَ وَهَلْ كَلِمٌ تَسَامِي	كمثل كلام رب العالمينا
رُؤُوفَ بِالْقُلُوبِ يَرِيكَ دُنْيَا	من النعماء تمحضك اليقينَا
وَيَنْتَشِرُ ضَوْؤُهُ سِحْراً فَتَحْيَا	نفوس كم ظمئن وكم روينَا
تَكَادُ تَجَنُّ مِنْ ضَجْرِ وَضِيمٍ	ولولا الذكر قطعت الوتينَا
وَلَوْلَا الْحَبِّ يَسْكُنُهَا لِحَارَتْ	منابع صحوها حمماً وطينَا
تَخَالُ الرُّشْدَ فِي سَفْهِ تَمَارِي	به فكر الغواة الآثمينا

ربيب غواية وحليف كفر
 وَمَنْ أَلِفَ الْكُؤَى ضُرِبَتْ عَلَيْهِ
 عَلَى عَيْنِيهِ تَنَعَكَفُ اللَّيَالِي
 لِيَدِ الْآلَامِ يَا رَبِّي فَإِنِّي
 وَمَنْ عَمِقَ الْجِرَاحُ يَثُورُ جِيلُ
 وَلَوْ أَنْتَ يَا رَبِّي وَلَوْ
 وَمَدَّوْا فِيكَ شَكْوَى كُلِّ أُمَّ
 وَمَنْ يَبْجُلُ الْحَوَادِثَ يَلْقَى فِيهَا
 يُكَادُ لَأَمْتِي لَتَمُوتَ صَبْرًا
 تَذَادُ عَنِ الْحَيَاةِ كَأَنَّ قَضَاءَ
 رَمَوْهَا بِالْأَفْعَامِي مِنْ بَنِيهَا
 وَخَلَّوْهَا تَجَزَّ خَطَى اصْطِبَارٍ
 أُيْحَرَمُ بَلْبُلٌ مِنْ ذَاتِ بَوْحٍ
 وَمَنْ وَثَبُوا كَأَنَّ وَثَبُوا لِفَتْحٍ
 تَبَاهَى بِالْخَلَاعَةِ كُلِّ نَذَلٍ
 وَجَاهِرَ بِالصَّدُورِ صَدَى مَوَاتٍ
 وَهُمْ زَرَعُوا الْمَآسِي وَالْأَمَاسِي
 وَخُمَلْنَا الْجَنَائِيَةَ مِنْ قَدِيمٍ
 إِذَا كَانَ الضِّيَاعُ كِتَابَ قَوْمٍ

جَدِيرٌ أَنْ يُرَى فِي الْأَخْسَرِينَا
 بِدَاجِيَةِ ظِلَالِ الْكَافِرِينَا
 وَيَعْمَى أَنْ يَرَى الْفَلَقَ الْمَبِينَا
 أَرَى الْآلَامَ تَصْنَعُ فَاتِحِينَا
 كَمَا ثَارَتْ جِرَاحُ الْأَوَّلِينَا
 فَبَعْدًا لِلْأَلَى اغْتَالُوا الْبَنِينَا
 عَلَى كُلِّ تَابَتْ أَنْ تَلِينَا
 دَمًا حَرًّا وَشَوْبَ دَمٍ هَجِينَا
 فَيَا لَلَّهِ قَتَلَ الصَّابِرِينَا
 عَلَيْهَا أَنْ تُرَى فِي الْمَيِّتِينَا
 وَشَرَّ الظُّلَمِ ظَلَمَ الْأَقْرَبِينَا
 تُعَلَّلُ بِالْوَعْدِ وَقَدْ بَلِينَا
 لَتَشْقَى أُمَّةٌ بِالنَّاعِقِينَا
 وَمَا فَتَحَ نَسَاقَ بِهِ قَطِينَا
 وَأَضْحَى الْكَفْرَ فَكَرَ النَّيِّرِينَا
 يُعَلُّ صُبَابَةً مِنْ نَاهِلِينَا
 وَمَا زَالُوا لَهَا مَتْعَهْدِينَا
 أَمْسَقَتُوا يُفَادُّ بِقَاتِلِينَا
 يَوْمَ الْقَوْمِ أَشْقَى الْآخِرِينَا

«دَرِينَا» أَيُّهَا النّهر المسجّي
أجلّ غالك يا نهر المثنائي
ودون الأربعين صليب قوم
على «خضراء» فلتبك القوافي
وتورق بالخناجر في حضور
وتلعن عصر من صنعوا المآسي
أرى التاريخ يلعن بائعيه

بأوزار العداة الكاشحينا
وغاصوا في دماءك أربعينا
تنادوا كالذئاب الجائعينا
وترسل شجوها القدق المعينا
يصوغ الصمت نادية المهينا
لقتلك ياخيول الفاتحينا
كما لعن اليهود بطور سينا

* * *

تمرّد أو توحّد أو تبدّد
ولا تستفت منهم كلّ قدم
فقيه لا يرى صدرًا سواه
تعالى الله صيّرهُ ضباباً
يباع زمرة ويؤم أخرى
بنى الباني وجدّ بنوه هدماً
وكم مجد توزّعه بنوه
وآب الجيل يحمل أصغريه
على أني برغمك يا خطوبي
وأطوي عن أساي جناح صبر
غنيّ بالفواصل أجتليها
وتحبك فيك يا وطني الليلي

فمالك مقعد في القاعدينا
يرود موائد المتسلطينا
وأعمى كيف يهدي المبصرينا
وحكم الله صيّرهُ عجينا
وثالثة يتل لها الجبيننا
أهدم المجد همّ المقعدينا
فأمسى بعد عزّته عزينا
بدنيا سُخّرت للمترفينا
أضنّ بلاعبي أن يستكينا
وصبر الحرّ حلم اليائسينا
ويا كنزاً بفاصلتي دفيناً
بملحمة تضيء لمدلجيناً

أغازل في «سراي» السحر ألقى وأحضن في رباها الياسمين
وأروي الشعر ريان القوافي وأانس عن شواردها غنينا
وأحيا الحب عذرياً وإنّي بعذرة هائم في الهائمين
وأحيي عرس إخواني ببوح تَهَشُّ له قلوب السامعينا
ويندئ رفرق الاضواء لَمّا أذوب على متارفه حنينا
سلام الفن أيتها القوافي لدى الغُرَبَاتِ تغتال السنين
على أُنّي وإنْ عذّلوا وعابوا أبى وجدي بهون أن أليّنّا

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (ص) :

المُسْلِمُونَ كَالرَّجُلِ الْوَاحِدِ
إِذَا اشْتَكَى عَضْوُ مِنْ أَعْضَائِهِ
نَدَى عَلَى لَمَنِ اسْتَرْجِسَ لَهُ

كتبه العتات

ظروف حديث الغدير

وتبيين الحضانة

(٢)

دراسات

* مراد الدين سليم

(العراق)

٥- كيف تجاوز المسلمون وصية الرسول ﷺ :

علمنا من خلال الابحاث السابقة أن حديث الغدير يتألق بين نصوص أخرى مماثلة لاسباب موضوعية أحاطت بالحديث المذكور ، منها ما يتعلق بالدعم القرآني الصريح قبل تبليغ الرسول ﷺ بمضمون حديث الغدير وبعده ، ومنها ما يتعلق بالاجواء النفسية للمسلمين الذين شهدوا تفصيلات الحادث ، اضافة الى أمور أخرى اشرفنا اليها .

بيد أن الحقيقة التي تبقى مجسدة صريحة هي أن النبي الخاتم ﷺ كان يخطط لرسالته ودعوته بما يضمن استمراريتها ، واستقامة مبادئها ، وصونها من الانحراف ، وكان مشروعه المتبنى في ذلك أن يكون علي بن أبي طالب ﷺ وصيه وخليفته لانجاز هذه المهمة ، والنصوص التي اوردناها بهذا الخصوص صريحة في فرض هذه الحقيقة ، دون ادنى ريب .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو كيف عدل الناس عن علي ﷺ ، بعد تأكيد الوصية بامامته ؟ بل ينبغي أن يكون السؤال : كيف عدل الناس عن وحي الله تعالى ، وحكم رسول الله ﷺ ، وعملوا بأرائهم واهوائهم ؟

وعند البحث عن الجواب المناسب لهذا لا بد أن نضع في حسابنا أن انقلاب الناس ، وتخليهم عما أراده الله عز وجل يعد من المسائل المدهشة لكثير من الناس ، لا سيما ونحن نعلم المستوى الذي يُنقل عن الصحابة في تدينهم

وطاعتهم ، اضافة الى قرب عهدهم بالنبي ﷺ .

بيد أن الدهشة يمكن أن تزول إذا وضعنا في حسابنا الحقيقتين التاليتين معاً :

١ - الحقيقة الأولى هي أن مخالفة وصية النبي ﷺ في الخليفة الذي شخّصه للأمة ، والقائد الذي يلي امورهم بعد رحيله ﷺ ، ليست أول مخالفة يقرّفها الصحابة ، فهناك العديد من المخالفات المنكرة التي ارتكبها مجموعة من الصحابة والرسول ﷺ بينهم ، أما ما بعد رحيله فأمر لا نتحدث فيه . ونذكر هنا طرفاً من تلك المخالفات المرتكبة بحق النبي ﷺ :

أ - في معركة أحد امر رسول الله ﷺ الرماة من جيشه أن يلتزموا قمة الجبل ، ولا يفارقونها أبداً ، فلما اشتبك المسلمون والمشركون ، كانت الغلبة في أول الامر للمسلمين ، فغنم المسلمون بعض متاعهم ، فلما رأى الرماة الغنائم تخلوا عن مواقعهم طلباً للمتاع ، وهكذا عصوا رسول الله ﷺ فتغير مسار الحرب لصالح مشركي قريش ، وانكسر جيش المسلمين ، ومُسّهم القرح . وخسروا العشرات من المجاهدين ، واصيب النبي ﷺ ، وهزم المسلمون (١) .

ب - في معركة حنين حين فوجئ جيش المسلمين بنبال هوازن وحلفائها ، ولّى المسلمون الادبار وكانوا اثني عشر ألفاً ، فأثروا السلامة والعافية على الحياة الباقية ، وفروا عن رسول الله ﷺ ولم يبقَ معه غير سبعة : علي بن أبي طالب ، والعباس ، والفضل بن العباس ، وربيعه ، وابو سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب ، واسامة بن زيد ، وعبيدة بن أم ايمن - أو ايمن بن ام ايمن - على رغم دعوة رسول الله ﷺ لهم : « هلموا اليّ . أنا رسول الله . أنا محمد بن عبدالله » (٢) .

ج - لما فتح الله تعالى مكة المكرمة للمسلمين ، أعلن النبي ﷺ فيما أعلن : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن القى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابيه فهو آمن » فقالت الانصار بعضهم لبعض : اما الرجل فأدركته رغبة في قومه ، ورأفة بعشيرته . وفي رواية اخرى : اما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته ، ورغبة في قريته (٣) .

انظر كيف يتصور الانصار مستوى النبي ﷺ في مقاييسه ، حتى ينزلونه

(١) الكامل لابن الاثير ٢:

١٥٣ ، ط . بيروت ١٩٦٥ م .

وغیره من كتب التاريخ والسنن .

(٢) المصدر نفسه ٢٦٣:

والطرائف للسيد ابن طاووس

٢٨٤ .

(٣) صحيح مسلم ٣: ١٠٦

١٠٨ ، كتاب الجهاد .

الى مستوى الانسان العادي في التأثر بالعصبية الاقليمية والعشائرية !
د - لما اشتد المرض على النبي ﷺ قال للحاضرين من اصحابه : « هلم
اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، فقال عمر : إن النبي قد غلب عليه الوجع ، وعندكم
القرآن . حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت - الحاضرون في البيت -
فاختصموا . منهم من يقول : قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لا تضلوا بعده ، ومنهم
من يقول ما قال عمر ، فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول
الله ﷺ : « قوموا ... » (٤) .

على أن بعض المصادر تفيد أن عمر بن الخطاب قال : « إن النبي يهجر » .
خصوصاً تلك المصادر التي تذكر القول ولم تسم القائل (٥) .
وهكذا منع الصحابة رسولهم ﷺ من كتابة الكتاب الذي أراد أن يكتبه لهم
لكي لا يضلوا بعده وشكروا بعصمته .

هـ - سرية اسامة بن زيد ومخالفة أغلب الصحابة للرسول ﷺ ، فقد عقد
رسول الله ﷺ لواء لاسامة بن زيد وامره بالرحيل الى قتال الروم ، ودعا كافة
الصحابة من المهاجرين والانصار للالتحاق بجيش اسامة ، وقد ضم الجيش
كبار الصحابة ، ومنهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة وسعد بن ابي وقاص
وغيرهم ، وكان ذلك لأربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة للهجرة ، فلما
كان من الغد دعا اسامة ، فقال له : « سر إلى موضع قتل أبيك فاوطنهم الخيل ، فقد
وليتك هذا الجيش ، فاغز على أهل أبنى * وحرّق عليهم ، واسرع السير لتسبق الاخبار ،
فإن أغلرك الله عليهم فأقلّ اللبث فيهم ، وخذ معك الادلء ، وقدم العيون والطلائع معك »
فلما كان اليوم الثامن والعشرين من صفر بدأ به ﷺ مرض الموت فحُمّ
وضدع ، فلما أصبح يوم التاسع والعشرين ووجدهم متناقلين خرج اليهم
فحضرهم على السرير ، وعقد ﷺ للواء لاسامة بيده الشريفة تحريكاً لحميتهم ،
وارهاقاً لعزيمتهم ، ثم قال : « اغز باسم الله وفي سبيل الله ، وقاتل من كفر بالله »
فخرج بلوائه معقوداً ، فدفعه الى بريدة ، وعسكر بالجرف ، ثم تناقلوا هناك فلم
يبرحوا ، مع ما وعوه ورأوه من النصوص الصريحة في وجوب اسراعهم
كقوله ﷺ : « فاغز على أهل أبنى » وقوله : « واسرع السير لتسبق الاخبار » الى

(٤) صحيح البخاري من باب
قول المريض : قوموا عني ،
من كتاب المرضى ٤ : ٥ .
(٥) المصدر نفسه ٢ : ١١٨ ،
باب جوائز الوفد ، وصحيح
مسلم من آخر كتاب الوصية .

(*) - ابنى - بضم الهمزة
يسكون الباء ثم نون مفتوحة
عدها الف مقصورة : ناحية
البلقاء من ارض سوريا بين
سقلان والرملة ، وهي قرب
وثة التي استشهد عندها زيد
بن حارثة ، وجعفر بن ابي
الب ذو الجناحين

كثير من أمثال هذه الأوامر التي لم يعملوا بها في تلك السرية ، وطعن قوم منهم في تأمير اسامة ، كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه ، وقالوا في ذلك فأكثرنا مع ما شاهدوه من عهد النبي له بالامارة ، وقوله ﷺ له يومئذ : «فقد وليتك هذا الجيش» ، وأرأوه يعقد له لواء الإمارة وهو محموم بيده الشريفة ، فلم يمنعهم ذلك من الطعن في تأميره حتى غضب ﷺ من طعنهم غضباً شديداً ، فخرج معصب الرأس * ، مدثراً بقطيفته ، محمواً ألباً ، وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول قبل وفاته بيومين ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال - فيما اجمع اهل الاخبار على نقله ، واتفق اولو العلم على صدوره - : «أيها الناس ، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة ، ولئن طعنتم في تأميري اسامة لقد طعنتم في تأميري أبيه من قبله ، وإيم الله إنه كان لخليفاً بالامارة ، وإن ابنه من بعده لخليق بها » وحضهم على المبادرة إلى السير ، فجعلوا يودّعونهم ويخرجون إلى العسكر بالجرف وهو يحضهم على التعجيل ، ثم ثقل في مرضه فجعل يقول : « جهزوا جيش اسامة ، وأنفذوا جيش اسامة ، أرسلوا بعث اسامة » يكرر ذلك وهم متناقلون ، فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول دخل اسامة من معسكره على النبي ﷺ ، فأمره بالسير قائلاً له : « اغد على بركة الله » فودّعه وخرج إلى العسكر ، ثم رجع ومعه عمر و أبو عبيدة ، فانتهوا إليه وهو يجود بنفسه ، فتوفي في ذلك اليوم ، فرجع الجيش باللواء إلى المدينة الطيبة (١) .

و - ومن مفارقات الكثير من الصحابة أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة ، فأقبلت غير تحمل بضاعة إلى المدينة ، فضربت طبلأ - كعادتهم - للإعلام ، ففرغ الصحابة ولم يبق مع النبي ﷺ وهو قائم في صلاته - أو خطبة الجمعة - غير اثني عشر رجلاً ، فنزل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمَنْ التَّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (٧) .

أرأيت إلى أي حد يصل مستوى هؤلاء الصحابة من المخالفة الصريحة لرسول الله ﷺ ؟ على أن في تاريخ المسلمين أضعاف هذه المصاديق التي ذكرنا ، ومن هنا فهل يرد في ذهن أحد بعد هذه الحقائق الناصعة ، أن لا يكون

(**) قال شرف الدين في المراجعات : ٢٨٥ : كل من ذكر هذه السرية من المحدثين واهل السير والاخبار ، نقل طعنهم في تأمير أسامة وإنه ﷺ غضب غضباً شديداً ، فخرج على الكيفية التي ذكرناها ، فخطب الخطبة التي أوردناها ، فراجع سرية اسامة من طبقات ابن سعد ، والسيرتين الحلبية والدحلانية ، وغيرها من المؤلفات في هذا الموضوع .

(٦) تاريخ الطبري ٢ : ٤٢٩ وما بعدها ، في أحداث سنة ١١ ، والمراجعات للسيد شرف الدين ٢٨٤ - ٢٨٥ نقلاً عن مصادر : طبقات ابن سعد ، والسير الدحلانية وابن الأثير ، والسير الطيبية وغيرها ، مع اختلافات يسيرة في الألفاظ .

(٧) الجمعة : ١١ .

غالبية الصحابة قد نقضوا عهد النبي ﷺ في تعيينه لعلي بن أبي طالب ﷺ
اماماً للمسلمين بعد وفاته ، وهم الذين ألفوا مخالفته في حياته ؟

٢ - والحقيقة الثانية التي ينبغي أن تدرك هي أن قريشاً هي التي اقصت
الخلافة عن علي ﷺ ، لحقد دفين تحمله قلوب القرشيين عليه ﷺ وعلى بني
هاشم قاطبة ، فقريش قاومت الدعوة بالنفس والنفيس ، وشنت العدوان تلو
العدوان لاطفاء نور الله تعالى ، ثم لم تدخل الاسلام إلا تحت ظلال السيوف
بعد فتح مكة . فهل بمقدور عاقل أن يتصور أن قريشاً التي فقدت الآباء والأبناء
والاخوان بسيف علي ﷺ وبني هاشم في حروب دامية ، ابتداء من بدر الكبرى
الى فتح مكة ، يمكن أن تنسى خسائرها وثأرها من علي ﷺ وبني هاشم قاطبة ،
فتأتي طائفة لامامته بمجرد أن النبي ﷺ بلغهم بأن علياً امامهم بعد
رحيله ﷺ ؟ لا سيما والاسلام لم يتمكن من نفوسهم .

إن هذه الحقيقة المرة هي التي تحكم علاقة علي ﷺ وبني هاشم مع قريش ،
حيث وتبرت في حروبها مع النبي ﷺ ، فلم تذق مرارة الهزيمة إلا تحت لوائهم
أو تحت ظل سيوفهم ، ومن أجل ذلك ظلت قريش واجدة على علي ﷺ في حياة
الرسول ﷺ وبعد وفاته ، وفي التاريخ حوادث شهيرة تنم عن الموقف
القرشي من علي ﷺ ، تأتي على شكل شكاوى شخصية أو جماعية عند رسول
الله ﷺ منه ﷺ (٨) .

وقد كان علي ﷺ مدركاً مخاطر هذا الموقف القرشي الباغي على مسيرة
الرسالة والامة ، ولذا كان يبيت شكواه الى الله العزيز الجبار من قريش كثيراً :
« اللهم اني استعديك على قريش ومن أعانهم ، فإنهم قطعوا رحمي ، وصغروا عظيم
منزلي ، واجمعوا على منازعتي امرأ هولي » (٩) « اللهم اني استعديك على قريش ومن
أعانهم ، فإنهم قطعوا رحمي وأكفأوا إنائي ، واجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به
من غيري » (١٠) .

ويقول ﷺ في مقام آخر : « فجزت قريشاً عني الجوازي ، فقد قطعوا رحمي
وسلبوني سلطان ابن امي » (١١) .

ويتحدث بمرارة عن المأساة التي سببها الموقف القرشي : « فنظرت فإذا

(٨) المراجعات ١٥٢ - ١٥٦ .
بأسانيده .

(٩) نهج البلاغة ، الخطبة
١٧١ .

(١٠) نهج البلاغة ، الخطبة
٢١١ .

(١١) نهج البلاغة ، الكتاب ٣٦ .
سلطان ابن امي : سلطان
محمد ﷺ ، حيث كانت
ساطمة بنت اسد والدة

علي ﷺ قد ربت النبي ﷺ ،
كان يسميها امي ويقول :
فاطمة امي بعد امي .

(١٢) المصدر السابق ، الخطبة

٢٦

ليس لي معين إلا أهل بيتي ، فضننت بهم عن الموت ، واغضيت على القذى ، وشربت على الشجى ، وصبرت على أخذ الكظم ، وعلى أمر من طعم العلقم ، (١٢) .

ويشهد عمر بن الخطاب على هذا الموقف القرشي من علي وبني هاشم قاطبة ، ولكن عندما استتب الأمر لقريش ، فقد جرى بين الخليفة عمر بن الخطاب وعبد الله بن العباس حوار معبر ، يدل على الموقف القرشي الرسمي المبيت من أهل البيت عليه السلام بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وسلم .

روى ابن عباس أن عمر بن الخطاب قال له : يا بن عباس ، أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فكرهت أن اجيبه فقلت : إن لم أكن أدري فإن أمير المؤمنين يدريني ، فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً ، فاختارت قريش لانفسها فأصاب ووفقت ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت . قال : تكلم . قلت : أما قولك يا أمير المؤمنين : اختارت لانفسها فأصاب ووفقت ، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حين اختار الله لها ، لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، وأما قولك : إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهة فقال : ﴿ لك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ فقال عمر : هيهات والله يا بن عباس ، قد كانت تبغني عنك أشياء كنت أكره أن أقرك عليها ، فتزيل منزلتك مني ، فقلت : ما هي يا أمير المؤمنين ؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك ، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه ، فقال عمر : بلغني أنك تقول : إنما صرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً ، فقلت : أما قولك يا أمير المؤمنين : ظلماً ، فقد تبين للجاهل والحليم ، وأما قولك : حسداً ، فإن آدم حسد ونحن ولده المحسدون ، فقال عمر : هيهات هيهات ، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول ، فقلت : مهلاً يا أمير المؤمنين ، لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش ، فإن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قلوب بني هاشم ، فقال عمر : إليك عني يا بن عباس ، فقلت : أفعل ، فلما ذهبت لأقوم استحياني مني فقال : يا بن عباس ، مكانك ؛ فوالله اني لراغ لحقك محب لما سرك ، فقلت : يا أمير

المؤمنين ، إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم ، فمن حفظه فحظه أصاب ، ومن أضاعه فحظه أخطأ^(١٣) .

إن الاحاطة بهذه الامور وامثالها يجعل من اليسير أن يدرك المسلم أنه لماذا لوي عنق التاريخ باتجاه غير الاتجاه الذي أراده رسول الله ﷺ ، وإن من يستطلع الكلمات والتصريحات التي بثها الكثير من القرشيين بعد فتح مكة ، يجد روح الحقد والتصميم على الثأر عند أول فرصة ، ولعل كلمة جويرية بنت أبي جهل التي قالتها بعد اتمام فتح مكة المكرمة ، خير تعبير عن الروح القرشية التي تنطوي عليها النفوس . قالت : « أما نحن فسنصلي ، ولكننا لا نحب من قتل الأحبة »^(١٤) .

نعم دخلت قريش الاسلام مكرهة ، وربما التزمت بكثير من ضوابطه ، ولكن الهوة النفسية ظلت واسعة بين بني هاشم وقريش ، وهي هوة لم تكن لتردم إلا بتغير النفوس القرشية ، الامر الذي لم يتسنى لقصر الفترة بين فتح مكة ووفاة الرسول ﷺ ، حيث توفي رسول الله ﷺ بعد الفتح بقرابة ثلاثين شهرا .

وهكذا ظلت قريش من خلال ذوي الرأي والتأثير والمواقع من رجالها ، تتحين الفرص للثأر من بني هاشم بأي شكل من الاشكال ، كما عبر الخليفة عمر في حوارته مع ابن عباس .

ومن هنا فإننا قد نسلم بالرواية التي تروى أن بعض رجال قريش كانوا قد عقدوا اجتماعاً سرياً في حياة رسول الله ﷺ بعد حادثة يوم الغدير ، تعاقداً فيه على ابعاد علي عليه السلام وبني هاشم عن الخلافة بأي شكل من الاشكال^(١٥) ، فإن الارضية مناسبة جداً لتحركات من هذا القبيل ، في ضوء الحالة التي تعيشها قريش حيال أهل بيت النبي ﷺ وعشيرته الاقربين ، وهكذا فإن الموقف من علي وبني هاشم كان يشكل حالة فكرية ونفسية عميقة ، ولذا فلو قُدر أن السقيفة المعروفة لم تعقد ولم تفرز ما افرزت ، لعبرَ الموقف القرشي عن نفسه بأساليب اخرى ، بل برجال آخرين .

(١٣) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٣ : ٦٣ - ٦٥ ، والطبري في تاريخه ٤ : ٢٢٢ ، ط . دار المعارف بمصر ، كما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣ : ١٠٧ ط . مصر ، وذكرته مصادر اخرى .

(١٤) المصدر السابق ٣ : ٢٥٤ .

(١٥) الشيخ الطوسي ، تلخيص الشافعي ٢ : ٩١ - ٩٤ ، تعليق السيد حسين بحر العلوم ط ٢ ، ١٩٧٤م .

٦- أصوات جهرت بالمعارضة :

وعلى رغم التصميم القرشي على أقصاء علي بن أبي طالب عليه السلام وبني هاشم عموماً عن موقعهم الطبيعي في الأمة - كما لاحظنا - ، فإن هذا الموقف لم ينفرد بساحة المهاجرين والانصار .

فقد تعالت اصوات جمع من الصحابة تستنكر عملية تجاوز النص النبوي على علي عليه السلام ، حيث حفظ التاريخ - مع ظلمه وعدم انصافه - قائمة باسماء الصحابة الذين عارضوا عملية اقصاء الامام الحق ، ومنعه عن ادارة شؤون الأمة . نذكر منهم : خالد بن سعيد بن العاص من بني امية ، وسلمان الفارسي ، وأبا ذر الغفاري ، والمقداد بن الاسود الكندي ، وعمار بن ياسر ، وبريدة الاسلمي ، والزبير . وهؤلاء جميعاً من المهاجرين .

ومن الانصار : أبو الهيثم ابن التيهان ، وسهل وعثمان ابنا حنيف ، وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين ، وأبي بن كعب ، وأبو ايوب الانصاري . هذا مضافاً الى بني هاشم قاطبة ^(١٦) .

فقد عارض البعض أثناء اجتماع السقيفة ، واعترض آخرون في مسجد النبي صلى الله عليه وآله ، والقوا الحجة وذكروا ببعض النصوص الصريحة بامامة علي عليه السلام . أما الامام علي عليه السلام فقد اعترض مراراً بالطريقة التي لا تؤدي الى الفتنة وتمزق الجماعة الاسلامية ، بسبب الظروف الحرجة التي مرت بها الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله ، من ظهور ادعاء النبوة ، وارتداد الاعراب ، وتألب الروم واصرار قريش على تنفيذ خطتها مهما كان الثمن .

وقد صرح الامام عليه السلام عن اسباب سكوته عن حقه مرة فقال : «فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبيعونه ، فأمسكت يدي ، حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام ، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله ، فخشيت إن لم انصر الاسلام وأهله أن ارى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع أيام قلائل ... فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق ، واضمان الدين وتنهت» ^(١٧) .

(١٦) الشيخ الطوسي، تلخيص الشافعي ٢ : ١٢١ ، و ٣ : ٤٦ بإسناده الى أبي الفداء الايوبي في كتابه (المختصر في اخبار البشر) والاحتجاج للشيخ الطبرسي ، على أن المصدر الأول ذكر اسماء لم يذكرها المصدر الثاني منها: البراء بن عازب، وعتبة بن أبي لهب، وأبو سفيان وأمثالهم. كما ذكر ذلك ابن طاووس الحلي في اليقين في امرة المؤمنين عليه السلام : ١٠٨ - ١٠٩ ، ط . النجف ١٩٥٠م نقلاً عن الطبري صاحب التاريخ في كتابه مناقب أهل البيت عليهم السلام .

٧- هل يشكل أمر الغدير حدثاً تاريخياً فحسب ؟

بقي علينا أن نتحدث عن القيمة العملية عند البحث عن حديث الغدير وأمثاله في هذه المرحلة أو غيرها ، فهل يشكل هذا الحدث قضية من قضايا التاريخ الاسلامي التي تجاوزها الزمن ؟ أم إنها لا تزال تمتلك فعلاً حضارياً هاماً في مسيرة الامة الاسلامية ؟

إن الاجابة على السؤالين المذكورين يتطلب بالإمام بأطراف هذه القضية من جوانبها المختلفة .

يخيل لبعض الناس أن البحث حول الامامة الشرعية بعد وفاة رسول الله ﷺ ، يشكل عملاً قليل الاهمية من الناحية الفكرية والحضارية في مسيرة المسلمين ، لأنه في رؤية هذا البعض حالة ترفية ، إذ هو دراسة تاريخية في احسن الاحوال لدى هذا البعض .

ومن أجل ذلك يتطلب البحث في هذه القضية «قضية الامامة بعد النبي ﷺ» ، فيما يتطلب ، التعريف بأهمية هذا البحث من ناحية الدلالة والآثار الايجابية المستمرة في دنيا المسلمين واخراهم ، الامر الذي نحرص على بلورته في هذا البحث إن شاء الله تعالى .

فمما لا يرتاب فيه مسلم عاقل أن رسول الله ﷺ قد خطط لمستقبل دعوته وامته انطلاقاً من شعوره بالمسؤولية الرسالية ، وشدة حرصه على الرسالة والامة ، فهو لم يرحل عن هذه الدنيا إلا بعد أن أوضح معالم الطريق للامة ، ورسم خريطة المسير لها ، إلا أن المسلمين يتفاوتون في تحديدهم للخطة التي وضعها النبي الخاتم ﷺ ، فإن فريقاً من المسلمين يذهب الى القول بأن التمسك بكتاب الله عز وجل وحده بعد رحيل النبي ﷺ ، هو الذي يحدد معالم الطريق لمسيرة المسلمين ، ولعل هذا التصور هو الذي أملئ على بعض أصحابه - اذا أحسن الظن - أن يمنعوا من تدوين سنة رسول الله ﷺ ويتعاملوا مع مدونيتها من الصحابة بالعنف الذي أقله تمزيق الصحف واتلاف المدونات التي حملت السنة المطهرة ، وكان أبو بكر وعمر بن الخطاب على رأس أصحاب هذا المنهج^(١٨).

(١٨) يراجع تذكرة الحفاظ
لشمس الدين الذهبي ١: ٥٠ ط
٣ حيدر آباد ١٩٥٥ ، وكنز
العمال للمفتي الهندي ٥: ٢٣٩ ،
وطبقات ابن سعد ٣: ٢٨٧
وتقييد العلم للمخطيب
البغدادي ٥٠: ط . دمشق
١٩٤٩م ، تحقيق الدكتور
يوسف العث ، وانظر علوم
الحديث ومصطلحه للدكتور
صبيح الصالح: ٣٠ ، ط
١٩٥٩م .

ذكر ابن سعد في طبقاته أن الرسول عندما حضرته الوفاة ، وكان معه في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال : «هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ، فقال عمر : ان رسول الله قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن . حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت (يعني الحاضرين) واختصموا ، فلما كثرت اللغط والاختلاف قال النبي : قوموا عني» (١٩) .

على أن رواية ابن الاثير الجزري تشير الى أن عمر قال : «إن رسول الله يهجر» (٢٠) ، وقريباً من هذه الرواية ذكر البخاري (٢١) وابن خلدون (٢٢) .

على أن فريقاً آخر من المسلمين ذهب الى أن النبي ﷺ قد أمر الناس بالتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة ، ويروي هذا الفريق حديثاً لإرساء هذا المتبني :

حدثني مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال : «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة نبيه» (٢٣) .

أما في الجانب الإداري القيادي للأمة ، فإن اصحاب الرأيين السالفين معاً يذهبان الى أن النبي ﷺ ، لم يحدد قيادة سياسية اجتماعية مشخصة للأمة ، بل ترك الامر لأمتة من بعده .

على أن هذين التصورين لخطة النبي ﷺ التي وضعها لمسار الامة بعده ، لا تصمدان امام سيل من الحجج الرصينة التي تملكها الرسالة والدعوة ، والتي تؤكد جلياً بثقة خواء هذين التصورين . استناداً على الحجج التالية :

١ - لا بد للقرآن بعد النبي ﷺ من قِيَم عليه يعينه الله عز وجل ، فقد ترك رسول الله ﷺ الكتاب العزيز وهو يحمل الناسخ والمنسوخ ، والمطلق والمقيد ، والمحكم والمتشابه ، والعام والخاص ، والحقيقة والمجاز ، والمجمل والمؤول ، وما الى ذلك ، فهل يمكن أن نتصور أن هذا الكتاب المجمل ، الذي لم يفصل حتى أمر الصلاة التي هي عمود هذا الدين قادر على جمع كلمة الامة على أمر واحد ، دون وجود قِيَم عليه يعرف اسراره ومراده ؟

إن اهمال هذه الحقيقة هو الذي قسم المسلمين الى فرق وطوائف ومذاهب ، فالمجسمة مثلاً برروا عقيدة التجسيم بقوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش

(١٩) الطبقات الكبرى ٤ : ٦٠ - ٦١ .

(٢٠) الكامل في التاريخ ٢ : ٢١٧ .

(٢١) صحيح البخاري ٥ : ١٢٧ ط . مصر .

(٢٢) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ٢ : ٢٩٧ .

(٢٣) الموطأ ، مالك بن انس ٢ : ٢٠٨ ط . مصطفى البياي الطبي .

استوى ﴿و يد الله فوق أيديهم﴾ بينما اعتمد غيرهم ممن ينفي التجسيم قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء﴾ .

والمجبرة برروا قولهم بالجبر بقوله تعالى : ﴿قل كل من عند الله﴾ و﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ . أما المعتزلة فقد ذهبوا الى القول بالاختيار المطلق في افعال الانسان ، متأولين قوله تعالى : ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ و﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ .

والقائلون برؤية الله عز وجل يعتمدون قوله تعالى : ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ إلى ربها ناظرة﴾ .

وفسر بقية الاتجاهات الفكرية والفقهية لدى المذاهب والطرق على ذلك . وهكذا يلتبس الجميع مقومات افكارهم من ظواهر الكتاب العزيز ، لذا نهى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عبدالله بن عباس عن مجادلة الخوارج بالقرآن الكريم ، بسبب هذه الظاهرة : « لا تخصصهم بالقرآن ؛ فإن القرآن حقّال ذو وجوه » (٢٤) .

(٢٤) نهج البلاغة ، الوصية ٧٧ ، تحقيق صبحي الضالع

وقال عليه السلام مؤكداً حاجة القرآن الكريم الى ناطق عنه وترجمان : « هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين ، لا ينطق بلسان ، ولا يد له من ترجمان ... » (٢٥) . أما الاستناد الى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه لا يسد منافذ الاختلاف والفرقة بين الناس ، لأن السنة الشريفة تحمل هي الاخرى الناسخ والمنسوخ والمجمل والمؤول والمحكم والمتشابه ، علاوة على ما لحقها من مظاهر الكذب والافتراء والوضع والدس ، ولذا فمع وجود السنة الشريفة وقع الاختلاف وظهرت الفرق والمذاهب الفكرية والفقهية ، كما كان الحال بالنسبة للقرآن الكريم .

(٢٥) المصدر نفسه ، الخطبة ١٢٥

عن علي بن ابراهيم عن أبيه عن ذكره عن يونس بن يعقوب قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام (وذكر حديثاً طويلاً تأخذ منه موضع الحاجة) فقال أبو عبدالله عليه السلام للشامي : « كَلِمَ هذا الغلام » - يعني هشام بن الحكم - فقال : نعم ، فقال لهشام : يا غلام سلني في امامة هذا ، فغضب هشام حتى ارتعد ، ثم قال للشامي : يا هذا ، أربك أنظر لخلق أم خلقه لأنفسهم ؟ فقال الشامي : بل ربي انظر لخلق ، قال : ففعل بنظره لهم ماذا ؟ قال : أقام لهم

حجة ودليلاً كيلا يتشتتوا أو يختلفوا ، يتألفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربهم ، قال : فمن هو ؟ قال : رسول الله ﷺ ، قال هشام : فبعد رسول الله ﷺ ؟ قال : الكتاب والسنة ، قال هشام : فهل نفعلنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا ؟ قال الشامبي : نعم ، قال : فلم يختلفنا أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إياك ؟ قال : فسكت الشامبي ، فقال أبو عبد الله ﷺ للشامبي : مالك لا تتكلم ؟! قال الشامبي : إن قلت : لم نختلف كذبت ، وإن قلت : إن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف ابطلت ، لأنهما يحتملان الوجوه ، وإن قلت قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعنا اذن الكتاب والسنة ، إلا أن لي عليه هذه الحجة : فقال أبو عبد الله ﷺ : «سلة تجده مليئة» فقال الشامبي : يا هذا ، من أنظر للخلق ارتبهم أو أنفسهم ؟ فقال هشام : ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم ، فقال الشامبي : فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم ؟ قال هشام : في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة ؟ قال الشامبي : في وقت رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ ، والساعة من ؟ فقال هشام : هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال ، ويخبرنا بأخبار السماء والأرض وراثة عن أب عن جد ، قال الشامبي : فكيف لي أن أعلم ذلك ؟ قال هشام : سلة عمّا بدا لك قال الشامبي : قطعت عذري فعلي السؤال (٢٦).

وبناء على ذلك فإن الاعتماد على القرآن الكريم والسنة الشريفة وحدها ، دون الاحتكام أو الرجوع إلى قيم أو مرجع محيط بأسرارهما ، يجعل من اليسير أن يتأول كل مذهب أو اتجاه ظواهر القرآن والسنة بما يراه عن قصد أو عن غيره ، بناء على ما يستوحيه هو - إذا أحسن الظن - ، وبناء على ما يقتضيه اتجاهه الفكري والسياسي .

وتأكيداً لهذه الحقيقة يذكر اصحاب علم الحديث دون ذلك من عوامل التدليس العجيب للحديث ، فقد روى بعضهم - مثلاً - فضلاً للنهرية لأنه صاحب هريسة ، وروى آخر حديثاً في ذم المعلمين لما ضربوا ابنه (٢٧) ، كما روى البعض أحاديث في ذم غير مدنهم .

وقد سجل التاريخ أسماء العديد من الوضاعين والمفترين على الله تعالى

(٢٦) الكافي ١: ١٧٢ - ١٧٣
(أخذنا من الحديث موضع الحاجة).

(٢٧) صبحي الصالح علوم الحديث ومصطلحه : ٢١٨ .

ورسوله ﷺ ، وما يذكر حول السنة الشريفة يذكر حول تفسير القرآن الكريم، ومن يجرؤ على العبث بكلام الله سبحانه ، فليس غريباً منه أن يعبت بالسنة الشريفة ، أو يضع فيها .

٢ - حديث الثقلين يفرض وجود القيم على الشريعة بعد النبي ﷺ ، وقد دعي حديث الثقلين بهذا الاسم بسبب ما ورد فيه من لفظ «الثقلين» كما سيتضح .

والثقلان بكسر الثاء وسكون القاف ، أو بفتحهما ، فإن كان الأول فهو مثني ثقل ، وسُميَا بذلك لأن الأخذ والعمل بهما ثقلان ، وإن كان الثاني فهو مثني ثقل ، وهو كل شيء نفيس خطير مصون ، ويأتي الثقل بمعنى الثقل كمثّل ومثّل . وأحد الفاظ حديث الثقلين ما يلي :

قال رسول الله ﷺ : «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي . كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروني بما تخلفوني فيهما» (٢٨) .

وقد روى هذا الحديث الشريف المحدثون واصحاب الصحاح والمسانيد والمعاجم والتواريخ والسير وغيرهم ، بألفاظ مختلفة ومداليل متقاربة ، وهو حديث متواتر ومسلم به بين الفريقين من المسلمين ، وقد رواه أكثر من مئتي عالم من أهل السنة عن ثلاثين صاحباً (٢٩) ، وأكثر من ذلك من التابعين ، وقد ورد عن الشيعة في اثنين وثمانين طريقاً .

وروي الحديث في أهم الكتب لدى أهل السنة ، كصحيح مسلم ، فضائل علي عليه السلام ٤ : ح ٣٦ و ٣٧ ، وسنن الترمذي : ٥ في الباب ٣٢ ، وسنن الدارمي : ٢ في فضائل القرآن ، وخصائص النسائي ٩٣ ، وكفاية الطالب في الباب الأول «في بيان صحة خطبته بما يدعى حُماً» ص ٥٠ ، وذخائر العقبى للمحب الطبري، وتذكرة الخواص لابن الجوزي في الباب الثاني عشر، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ، واسد الغابة ٢ : ١٢ في ترجمة الحسن بن علي عليه السلام ، وتاريخ اليعقوبي ٢ : ١٠٢ ، ومسند أحمد بن حنبل في حديث أبي سعيد الخدري ٣ : ١٧ ،

(٢٨) أحد الفاظ الحديث برواية أحمد بن حنبل في مسنده، وفي طريقه الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ ٣ : ١٧.

(٢٩) راجع عبقات الانوار في امامة الاثمة الاطهار (حديث الثقلين : ١ و ٢) للسيد حامد حسين الكهنوي.

وحديث زيد بن ارقم ٥ : ٣٧١ ، وحديث زيد بن ثابت ٥ : ١٨١ ، كما رواه كنز العمال وحلية الأولياء ، والرازي والتعلبي ، والخازن وابن كثير والنيسابوري في تفاسيرهم وغير هؤلاء .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لَمَّا نَزَلَتْ « اَلْبِسْكُمْ اَلْمَلِكُ لَكُمْ رِيَّاسَتَهُمْ »
اَللَّهُ رَكِبٌ عَلٰى اِمَالِ الْيَمِينِ وَ اِتْمَامِ
النِّعْمَةِ وَ رِضَا اَلرَّسُولِ وَ رِضَا اَلْمَلِكِ
عَلَيْهِمْ جَنُّ اَبْنِ مَلِكٍ يَوْمَ يَوْمٍ .

المسند لابن جرير ١٢٢

موجة الامام علي والثورة الاسلامية

مختارات

*** جورج جردان ***
(لبنان)

باب ننشر فيه مختارات منتخبة بعناية وتلخيص مما نشر عن الشقلين المباركين في
الصحافة والدوريات الاخرى .
للتحرير

أثر الثورة الاسلامية في ايران على حركات التحرر في العالم :
الأحوال العامة في هذا البلد أو ذاك تتأثر بصورة مباشرة أو غير
مباشرة بالأحداث الكبرى ، وبالأحوال العامة وتطوراتها في سائر
بلدان الأرض . لا تنس أن الانسان الفرد هو ابن الانسانية كلها ، لا ابن أبويه
فقط ، أو ابن بيئته وحدها ، وابن العصور كلها لا ابن زمانه فحسب .
وكذلك الأمم ، فكل ما يحدث في أمة معينة من أحداث خطيرة ، تكون له
أصداء واضحة أو خفية في كل أمة أخرى .

والمعنى الأهم للثورة الاسلامية في ايران هو أنها حلقة جديدة أضافها
الشعب الايراني إلى سلسلة الحلقات التي حصلت في التاريخ لدى معظم الأمم ،
والدالة على أن الشعوب لا يمكن قهرها واضطهادها إلى الأبد ، وأن صوت
المستضعفين في العالم لا ينقطع عن الدوي ، وأن الأمم إذا ما أصرت على أن
تتمتع بكامل حقوقها الطبيعية في الاستقلال والتفكير والتعبير والتدبير ،

(*) بتلخيص عن مجلة الرصد
البيروتية العدد (٤٦ - ٤٧) .

(**) كاتب مسيحي اشتهر
بكتاباتة عن الامام علي عليه السلام .

تحصل على هذه الحقوق مهما طال الزمان ، ومهما تكاثر عليها الكافرون بحق الإنسان من رجال السياسة والادارة والمال في الخارج والداخل على السواء. وأبرز ما في الموضوع بهذا الشأن هو أن الشعوب مهما كانت إمكانياتها المادية - من مالية وعسكرية وقاتلية - متواضعة ، ومهما تضافرت عليها قوى الشر المتمثلة في عصرنا هذا بالدول الغنية المستكبرة الطامحة إلى الهيمنة على العالم ، واستغلال الشعوب الصغيرة أو الفقيرة بواسطة القوة البهيمية التي هي قوة الظفر والناب ، فلا بد لها من الظفر بحقها في الحرية وفي اختيار النهج الذي يلائمها في التفكير والتدبير ، ومواجهة الأمور إذا ما آمنت فعلاً بهذا الحق وأبت أن تتنازل عنه .

الامام الخميني نموذج يحتذى :

دوره كبير في موسوعة نضال الشعوب المحرومة والمضطهدة من أجل رفع الظلم عن كاهلها ، واستعادة حقها في الحياة الحرة الكريمة ؛ ومن أبرز ما في هذا الدور قدرة الامام الخميني على أن يطبع شعباً كاملاً بطابعه في التفكير والتوجه والسيرة الحسنة والايمان بحق الانسان في الحياة الكريمة ، وهو ما استطاع ذلك إلا لأنه هو نفسه كان رمزاً مجسماً لأمل شعبه في استعادة ما حُرّمه من حقوقه الذاتية ، ولايمان هذا الشعب بالقدرة على تحقيق أحلامه ، وما شأن الامام الخميني على هذا الصعيد إلا شأن الكبار الحقيقيين من القادة الفكريين والروحانيين في تاريخ الأمم . ولو لم يكن الامام الخميني ممثلاً بالمزايا الروحية الرفيعة وبالايمان المطلق بربه ، وبالانسان الذي يستمد من ربه حقوقه ويوجه على أنوار الفكر والروح مسيرته ، لما استطاع أن يحقق ما حققه من منجزات ؛ ولا ريب في أن الامام الخميني نموذج يُحتذى على هذا الصعيد . والانسان عندما يرتفع إلى هذه الدرجة في سلم التطلعات الانسانية ، يرفع من شأن الانسان في كل زمان ومكان ، ويصبح لكل الناس .

دوافع تأليف كتاب «الإمام علي صوت العدالة الانسانية» :

لابد أن ألقت النظر إلى مبدأ أومن بصحته كل الايمان ، وهو أن العظماء الحقيقيين ، عظماء العقل والقلب والروح ، هم عظماء كل زمان ومكان ، وهم شرف الانسانية كلها ، وملك الانسانية كلها ، لا يستطيع احتكارهم عصر واحد أو أمة واحدة أو جماعة من الناس ، لأنهم كالضيء الذي ينتشر على الجميع . ولأن الانسانية في النتيجة واحدة ، ولأن التفريق بين قوم وقوم أو بين جماعة وجماعة هو عمل هامشي وطارئ على الحقيقة الانسانية ، فإن سيرة كل عظيم في الفكر والخلق والمسلك أيأ كان زمانه ومكانه ، هي ملكي وملكك وملك الناس الذين هم وراء البحور السبعة ، وملك الحاضر والمستقبل كما كانت ملك الماضي . وعلى هذا أتساءل : ما الذي يشد ذلك أو سواه إلى رجل كالإمام علي أكثر مما يشدني أنا أو سواي إليه .

هذا بصورة عامة وإجمالية . أما إذا شئنا معرفة الجزئيات التي ساعدتني في وضع هذا الكتاب ، فهي باختصار أنني ولدت ونشأت في بيئة عامة تُعنى بكل ما هو عربي في التاريخ كما في الزمن الحاضر ، وفي بيئة خاصة تميل إلى طلب المعرفة والاستزادة منها ، لا سيما المعارف العربية المصدر ، وفي مثل هذه البيئة العامة أو الخاصة لابد من أن يكون الإمام علي إحدى المنارات الكبرى التي يعيش إليها القوم ، خصوصاً بوجود شقيقي الأكبر فؤاد ... الذي يدور كثير من شعره على المعاني الانسانية التي عاشها الإمام علي ، ودعا إلى السلوك على نورها ، وطالما سمعته ينشد هذه القصائد على مسامع القوم منذ طفولتي . وقد أثبت في الجزء الخامس من كتابي «الإمام علي» إحدى قصائد شقيقي في الإمام ، وهي مما كنت أسمعه منه في أيام الطفولة ؛ كما كان والذي شديد الإعجاب بشخصية الإمام ، وقد حفر بيده على عتبة المنزل الرئيسية البيت القائل : « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » .

وقد ذكرت أن من أوائل الكتب التي عكفتُ على درسها وحفظها منذ أيام الطفولة هو نهج البلاغة . أضف إلى ذلك كله أننا عشنا طفولتنا وشبابنا الأول ، مسيحيين ومسلمين ، عائلة واحدة لا نعرف فضلاً لإنسان على إنسان إلا

بالمسلك المستقيم والعاطفة الكريمة والسيرة الحسنة . أقول هذا دون أدنى مبالغة . ومن وحي هذه الحياة العائلية التي عشناها نجد أنَّ كثيرين من المسيحيين في بلدتنا يسمّون باسم محمود ، وعلي ، وحسن ، وحسين ، وخالد ، وصالح الدين وغيرها ، هذا فضلاً عن أن الأعياد والمواسم كانت واحدة للجميع ، فكان المسلمون يتبادلون التهاني في عيدي الميلاد والفصح ، وكان المسيحيون يتزاورون ويتبادلون التمنيات والتهاني في عيدي المولد والفطر . وكانت أجراس الكنائس تقرع في المناسبات الاسلامية ، وكان الأذان يتصاعد من المآذن في المناسبات المسيحية . هكذا نشأنا وهكذا عشنا قبل أن «يفكر» ملتزمو الحكم عندنا وتجّار الشعارات في حقّ الناس على الوحدة الوطنية . وليتهم يتركون الناس على عفويتهم وكما شاء لهم رب السماء أن يكونوا .

وهكذا نرى أنَّ من شأن هذا الجوّ الذي رُبّيت فيه أن يمهد أمامي الطريق إلى ما سوف أكونه وأكتبه في المستقبل .

وعندما بدأت أدرس الأدب العربي والفلسفة الاسلامية في عدد من معاهد بيروت ، وكانت أعمال الإمام علي مطلوباً درسها في هاتين المادتين ، أخذتُ أقرأ ما ألفه المؤرخون والأدباء قديماً وحديثاً عن الإمام وآثاره ، وانتهيتُ من هذه القراءات إلى نتيجة اقتنعتُ بها ، وهي أن هؤلاء المؤلفين على اختلاف عصورهم وبلدانهم وانتماءاتهم ومواقفهم لم يبلغوا الجانب الأعماق والأهم في سيرة الإمام وفي أعماله ، فعدت إلى نهج البلاغة وقرأته كاملاً وعلى مهل ، فترسّخ اقتناعي بأن في فكر الإمام وفي وجدانه ومسلكه ما لا تكشف عنه هذه المؤلفات التي قرأتها إلا قليلاً . وفي الحال بدأتُ المغامرة بوضع كتابي هذا عن الإمام الذي هو الصيغة العالمية الراقية والمثالية للعقل العربي ، والخلق العربي ، والسيرة العربية في المسيرة الإنسانية .

علي والزمان :

تاريخ هو الليل والويل والهول الأكبر.

لا قوِيَّ فيه - بمقياس قوة البهيمة - إلا وهو أمرٌ مطاعٌ ينكُلُ ويقتل ويغزو ويسطو ويضربُ الخلقَ بالترويع .

ولا لصُ فيه إلا وهمته أن يأكل الناس مع الآكلين .

ولا سَفَاحٌ إلا ورقابُ الأبرياء والمستضعفينَ مَحْصدةٌ لسيفه .

ولا جاهلٌ إلا وقصرُه من جماجم المفكرين .

ولا شَرِيرٌ إلا ويمشي في الأرضِ مرحاً ، وهو يحسبُ أنه يخرقُ الأرضَ ويبلغُ الجبالَ طولاً .

ولا جروُ عواءٍ من جراءِ هؤلاء إلا وله رأيٌ وصوتٌ ويدٌ في تحديد مدة الحياة للأحياء .

ذلك هو الفصلُ الأطولُ والأشملُ في مسيرة البشر عبرَ ألوف السنين .

وشوهدتُ في دياجير التاريخ مناراتٌ تعلو وتُضيء .

وسمعتُ في فضاءِ التاريخ أصواتٌ تخلعتُ لها أبدانُ الطفافة الأغبياء ،

ومالت بها الدنيا عليهم تقول : إنَّ للإنسانَ قيمةً غيرَ التي تعرفون ، وإن للجماعة صورةً غيرَ التي تصنعون .

في طبيعة تلك المناراتِ الواقفةِ على مفارقِ الأزمنة ، والتي لولاها لما استحققتُ الحياةُ أن تُحيا ، كان عليّ بن أبي طالب ، وكانت على يده ثورةٌ مستمرةٌ مع الزمان على أنظمةٍ آخذةٍ من كلِّ بغي وعدوان . ثورةٌ كانت ولا تزالُ برداً على المستضعفين وسلاماً ونعمةً موفورة .

ودخلت الانسانية بظهور عليٍّ ونهجه مرحلةً نيرةً خيرةً ، وعرف التاريخ بعليٍّ الصيغةَ الكونيةَ المثلى للعقل العربي المبدع ، وللخلق العظيم ، والضمير العملاق ، كما عرف نهجاً للعدالة الاجتماعية المنبثقةً مفاهيمها من احترام الحياة والرحمة بالأحياء ، واستلهاً قوة الكون المركزية العظمى التي هي الله . وحين تجري مفاهيم العدالة الاجتماعية من هذه الينابيع الصافية ، تكمل الصورةُ الظاهرة للعدالة الانسانية التي تشملُ الظاهر والباطن جميعاً .

ولا يستقي مفاهيم العدالة من مناهلها الكونية إلا عبقرِيُّ العقل والقلب والروح ، الذي ينظرُ إلى الفردِ وكأنه ينظرُ إلى الناس جميعاً ، وينظرُ إلى

مجتمعه وكأنه ينظر إلى كل مجتمع ، وينظر إلى زمانه ليرى فيه كل زمان ؛ فالإنسان في جوهره هو الإنسان حيث كان من الزمان والمكان ، وحاجاته وأشواقه هي هي في الجوهر مهما اختلفت المواقع وتعاقت العصور ؛ وما المواقع المكانية والزمانية بالنسبة لعبقري العقل والقلب والروح إلا مناخات خارجية يخترقها كلها بعقلية كاشفة واحدة ونهج واحد ، فلا تتبدل فيها نظرته إلى جوهر الأمور .

من هذا المنطلق عالج الإمام الأعظم علي بن أبي طالب أمور الجماعة في مكانه وزمانه ، فعالج بها أمور كل الجماعات في كل مكان وزمان .

أدرك علي ، بما لم يدرك سواه ، أن اللبنة الأولى في بناء المجتمع السليم ، اللبنة التي إن لم تكن هي الأساس فلن يكون هنالك بناء ، هي توفير أسباب العيش للجماعة موزعة توزيعاً عادلاً لا غبن فيه ، فلا يكون في المجتمع حارمٌ ومحروم ، وقاهرٌ ومقهور ، ومتخمٌ وجائع . ومن مبادئه التي تكشف عن هذا الجانب الأهم في معنى العدالة الاجتماعية ، والذي إذا فهم وعُمِلَ به حال دون طغيان الشرور التي تصيب الجماعة ، وفي طليعتها الظلم والقهر والفساد والإفساد وانتظام الناس في فئات متنافرة وطبقات متناحرة ... هذا المبدأ الأساس الذي اكتشفه فلاسفة الاجتماع وعلماءه في أوروبا في أواسط القرن التاسع عشر ... عندما أعلنوا ، استناداً إلى العلم لا إلى المزاج ، أن كل ما يصيبه المرء من أسباب النعمة الفائضة عن حاجته ، لا يكون إلا مما اقتطع من حاجة أهل العوز وأخذ منهم اغتصاباً ، وهو اغتصاب قد تبرره القوانين المرعية التي صنعها الأغنياء لقهقر الفقراء ، والأقوياء لإذلال الضعفاء ، والفئة القليلة لنهب العامة ، ولتوطيد ما يسمونه «الامن» على هذا الأساس . هذا مع ملاحظة هامة هي أن الإمام علياً سبق هؤلاء الفلاسفة والعلماء أكثر من ألف سنة إلى إدراك هذه الحقيقة وإلى إعلانها عندما قال : « ... فما جاع فقير إلا بما مُتّع به غني » و« ما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيع » .

هذا القول العظيم ليس قولاً فحسب . إنه كشف علمي عن حقيقة ثابتة لم تنكشف لعلماء الغرب إلا في القرنين الأخيرين ، عند طغيان العصر الصناعي

الذي مكَّن الفئة القليلة من استغلال العامة استغلالاً فاجراً .

على هذا الأساس المنطقي يرى الإمام أن يُبدأ ببناء المجتمع العادل ، وعلى أساس الرعاية الصادقة الأمينّة للعدالة الاجتماعية وللجماعة تعملُ السلطة في نهج الإمام . هذه السلطة التي كانت ولا تزال في كثير من أقاليم الأرض وسيلة للحصول على المال والمزيد من التشامخ والتبذُّخ ، مهما ادَّعى عكس ذلك المدَّعون ، ومهما تفتَّح المتقنَّعون ووافق المنافقون وأظهروا خلاف ما يُضمرون ، ومهما غطَّوا الواقع بالعبارات البرَّاقة الرقراقة السراقة ، كالنظر في أحوال البلاد وخدمة العباد ، ورفع الظلم عن الجماعة ومحاربة العوز والجماعة ، إلى آخر الأكاذيب المودعة في عبارات جاهزة يتناولها ويلوكها كل من شاء أن يلعب بلسانه ويضحك على إخوانه ، ونحن نعلم وهم يعلمون أن شرَّ الشياطين شيطانٌ يصلي .

وصاحب السلطان في نهج الإمام هو ذاك الذي انتزع له الإمام صورة عن نفسه هو إذ قال : « لو فقدت شاة في الحجاز أو اليمامة ، لشعرتُ بأنني مسؤولٌ عنها إلى يوم القيامة » .

لقد كان إحساس عليٍّ بمسؤولية السلطان وبمعناه إحساس الأنبياء وكبار الفلاسفة والشعراء ، الذين يَحْيَوْنَ مُثْلاً سامية وأحلاماً وأشواقاً لا يعرفها سواهم . ومن وحي هذا الإحساس العميق تَمَثَّلَ جهد صاحب السلطان الذي عليه أن يعمل كلَّ شيء لخير المجتمع ، حتى إذا فعل قال له هذا القول الذي ينزَعُ به عن أسمى المشاعر والمسالك معاً : « إذا فعلت كلَّ شيء ، فكن كمن لم يفعل شيئاً » .

الإمام عليُّ الذي نظر إليه النبيُّ الكريم ذات مرة وقد تَمَثَّلَتْ له مزاياه العظيمة فقال له في هدوء : « يا عليُّ ، إن فيك لَشَيْبَةً من عيسى بن مريم » .

الإمام الذي اخترق بعقله المبدع حدود كلِّ مكانٍ وكلِّ زمان ، والذي وصفه الفيلسوف شبلي الشميل بقوله : « الإمام عليُّ عظيم العظماء » . نسخة مفردة لم يرَ الشرق لها ولا الغرب صورةً طبق الأصل ، لا قديماً ولا حديثاً « ليكن فخرنا في غدنا كما هو فخرنا في ماضينا ، والنظر إلى الماضي جزءٌ من النظر إلى

المستقبل ، ولنهتد به ، ولنأخذ من أفكاره وأقواله وسيرته دستوراً مستقظاً من هذه الأفكار وهذه الأقوال وهذه السيرة . ونحن في أشد الحاجة إليه وإلى أمثاله في هذا العصر الذي يبلغ فيه وحش المال كل قيمة في الدنيا ، وكل معاني الانسان ، ويشترى السلطان والإدارة والقانون والأقلام والضمائر ، ويقضي على العقول والقلوب والأخلاق والأحلام ، ويمسح الحياة مسخاً مريعاً ، ويغني معانيها وكل أسباب السعادة فيها .

وكما أن علياً المتصل عقله ووجدانه بجوهر الوجود الانساني كله ليس لزمان أو لمكان ، بل لكل زمان ومكان ، فهو ليس لقوم ولا لدين . هو للناس أجمعين .

إنه المنارة المشرقة على مفارق العصور .

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

سَنَ نَضِبُ نَفْسَ النَّاسِ إِمَامًا فَلْيَسِدْ تَعْلِيمُ
نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ . وَلْيَكُنْ تَأْرِيبُ
سِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْرِيبِ بِلْسَانِهِ ، وَتَعْلِيمُ نَفْسِهِ
وَمُؤَرِّجُهَا إِلَى الْحَقِّ بِأَرْجُلِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ
النَّاسِ وَمُؤَرِّجُهُمْ .

في البيان : حكم أمير المؤمنين : ١٣

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

دراسات

* الشيخ

مصطفى نصير

(لبنان)

قال تعالى في محكم كتابه:

«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم» (١).

(١) التوبة : ٧١.

وروي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال في حديث له :

« إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحاء ، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض ، وتأمين المذاهب ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر الأرض ، وينتصف من الأعداء ، ويستقيم الأمر ، فأنكروا بقلوبكم ، والفظلوا بألسنتكم ، وصكوا بها جباههم ، ولا تخافوا في الله لومة لائم ... » (٢).

(٢) الكافي : ٥ : ٥٥ - ٥٦.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

« ... إذا أذيت وأقيمت استقامت الفرائض كلها هيئتها وصعبها ، وذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع رد المظالم ومخالفة الظالم ، وقسمة الغني والغنائم ، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها » (٣).

(٣) تحف العقول : ٢٢٧.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الواجبات والتكاليف الشرعية التي نص عليها القرآن الكريم ، وأكدها السنة الشريفة ، وحث عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام . هذه الفريضة المهمة تعد ضماناً لحفظ الدين من الضياع ، وصيانة

المجتمع الاسلامي من الفساد والانحراف .

وقد جعلها الله سبحانه وتعالى في عاتق كل فردٍ من أفراد المجتمع الإسلامي بما يتناسب مع موقعه وقدرته ، لتشكّل حالةً من التكافل الاجتماعي في المجال التربوي والاخلاقي ، على غرار التكافل الاجتماعي في المجال الاقتصادي والمعاشي ، الذي وضعت له الشريعة الإسلامية سلسلة من الأحكام والقوانين .

وفي العصر الحاضر ونتيجة للتطور الحضاري السريع الذي عمّ العالم أجمع ، نجد أن وسائل التأثير الثقافي والتربوي قد تطورت أيضاً ، وتضاعفت بذلك قدرة زعماء الكفر ورؤاد الفساد على بثّ سمومهم وأفكارهم المنحرفة ، وإيصالها إلى كل مكان ، مستخدمين أكثر الوسائل الشيطانية اغراءً وإيحاءً . أضف إلى ذلك السيطرة السياسية التي تمهّد الأرضية الملائمة لنشر الفساد وزرع بذور التفكك الخلقي ، بحيث يمكن أن يقال أن مهمة الأنبياء والشرائع السماوية تتعرّض اليوم لأعتى الحروب وأشرسها وبوسائل وأسلحة حديثة وفتاكة .

من أجل هذا كان علينا - نحن المسلمين - أن نفكر بتطوير أدواتنا ، وشحن أسلحتنا ، وزيادة استعدادنا لخوض هذه الحرب بكامل القدرات والامكانيات ، وترك التواكل .

والشريعة الاسلامية الغراء التي تهدف إلى كمال الانسانية وتنظيم شؤون البشر ، لها عناية خاصة بإصلاح الفرد عن طريق الرقابة والمحاسبة النفسية ، فتعتمد على قدرة الانسان على التحكم بقواه الشهوانية وغرائزه الحيوانية بما أوتي من عقل وقوة مدركة ، ومجموعة الأحكام والتعاليم التي تُعنى بهذا الجانب الإصلاحي أطلق عليها اسم : جهاد النفس ، والجهاد الأكبر .

كما أن للشريعة الاسلامية عناية أخرى تخصّ حالة الإصلاح من خارج النفس ، عن طريق الغير ، أطلق عليها اسم : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهي وظيفة الانسان تجاه بني جنسه ومجتمعه ، ويمكن أن نقول أنها وظيفة تحمّل الفرد مسؤولية إصلاح المجتمع ومراقبته ، كما حمّله مسؤولية إصلاح

نفسه ومراقبتها في مرتبة سابقة .

والقرآن الكريم يحكي لنا وصايا لقمان لابنه وهو يعظه ، ومن جملتها :

﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ (٤) .

(٤) لقمان : ١٧ .

فجعل الأمر بالمعروف بعد إقامة الصلاة ، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فهي من أبواب صلاح النفس ، والأمر بالمعروف مسؤولية إصلاح المجتمع ، وهذا الترتيب طبيعي جداً ، النفس ثم الغير .

وعن علي عليه السلام أنه قال : « وانها عن المنكر وتناهوا عنه ، فإنما أمرتم بالنهي بعد التناهي » (٥) .

(٥) نهج البلاغة / الخطبة

١٠٥

وقال عليه السلام : « لا تكن ممن ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا يأتي » (٦) .

وقال عليه السلام : « لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به » (٧) .

(٦) نهج البلاغة / المحكمة

١٥٠

(٧) نهج البلاغة / الخطبة

١٢٩

الاسلوب العملي للأمر بالمعروف :

وعلى ضوء ذلك تتبين أهمية الالتزام العملي بالمعروف ، حتى أنه في كثير من الأحيان يكون نفس الالتزام العملي كافياً في دعوة الآخرين إلى العمل بالمعروف وترك المنكر ، فكيف به إذا اقترن بالقول ؟ نعم يمكن أن نعمم مفهوم «الأمر» إلى ما هو أوسع دائرة من الأمر القولي ، فإنه وإن كان ظاهر الأمر اختصاصه بالقول ، لكن باعتبار أن الغرض من ذلك تحقيق الالتزام بالمعروف والإتيان به من قبل المأمور ، ترتفع خصوصية الأمر القولي ، ويتعدى ملاك الحكم إلى كل أسلوب من أساليب الدعوة إلى المعروف والزجر عن المنكر . فربما تكون الممارسة العملية من أفضل وسائل نشر المعروف ، كما هو الحال بالنسبة لنشر المنكر والفساد .

فللممارسة العملية إذن دوران مهمان ، دور باعتبارها إحدى وسائل وأساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودور باعتبارها أحد شروط تأثير الدعوة اللفظية للمعروف .

ومن الطبيعي جداً أن لا يجد الداعية أي نتائج عملية في نشاطه التبليغي والتربوي ، إذا كان شخصياً ممن يتسامح عملياً بالتزاماته ، ولا يدعم نظرياته بالتطبيق ، ولا يتقيد بالتناهي عن المنكرات . ولعل أمير المؤمنين عليه السلام أراد الإشارة إلى هذا الأمر في خطبته التي يقول فيها :

« أيها الناس ، إني والله ما أحكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها ، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتأمر قبلكم عنها »^(٨) .

(٨) نهج البلاغة / الخطبة

١٧٥

وهذه نقطة جديرة بالاهتمام والوقوف عندها ، بالنسبة لمؤسساتنا المتصدية للدعوة والتبليغ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فمن الضروري جداً التأكيد على عناصر هذه الأجهزة بأن يتقيدوا بدقة بالأحكام الشرعية ، والقوانين الموضوعة من قبل الدولة الإسلامية ، ليكونوا مثلاً يُقتدى به من جهة ، ولتصدق أعمالهم أقوالهم فيما لو طلبوا من الآخرين التقيد بها .

وفي رواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام يخاطب فيها شيعته فيقول :
« كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ؛ ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير ، فإن ذلك داعية »^(٩) .

(٩) الكافي ٢ : ٧٨ .

والمقصود من قوله : بغير ألسنتكم : أي بجوارحكم وأعمالكم . وقريب من هذا المعنى قوله عليه السلام :

« رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناًراً ، كانوا دعاة إلينا بأعمالهم ومجهود طاقتهم ... »^(١٠) .

(١٠) تحف العقول : ٣٨ .

ساحة الأمر بالمعروف :

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ساحتان ، تتطلب كل منهما من الأدوات والأساليب والمخططات ما يغير الأخرى :

الساحة الأولى : داخلية ، ونعني بها ساحة المجتمع الإسلامي ، المجتمع الذي يغلب عليه الالتزام بالدين عقيدة وشرعية . والتركيز هنا يكون على حفظ المجتمع من الانحراف ، وتحصينه ضد المفاصد الخلقية والاجتماعية ، وتعميق

ثقافته ووعيه بما يكفل استمرار المسيرة وتحقيق أهداف الشريعة .

وفي هذه الساحة تارة يكون ترك المعروف وارتكاب المنكر حالة فردية فيعمل على إصلاحها ، وأخرى يكون ذلك حالة جماعية منظمة فتتطلب مواجهة منظمة أيضاً ، وقدرات مجتمعة وقيادة . وإذا أُطلق على هذه المواجهة اسم الجهاد ، فلا يمنع ذلك من كونه بعض أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنَّ الجهاد يتميز باعتماد القوة والسيف في معالجة الانحرافات الجماعية . وسيأتي أن بعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : التغيير باليد المنطبق على الجهاد ، وغيره من الأساليب التي تعتمد القوة . نعم هذا النوع له شروط وأحكام خاصة بغير النوع الأول ، وسيأتي الحديث عنه تفصيلاً إن شاء الله .

الساحة الثانية : خارجية ، ونعني بها المجتمعات غير المسلمة ، التي لها على عاتق المسلمين الرساليين حق التبليغ والدعوة إلى الدين ، وتعريفها الاسلام ومعارفه ونظامه ، بما يتيح لها فرصة الاستئثار بنوره والاهتداء بهديه ، والدخول تحت ظلّه .

الارشاد والتبليغ :

ربما خَصَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الساحة الثانية المذكورة باسم : التبليغ أو الدعوة أو الارشاد ، وهذا يبنى على أساس أن ذلك منحصر في تعريفهم بالدين ، باعتبار أن الأمر بالمعروف يتوقف على أن يكون المأمور عارفاً بالمعروف والمنكر ، وهو هنا ونتيجة لجهله بأحكام الدين لا يعرف المعروف ولا المنكر . فلا بدّ أولاً من إرشاده إليه ، فإذا عرفه ولم يتقيد به صار مورداً للأمر بالمعروف . وهذا صحيح ، بل ربما يفرّق بين الإرشاد إلى المعروف والأمر بالمعروف في المجتمع الاسلامي أيضاً ، إلا أن العمل في الساحة غير الاسلامية لا ينحصر بتعريفهم بالدين ، فكثيراً ما يكون المعروف عند المسلمين معروفاً عند غيرهم ، والمنكر كذلك . كالسرقة التي يستقبحها

العقل فضلاً عن الشرائع ، وكالكذب الذي يعتبره جميع البشر منكراً ، وغير ذلك من الزنى والقتل والظلم والجور والإخلال بالعهود والعقود ... إلخ . فالنهي عن مثل هذه المنكرات يدخل في إطار هذه الفريضة ، ويمكن بذلك تعديتها إلى المجتمعات غير الإسلامية ، مع قطع النظر عن دعوتهم إلى الاسلام وإرشادهم إلى تعاليمه القيّمة . وقد يستفاد من بعض الأخبار انطباق عنوان الأمر بالمعروف على إرشاد الجاهل أيضاً ، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال : « إنما يؤمر بالمعروف مؤمن فيتعظ ، أو جاهل فيتعلم ، فاما صاحب سوط وسيف فلا » (١١) .

(١١) تحف العقول : ٣٥٨ .

* * *

شرائط هذه الفريضة :

ذكر الفقهاء شروط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما يلي :

١ - معرفة الأمر والنهي بالمعروف والمنكر ، فلا يجب على الجاهل بهما .

ولم يفرّقوا بين العلم الحاصل عن اجتهاد أو عن تقليد .

روي عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أنه قال : « إنما يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كانت فيه ثلاث خصال : عالم بما يأمر عالم بما ينهى ، عادل فيما يأمر عادل فيما ينهى ، رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى » (١٢) .

(١٢) تحف العقول : ٣٥٨ .

وسئل الامام الصادق عليه السلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : « أو يجب هو على الأمة جميعاً ؟ قال : لا ، فليل : ولم ؟ قال : « إنما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر ، لا على الضعفة الذين لا يهتدون سبيلاً إلى أي من أي ، يقول : إلى الحق أم إلى الباطل » (١٣) .

(١٣) بحار الأنوار : ٩٣ : ١٠٠ .

٢ - احتمال التأثير ، فلو علم أو اطمأن أن أمره أو نهيه لن يترك أثراً ولو بضميمة المؤثرات الأخرى لم يجب عليه ذلك . ولا ينحصر التأثير المطلوب بتحقيقه مباشرة ، وبسبب أمره أو نهيه مستقلاً ، بل يدخل فيه ما لو كان مؤثراً بانضمام أمر الآخرين ونهيههم ، أو بتكرار ذلك ، أو كان يؤثّر بعد زمن . أما مع اليأس من التأثير فلا يجب الأمر ولا النهي ، ويشير إليه ما تقدّم عن

الصادق عليه السلام في قوله : « فاما صاحب سوط وسيف فلا » .

إذ إنه كثيراً ما ينعدم احتمال التأثير مع أمثال هؤلاء ، لأن صاحب السلطة مغرور إلا من التزم الحق وأتبعه .

وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الرسول صلى الله عليه وآله : « إن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر . ما معناه ؟ قال : هذا على أن يأمره بعد معرفته وهو مع ذلك يقبل منه وآلا فلا » (١٤) .

(١٤) البحار ٧٥: ١٠٠ و ٩٣ .

٣ - أن يكون العاصي مصراً على الاستمرار ، فلو علم منه الترك سقط الوجوب ، باعتبار أن الغرض من النهي عن المنكر تحقق الترك ، وقد حصل ، فيكون فعله تحصيلاً للحاصل ولغواً ، وربما أثر سلباً فكان تركه أولى ، وكذلك في جانب فعل المعروف .

٤ - أن لا يكون في الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر مفسدة أهم من فوت المعروف أو مفسدة المنكر ، فبحسب قاعدة التزام تسقط فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمفسدة الأهم تارة تكون على الأمر الناهي ، كما لو كان ذلك يؤدي لتوجه ضرر معتد به على نفسه أو عرضه أو ماله المعتد به ، وتارة تكون على غيره كما لو انعكس الأمر بالضرر على قومه وأصحابه وأتباعه ، أو على مذهبه ودينه ، فعند ذلك يسقط الوجوب بل ربما حرم .

وهذا إنما يتصور في الموارد التي يكون فيها المعروف والمنكر دون المفسدة أهمية كما وضّحنا . أما الموارد التي يعلم اهتمام الشريعة المقدسة بها ، كحفظ النفوس المحترمة ونواميسهم ، وحفظ آثار الاسلام وشعائره الكبرى ، وأمثال ذلك مما يرخص في مقابله الغالي ويهون النفيس حتى لو كان مالاً أو نفساً ، فلا بدّ من البذل والتضحية في سبيل ذلك .

ومن الموارد المهمة في نظر الشريعة المقدسة ظهور البدع المؤدية إلى هتك الاسلام وزعزعة عقائد المسلمين ، فلا يجوز في مثل هذه الموارد سكوت أهل العلم والزعامة المذهبية ، بل يتعين عليهم التصدي لإظهار الحق وفضح البدع ، ولو علم عدم التأثير على أهل تلك البدع ، لأن المقصود الحيلولة دون

انخداع العوام وضعفة العقول بها ، إذا لم يمكن محوها وإزالتها .

دائرة الأمر والنهي بين الحاكم والأمة :

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لتأمرن بالمعروف وتنهين عن المنكر أو ليعنكم الله بعدا ب » ثم قال : « من رأى منكراً فليذكره بيده إن استطاع ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذك كاره » (١٥) .

(١٥) البحار ١٠٠ : ٨٥ .

وعن علي عليه السلام قال : « أيها المؤمنون ، إنه من رأى عدواناً يعمل به ، ومنكرأ يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ، ومن أنكره بلسانه فقد أجز وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين » (١٦) .

(١٦) نهج البلاغة / الحكمة

٣٧٣

وتبعاً لمثل هذه النصوص قسم الفقهاء مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى ثلاثة ، ينتقل إلى المرتبة اللاحقة عند العجز عن المرتبة السابقة ، وكل مرتبة من المراتب الثلاثة لها مراتب من حيث الشدة والضعف بما يتناسب مع الموضوع . وهذا الترتيب طبعي جداً ، بعد أن فرضنا أن كل فرد في المجتمع مسؤول عن صلاح المجتمع الإسلامي وسلامته ، وبعد أن فرضنا أن التكاليف الشرعية منوطة بالقدرة وأنها تسقط بالعجز .

إلا أن بعض مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحتاج إلى تنظيم وإدارة وإشراف من قبل المتولّي لشؤون المسلمين ، لأن إطلاقها وترك أمرها لعامة المسلمين يؤدي إلى الوقوع في مفسد كبرى أشدّ خطراً على المجتمع من خطر المنكر وترك المعروف .

قال الشيخ المفيد : « إنكار باليد بالقتل والجراح لا يكون إلا بإذن السلطان المنصوب لتدبير الأنام ، فإن فقد الإذن بذلك لم يكن له إلا بما يقع بالقلب واللسان وباليد ، ما لم يؤدّ إلى سفك الدماء ، وما تولّد من ذلك من إخافة المؤمنين على أنفسهم والفساد في الدين ... أما إقامة الحدود فهو إلى سلطان الاسلام المنصوب » (١٧) .

(١٧) المقنعة / باب الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر

(مختصراً)

وقال الشيخ الطوسي : « وإنكار المنكر يكون بالأنواع الثلاثة التي ذكرناها ،

فأما باليد ، فهو أن يؤدّب فاعله بضرب من التأديب ، إما الجراح أو الأثم أو الضرب ، غير أن ذلك مشروط بالإذن من جهة السلطان ، حسب ما قدّمناه ، فمتى فقد الإذن من جهته اقتصر على الإنكار باللسان والقلب « (١٨) .

وقال الشيخ سلال الديلمي : « فأما القتل والجراح في الإنكار فإلى السلطان أو من يأمره السلطان ، فإن تعدّر الأمر لمانع فقد فوّضوا عليه السلام إلى الفقهاء إقامة الحدود والأحكام بين الناس » (١٩) .

وهكذا باقى الفقهاء حتى زماننا هذا . يقول الإمام الخميني (رضوان الله عليه) : « لو لم يحصل المطلوب إلّا بالضرب والإيلام فالظاهر جوازهما مراعىً للأيسر فالأيسر ، والأسهل فالأسهل . وينبغي الاستيذان من الفقيه الجامع للشرائط ، بل ينبغي ذلك في الحبس والتحريم ونحوهما . ولو كان الإنكار موجباً للجرّ إلى الجرح أو القتل فلا يجوز إلّا بإذن الامام عليه السلام على الأقوى ، وقام في هذا الزمان الفقيه الجامع للشرائط مقامه مع حصول الشرائط » (٢٠) .

نعم لابدّ من استثناء المنكرات التي يعلم أن الشارع المقدّس لا يرضى بوجودها مطلقاً ، كقتل النفس المحترمة ، والاعتداء على الأعراض ، وماشابه ذلك . ففي هذه الموارد يمكن القول بعدم توقّف دفعها على إذن الإمام ، ولو استوجب الجرح بل القتل ، فلو توقّف دفع القاتل على قتله فإن الإقدام على ذلك لا يحتاج إلى إذن من الإمام ومن يقوم مقامه .

وظاهر كلمات الفقهاء أعلى الله مقاماتهم أن التدرج في المراتب من الإنكار بالقلب إلى اللسان ثم إلى اليد ، فينتقل إلى المرتبة العليا عند عدم تأثير المرتبة الدنيا . وظاهر بعض الأخبار أن الفريضة تبدأ بالمرتبة العليا ، ولا ينتقل إلى السفلى إلّا عند عدم القدرة . كما في الرواية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « من رأى منكراً فليغيّره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » (٢١) .

وما تقدم أيضاً عن علي عليه السلام في قصار حكم نهج البلاغة . وعلى أي حال ، فإن الفقهاء نظروا إلى مراتب التأثير ، والروايات المشار إليها ناظرة إلى مراتب القدرة والاستطاعة ، وهما أمران متغايران . نعم ، ربما

(١٨) النهاية / باب الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١٩) المراسم العلوية / باب

ذكر الأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر .

(٢٠) تحرير الوسيلة / كتاب

الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر .

(٢١) كنز العمال ٣ : ٦٦ / ح

يقال بأن المرتبة السفلى إذا كانت فاقدة للتأثير ، والمرتبة العليا يعجز عنها المكلف سقطت الفريضة وارتفع التكليف ، وأما إذا كانت المرتبة السفلى مؤثرة في رفع المنكر ، فلا يحق للمكلف اللجوء إلى المرتبة العليا ، وإن كان قادراً عليها. وهذا الأخير هو الفرض الذي التزم به الفقهاء ، وعليه فلا يبقى للروايات الأخيرة موردٌ يعمل به .

والذي تقتضيه مناسبات الحكم والموضوع أن الفرض المطلوب للشارع المقدس هو تغيير المنكر ونشر المعروف بين الناس ، فلا بد من ملاحظة الوسائل المحققة لذلك ، ولا شك بأن الكثير من الوسائل تتضمن تعدياً على حرية الآخرين ، فلا بد من الاقتصار على الحد الأدنى الذي يفي بالمطلوب ، إذ إن الزائد يكون تجاوزاً للحدود التي وضعها الشارع المقدس دون مبرر .

ومن هنا فإن التقسيم الذي ذكره الفقهاء قد لا يكون دقيقاً في بعض الحالات ، وإن كان بالجملة صحيحاً . لأن إنكار المنكر يعتمد على الأسلوب الأنسب . وبعض الأساليب التي تدخل تحت الإنكار بالقلب بحسب تقسيمهم تكون أشد إيذاءً من الأساليب التي تدخل تحت الإنكار باللسان . فإن المقاطعة والمقابلة بالوجوه المكفّهرة عند بعض شرائع المجتمع أشد تأثيراً وقسوة من النصيحة الكلامية . وعلى هذا فلا بد لنا من دراسة فنّ التأثير ومعرفة العوامل النفسية والتربوية المؤثرة في كل شريحة من شرائع المجتمع . ولا يمكن أن نسوق الناس جميعاً بعضى واحدة ، ونطبّق عليهم نظاماً واحداً في هذا المورد . ولعلّ الشريعة الإسلامية الغراء قد راعت هذه النقطة في قانون العقوبات ، فضلاً عن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، التي لم يحدّد لها أسلوب خاص . فنحن نجد أن التعزيرات تركت إلى نظر القضاة ، ليختار القاضي ما يراه مناسباً في ردع المتجاوزين للحدود الشرعية كل بحسبه . فإن الغرض منها التأديب ، وقد يحصل بسوط واحد ، وقد لا يتحقق إلا بخمسين ، وربما اكتفى البعض بالكلمة فلا داعي للسوط .

فأساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بطبيعتها لا تتركز على ثوابت، وإنما على قواعد كلية عبّرت عنها الروايات باليد واللسان والقلب . وسيأتي

مزید بیان لهذه الأمور .

والخلاصة : أنه لابد من التأكيد على أن كل مسلم في المجتمع الاسلامي يمتلك دوراً مهماً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بحسب الموقع الذي يشغله ، والأدوات التي يمتلكها . ولا يمكن لأحد أن يدّعي خروجه عن تلك الدائرة ، وأنه لا يتمكن من أداء دور ما . طبعاً لا نريد هنا أن نوكل إلى عوام الناس ومستضعفيهم مهمات تتجاوز حدود إمكاناتهم ، وإنما نريد أن نقول أن كل فرد وإن كان من عوام الناس يمتلك قدرة ويمتلك مؤهلات محدودة تمكنه من المشاركة في هذه المسؤولية ، وتقديم خدمة ما تشكل رقماً معيناً إذا ضم إلى غيره من الأرقام ، ويمتلك يدأ إذا ضمت إلى غيرها من الأيدي تكونت قوة هائلة يمكنها صيانة المجتمع ومقاومة الفساد والانحراف .

ليس لأحد أن يدّعي أن ذلك مسؤولية أجهزة الدولة فحسب . وإن كان لتلك الأجهزة الحظ الأوفى ، إلا أن عامة الناس يشكّون سداً منيعاً أمام المعاصي والانحرافات ، ويشكّون دعامة قوية للمسؤولين والقضاة إذا وعوا دورهم ومسؤوليتهم .

أجهزة الدولة الرئيسية المؤثرة في هذه الفريضة :

١ - جهاز التربية والتعليم الذي يمارس أقدس مهمة ، وهي تربية الأجيال الصاعدة وزرع الصلاح والخير في نفوسهم ، وتنشئتهم على التمسك بالإسلام نظرياً وعملياً بشكل واع .

٢ - جهاز القضاء الذي يؤدي وظيفة حفظ الحقوق العامة والخاصة ، وفص النزاعات ، والحيلولة دون التجاوزات ، وإصدار الأحكام ضد المجرمين والمفسدين والمعتدين .

٣ - جهاز الأمن الداخلي بجميع شعبه وأقسامه ، الذي يؤدي دور الحراسة وتنفيذ مهمات وأحكام جهاز القضاء ، ولوجوده أكبر الأثر في منع التجاوزات وحفظ النظام .

٤ - جهاز التشريع وسن القوانين والأنظمة التي تتكفل بالحد من الفرص

المتاحة أمام المجرمين والمفسدين لممارسة نشاطاتهم .

٥ - أجهزة الإعلام المختلفة التي يمكنها أن تقوم بدور حساس في هذا المجال عن طريق بث الوعي وزرع الفضيلة في وجدان عامة الناس ، مستخدمة الأساليب الفنية والإعلامية المتطورة والمؤثرة .

٦ - أضف إلى كل ذلك ما يمكن للدولة أن تستحدثه من أجهزة ومؤسسات مؤثرة في هذا المجال ، وربما كان من الضروري تشكيل مؤسسة تتبني دراسة الوسائل ووضع الخطط المناسبة لتنفيذ هذه الوظيفة بشكل فعال ومؤثر .

هذا كله في الدولة التي تعتمد النظام الاسلامي وتقيم أجهزتها على أساسه، بحيث يمكن لهذه الأجهزة والمؤسسات أن تؤدي دورها المطلوب في هذا المجال ، أما الدولة العلمانية فهي خارجة عن إطار ما ذكر في هذا المقطع ، ولا بد من استقلالية مؤسسات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تعمل تحت ظلها .

ومن مهمات هذه المؤسسة :

أولاً : رسم المنهجية ، وتحديد الدائرة التي يمكن لأفراد المجتمع أن يؤثروا ضمنها دورهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، باعتبار أنهم معنيون بهذا التكليف . والعديد من النصوص الشرعية تخاطب الأمة مباشرة ، وهذا يعني أنهم مكلفون بالقيام بهذه المهمة ما لم يرد دليل آخر يخصص الحاكم ببعض الموارد أو يشترط إذنه . وفي هذه الموارد أيضاً هم معنيون بالرقابة من جهة ، والدعم والتأييد من جهة أخرى . فالمجتمع بجميع أفراداه يشكل ناظراً يراقب تنفيذ الحكم الإسلامي بدقة ، وناصرأ عندما يحتاج الحاكم لدعمه وتأييده وتقوية مواقفه ، وبالتالي تمكينه من بسط يده وإعمال سلطته . إذ إن سلطان الحاكم وأدواته الفاعلة وقواه الضاربة هم عامة الناس . نعم الناس يحتاجون إلى توجيه وتنقيف وتوعية وتحديد الأدوار بدقة ، وهي مهمة العلماء الأعلام وولاة الأمر .

ثانياً: تطوير أجهزه خاصة وشبكة واسعة من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، ينتشرون في الأماكن العامة والمؤسسات والدوائر الحكومية والمساجد والحسينيات ، ويقومون بدور مباشر وفقال في هذا المجال ، وهذا الأمر يترك أثراً إيجابياً على نفسية عامة الناس ، ويشجعهم لأداء دورهم بشكل أفضل . ويمكن الاستفادة في هذا المجال من كبار السن والمتقاعدين المتطوعين وغير المتطوعين ، بعد إخضاعهم لدورات معينة قصيرة الأمد ، تزودهم بالأساليب الفنية الناجحة في إصلاح المجتمع ومنع المنكرات .

ثالثاً: هذه المؤسسة يمكنها الإفادة من المتخصصين والخبراء وتزويد وسائل الإعلام بالبرامج الخاصة المعدة من قبلها ، أو الإشراف على البرامج التي تعدها تلك الوسائل .

رابعاً: من الضروري التركيز على الوسائل العملية التي تزرع في عوام الناس وفي الجيل الناشئ حب الخير والصلاح ، والنفور من المفاسد الاجتماعية والأخلاقية .

اليـد واللسان والقلب :

المراد من الإنكار أو التغيير باليد هو إعمال القدرة والفعل في منع المنكر ، أو الحيلولة دون حصوله . وهذا يقع في دائرة واسعة تمتد حتى القتل ، ولا تنحصر بالضرب والجرح والقتل ، وإنما هذه بعض أمثلتها . وفي العصر الحاضر تضاعفت الأدوات والوسائل التي يمكن توظيفها في إنكار المنكر ، والتي يمكن أن يقع الكثير منها تحت عنوان الإنكار باليد ، ولا شك أن حصرها بحدود ضيقة يحّد من فعالية هذه الفريضة المهمة .

وكذلك مرتبة اللسان التي تشمل الوعظ والإرشاد ، وهو بلا شك فنّ قائم بنفسه ، فليس كل وعظ يؤثّر ، فربما فعلت الكلمة الصادرة من شخص معين مالا تفعله المحاضرات المطوّلة والخطب الرثانة . وبناءً عليه ، فإن القدرة والاستطاعة التي يحدّد على أساسها الانتقال من مرتبة إلى مرتبة تدخل فيها

خصوصيات نفس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فضلاً عن خصوصيات الأمور .

والخلاصة ، إن هذه الفريضة أشبه بمهمة الطبيب ، فهذا يعالج فساد الأبدان ، وذلك يعالج فساد الأخلاق والأنفس والمجتمع . وعلى كل منهما أن يعرف الداء والدواء .

يروى عن الصادق عليه السلام أنه قال : « كان المسيح يقول : ... وليكن أحدكم بمنزلة العلييب المداوي إن رأى موضعاً لدوائه وإلا أمسك » (٢٢).

(٢٢) وسائل الشيعة / أبواب

الأمر والنهي بـ ٢ ح ٤.

وأما الإنكار بالقلب ، فالذي يبدو لأول وهلة أنه عبارة عن عدم الرضا ، إلا أن الظاهر من الروايات أنه يحتاج إلى إظهار ، وإظهاره يتم بعدة أساليب ، وربما كان له أيضاً مراتب ، فإظهار الإنكار مرتبةً عليا بالنسبة للإنكار بالقلب من دون إظهار ، فعمل بعض المواقف توجب عجز المكلف عن إظهار الإنكار بأي صورة كانت ، كبعض حالات التقية والخوف على النفس ، فعندئذ لا شك بأن الحد الأدنى يكون بالاعتصام على إضمار الإنكار وعدم الرضا.

وهناك بعض النصوص تعرّضت إلى بعض أنحاء الإنكار القلبي :

فمنها : ماورد عن علي عليه السلام أنه قال : « أدنى الانكار أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفّرة » (٢٣) .

(٢٣) تهذيب الاحكام ٦ : ١٧٦

ومنها ماورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : « لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره » (٢٤) .

(٢٤) وسائل الشيعة / أبواب

الأمر والنهي بـ ٢٨ ح ٤.

وفي حديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ قال : « أما إنهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم ولا يجلسون مجالسهم ، ولكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا في وجوههم وأنسوا بهم » (٢٥) .

(٢٥) وسائل الشيعة / أبواب

الأمر والنهي بـ ٣٩ ح ٧.

الحرية والنهي عن المنكر :

في عصرنا الحاضر ونتيجة لتطور وسائل الاتصال بين مختلف شعوب العالم ، تألق نجم الديمقراطية كنظام للحكم ، ونودي بالحرية الفردية على مستوى واسع ، وكان رائد ذلك دول الغرب التي غرقت في حضارتها المادية ،

حتى نسيت القيم المعنوية والأخلاقية ، وكان نتيجة ذلك استفحال المفساد الاجتماعية ، حتى بات يستعصي حلها على مهندسي السياسة هناك وعلماء الاجتماع .

ومن المؤسف أن يندفع السطحيون من شبابنا ومفكرينا بالبريق الكاذب للعديد من المفاهيم التي سادت مجتمعات الغرب ، ومنها الحرية والديمقراطية . وأحدث هذا عندهم حالة من الاضطراب والتخبط في قراءتهم للاسلام ، فعمد فريق منهم إلى دبلجة الاسلام ليصبح ديمقراطياً تارة واشتراكياً أخرى . وعمد فريق آخر إلى التخلي عن تفاصيل الشريعة ، وتوكل للنصوص والمصادر المعتمدة في استنباط الأحكام ، ورضي من الاسلام بما لا يتعارض مع تلك الثوابت التي سلم بها ، دعياً أنه يتمسك بروح الاسلام .

هؤلاء المساكين المتأثرون بهذه النزعات ، يستنكرون الكثير من أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ إنهم يتخيلون أن الحريات الفردية تقتضي أن يمارس كل فرد الأعمال التي تعجبه ما دامت لا تتنازل من الآخرين ولا تصل إليهم بسوء ، فهم يرون أن التعرض للمرأة التي يعجبها الخروج من دون حجاب شرعي ومنهها من ذلك تجاوز على حريتها ، فأني ضرر على الآخرين في ذلك .

وكذلك بالنسبة للمنكرات الأخرى .

ونحن هنا لا نريد الخوض في الأساس الواهي الذي بنوا عليه نظرتهم للأمور ، وإنما نريد لقاء الضوء على الحريات المزعومة ، ومدى تعارضها مع فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

مايتوهم في المجتمعات الغربية أنه من الحريات الفردية وأنه لا يرتبط بالآخرين ، نحن لا ننظر إليه بالمنظار الضيق الذي يفهمون الأمور من خلاله ، وإنما ندرسه من خلال انعكاسه على المجتمع الذي يعيش فيه الفرد ، ففي المجتمع الذي نعيش ، هناك أجواء عامة تميز هذا المجتمع وتجعل منه مجتمعاً إسلامياً ، هذه المميزات يشترك في بنائها وصناعتها كل فرد من أفراد المجتمع ، فهو أشبه بالبناء المشيد من أحجار ، كل فرد يشكل حجراً من هذه

الأحجار ، وبمقدار انسجامها واتساقها وتماسكها يستقيم البناء ويتحقق له الشكل النهائي .

وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرعت لتحقيق هذا النظام الاجتماعي ، والبناء المنسجم المتماسك للمجتمع الاسلامي . وليس هناك حالة من الفساد ونوع من الانحراف لا ينعكس سلباً على المجتمع ككل ، خاصة إذا كان الانحراف والفساد علناً وجهاراً .

ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « ان المعصية إذا عمل بها العبد سرّاً لم تضر إلا عاملها ، فإذا عمل بها علانية ولم يغير عليه أضرت بالعامّة » .

(٢٦) وسائل الشريعة / أبواب
الأمر والنهي ب ٤ ح ١

قال الصادق عليه السلام : « ذلك أنه يذلّ بعمله دين الله ويقتدي به أهل عداوة الله » (٢٦) .
وقد أطلق عليه المعصية ، فهي تشمل كل معصية صغيرة كانت أو كبيرة .
ويعني ذلك أن المعصية مهما كانت فهي تنعكس على المجتمع الاسلامي إذا ارتكبت علناً ، وهذا يعطي لكل فرد من أفراد المجتمع الحق بالتصدي لمنمها ، لكونها تجاوزاً عليه ، إذ إن التجاوز على المجتمع تجاوز على كل أفرادهِ . ومن الطبيعي أن الحريات الفردية - حتى في المجتمعات الغربية غير المتديّنة - لا تقرّ الحريات التي توجب التجاوز على حقوق الغير .

هذا فضلاً عن كون المنع من ارتكاب المعاصي يعود نفعه على نفس الشخص الممنوع ، لأن المسلم يدرك تبعات هذه المعصية وآثارها الدنيوية والأخروية ، وبالتالي تكون الحيلولة بينه وبين ارتكاب المعصية والمنكر إنقاذاً له من الانزلاق في هاوية سحيقة ، ومن الابتلاء بما يعود عليه بالضرر الذي لا يدرك بعده ولا مداه .

ومن العجيب أن يعدّ الطبيب الذي يقهر المريض ويكرهه على قبول العلاج ، ويمنعه من تناول ما يضرّ ببدنه ، يعدّ مخلصاً حريصاً على مصالح الآخرين ، ولا يعتبر متجاوزاً لحدوده ، بينما يعدّ الناصح الأمين الذي يكره الناس على الالتزام بالمعروف والامتناع عن المنكر متجاوزاً ، مع أن هذا أحرص من ذاك وأشدّ رحمة به من نفسه .

وإذا كان الاسلام ينفي الاكراه في الدين ، فذلك في أصل العقيدة وفي

التكاليف التي لا تتأتى إلا مع القصد والنية ، وأما التكاليف التي يخلّ تركها بالنظام الاجتماعي الإسلامي فإنه لا يترك الحرية للفرد الذي يعيش في مجتمع المسلمين بتركها .

ومن هنا نجد أن الاسلام يفرض على أهل الكتاب الذين يعيشون في ظلّ المجتمع الاسلامي أن يمتنعوا عن ممارسة العديد من الأعمال التي لا يرتضيها الاسلام ، وإن كانت مباحة بحسب اعتقادهم ، كالتظاهر بشرب الخمر وبيعه ، وممارسة الزنى خاصة بالمسلمة ، حتى أنه يقتل لو ثبت عليه ذلك ، بل يقتل بمجرد التعرّض لأعراض المسلمين ، وكذلك فيما يتعلّق بفتنة المسلمين عن دينهم ، فلا يترك لهم حرّية الدعاية الدينية ، إلى ما هنالك من أحكام تخصّصهم . وليس تشريع الحدود والتعزيرات الاسلامية إلا لأجل صيانة المجتمع الاسلامي من المفاسد والانحرافات الخطيرة ، فالحذّ رادعٌ إكراهي لمن يحلّو له تجاوز الأحكام والأنظمة الشرعية ، وهو يؤدي هدفين : الأول على صعيد المجرم نفسه ، والآخر على صعيد الآخرين الذين يكفي لردعهم خوفهم من الوقوع تحت وطأة الحدّ .

ولا شك أن ارتكاب المعصية علناً يترك أثراً أكبر في تحريك أفراد المجتمع نحو الانحراف من ارتكابها سراً ، وقد فرّقت النصوص الشرعية بين الحالتين ، كما تقدم في الرواية عن النبي ﷺ .

يتّضح من هذه الجولة أن الحرية الفردية تنتهي عندما يكون هناك تجاوز على حقوق الآخرين ، وعلى حقوق المجتمع ككل ، وأن الكثير من المعاصي والممارسات المحرّمة في الشريعة الاسلامية إذا ارتكبت علناً أضرت بالنظام وبالمجتمع ، فتشكّل مورداً من موارد التجاوز على حقوق الآخرين ، وعليه فهي خارجة عن دائرة الحرّيات الفردية .

والعجيب أن المجتمعات الغربية التي تعتبر نفسها الرائدة في الديمقراطية والحفاظ على حقوق البشر والحرّيات الفردية ، ترى من حقوق الفرد أن يقيم دعوى على من يلبس السواد مثلاً محتجاً بأن ابنه الصغير يخاف من منظره ، ويطالب بمنعه من ذلك ، أو على امرأة تلبس الحجاب ، باعتبار أن شكلها يثير

اشمئزازه ، فتحرم من الدخول إلى قاعات الدرس ، بينما يعتبرون الانسان حراً في كتابة أقذر عبارات الفحش والسباب والشتائم التي تثير مشاعر مئات الملايين من المسلمين ، ويدافعون أشدّ الدفاع عنه ، تحت عنوان حرية الرأي والقلم ، كما حصل بالنسبة للمرتد سلمان رشدي .

إنهم تجيش عواطفهم ويذرفون دموع التماسيح على مجرمين عاثوا في الأرض فساداً إذا أقيم عليهم حدّ ، أو أودعوا السجن ليرتاح الناس من شرّهم ، ويجزّمون من ضرب كلباً أو وصفه بعبارة مهينة تأذّت منها سيّدة ذلك الكلب فطالبته بالتأر به .

هذه نماذج مختصرة ، وهناك ما لا يحصى من الأمثلة التي تمتلئ بها صفحات المجالآت والجرائد كل يوم عن الحرية الكاذبة والحقوق الممسوخة للبشر في المجتمعات الغربية .

* * *

قال الإمام غوث (ع) :

قَوَامُ الشَّرِيعَةِ
لِلَّهِ مُرَبِّهِمْ وَلِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِإِمَامِهِ الْكَرِيمِ

غفر له ٢٤ ص ٨٠

قصة :

حكاية

فنون وآداب

* السيد

علي الموسوي

(العراق)

كان لا يفتأ يحثُ ناقتهُ على الاسراع ... يحرصُ دائماً لأن يكونَ في المقدمة ...



لو لم يغدُ امرأً مستهجناً ، لتركَ القافلة ، ورافقَ السفرِ

وانطلقَ وحيداً ، ليصلَ المدينةَ المنورة ، على جناحِ السرعة ...

ولكن ... أيّ جناح ، وأيّة سرعة ؟ !

وهل قصارى ما يبلغُهُ جهْدُ ناقتهِ ، غيرَ هذا ... ؟

آه ... لو كانَ له جناحانِ يطيرُ بهما ... ! لكانَ الآنَ في المدينةِ ، بينَ يدي

سيده ... ولنالَ تلكَ المكافأةَ التي لا يريدُ ولا يطمعُ بأكثرَ منها ... !

وليس أسرعَ من أن صوّرتهُ مخيلتهُ ، داخلَ الدار ، حاملاً متاعه على

ظهره ...

الامامُ يجلسُ وحيداً في مكانه المعهود ...

لمحّه يدخلُ ... نهضَ مرحّباً ... تملّفَ بكلامه يخفف عنه عناء السفر ...

يجلسُ هو يتحدثُ عن نجاحِ مهمته :

توجهتُ مع مجموعةٍ من التجارِ إلى مصر كما امرتَ يا سيدي ...

أحسّ أن صوتهُ بدأ يرتفع ... تَلَفَّتْ حولهَ محملاً في وجوهِ رفاقه ، باحثاً عن

صدى احساسه ذاك ...

ولما ظنَّ انه لم يسمعهُ احد ، عادَ يتملّى المشهدَ الذي رسمتهُ مخيلتهُ ...

حنى رأسه رافعاً يديه بالدعاء : أحمَدُ الله - يا سيدي - أنْ مَنْ عليك بالربح الوفير.

مدَّ يده للجراب الذي وضعه بجانبه ، اخرج كيسين ، قال وهو يقدمهما له : هذا الألف دينار الذي اعطيتني ... وهذا ألف آخر ربح ...

وطرفت عيناه الى وجه سيده ، مختبراً وقع كلماته عليه ...
كان يأمل ان يرى تلك الابتسامة العذبة وهي تشيع فيه فتتلاها قسماته بإشراقه محببة ... !

- يا مصادف ، يا مصادف .

التفت فرعاً ، كمن ضُبط متلبساً بجرم .

- اجل ، اجل !

اشار الرجل إلى الارض ، ثم حفن التراب ، وقال : انظر ...! انها ارضي ...
ارضي ولكن ، قل لي ماذا افعل ؟ ... لقد سئمت ، سئمت ، ... عام خصب ، وعام جذب ...!

ردّ مصادف غير مصدق : أين نحن من ارضك يا رجل ؟ !

- أفق يا صاحبي ...! نوسك ان تشرف على المدينة ...!

- آه ...! حقاً تقول ؟! ... مرحى ، مرحى ... يبدو انني غبت في عالم بعيد ...

آه ... بُشِّرَتْ بالخير.

امسكت السماء قطرها ... وعمّ الجفاف اراضي الحجاز وما جاورها فيبس الزرع ... وجثم شبح الجوع المخيف ... وتمرُّ شهور قاسية تلتهم موارد الناس وما يدخرون ، وتضيّق عليهم سبل حياتهم ... فيخرجون ساعين هنا وهناك بحثاً عن لقمة العيش ، وهرباً من هذا الشبح المرعب ...

يذهبون بعيداً ... حيث تهلّ بشائر الحياة والنماء ...

وهكذا تتوارد القوافل التجارية على مصر والشام ، وتصدر عنها ، وهي

تنوء بأحمالها من المواد الغذائية والتموينية ...

وكالنجدة التي يُغاث بها الجيش المحاصر ، يستقبل الناس نبأ وصول

إحدى القوافل التجارية العائدة ...

- إن هذا الربح كثير ، ولكن ما صنعتُم في المتاع ؟ تساءل الرجل بوجه مشرق باسم .

ردّ محدّثه بفرح طاغ :

- عندما دنونا من مصرَ ، استقبلتنا قافلةٌ خارجةٌ منها ... فسألناهم عن المتاع الذي مَعنا ، وما حاله في بلادهم ... فأخبرونا أن ليسَ بمصرَ منه شيء ... وهكذا تحالفنا وتعاهدنا أن لا نُنقصَ متاعنا من ربحِ الدينارِ ديناراً ... غاضتِ الاشرافُ من وجهِ الرجلِ ، وكسّتْ ملامحهُ غلالةَ حمراءَ شفيفة ، وقالَ بغضب :

- سبحانَ الله ، تحلفونَ على قومٍ مسلمين ، ألا تبيعوهم إلا بربحِ الدينارِ ديناراً...؟!

ثم مدّ يدهُ إلى أحدِ الكيسين ، وأردف :

- هذا رأسُ مالي ، ولا حاجةَ لنا في هذا الربح .

- ولكن ... يابنَ رسولِ الله ! إنني ...

- يا مصادف ، مجالدةُ السيوفِ أهونُ من طلبِ الحلال .

قال جعفرُ بن محمد الصادق عليه السلام ذاك ، ونهضَ تاركاً مولاه نهياً للحيرة ...

يا إلهي ... ! ماذا يفعل ؟ كان يحسبُ انه سيُدخلُ السرورَ على قلبِ ابنِ

رسولِ الله ، فإذا هو يغضب !! ما الذي يستطيعُ فعله ؟!

كيف له تداركُ ما فات ؟! وهذا الكيس ... هذا المال الذي رفضَ الامامُ قبوله ،

ما تراه فاعلاً به ؟!

اطرقَ مفكراً ، ساعياً إلى الخروجِ من هذا المأزقِ الذي وجدَ نفسه فيه ...

هل يجتهدُ هو في انفاقِهِ في وجهِ من الوجوه التي يرى فيها صلاحاً

ومنفعةً ؟ ... أم يذهبُ يستشيرُ الامام في ذلك ؟

* * *

تفاقت الأزمّة ... واشتدت الحالةُ بؤساً وعناءً ولم تعدْ المؤنُّ والبضائعُ

التي تجلبها القوافل التجارية سوى اسعافات أولية لا تلبي الحاجة الملحة ، ولا تُغني في مواجهة الوباء الذي استشرى ، ولم يعد يُرجى من وسيلة لتطويقه إلا إعلان حالة طوارئ عامة .

وإذا كانت السماء قد سمحت بشيء من قطرها ، فإن الجوع لم يُبق في أيدي الناس ما يبذرونه .

ولا غرو أن تكون الوطأة أشد على الفقراء والمساكين ...

اولئك الذين لم تستقم لهم حال في الرخاء ، فكيف بالشدة ؟!

ولكن ... إذا كان أمرهم قد هان على الولاة الظلمة ، أو على الناس ، فإنه لم يهن على الخالق الرازق ...

وكان لهم موعد مع عبد من عباد الله ، كل ليلة ...

- لا اكتمك يا صاحبي أني سمعت من يقول: إنه جعفر .

- جعفر الصادق ؟!

- وهل في الامر ما يدعو للعجب ؟

- أبدأ ، أبدأ ، ولكنني حسبته في شغل عن هذا ... ظننت أنه منصرف لتفقيه

الناس بمعالم دينهم ، ونشر معارف القرآن وعلومه ... ذلك اني ما رأيته يوماً إلا وقد احاط به العلماء وطلاب العلم .

- هؤلاء أهل بيت ، شعارهم العلم والعمل .

- الله أعلم حيث يجعل رسالته .

* * *

كل شيء كما أراد ... أجل كما أراد ...

انطبعت على ملامحه السمراء ابتسامة صامته ، وعاد يوزع نظراته بين

الأكياس المسندة الى بعضها بعناية ، ويقول بصوت مسموع :

- هذا رز ، وهذا قمح وتلك هي زقاق السمن .

وانفجرت شفتاه - ثانية - عن ابتسامة راضية ... وتراجع تاركاً مخزن

المؤمن ... هَمَّ بإغلاقِ الباب ...

- هاه ... مَنْ ينادي ؟! ترك الباب على حاله وأسرع ملياً.

- أجل يا بنَ رسولِ الله .

- يا معتب .

- نعم يا سيدي .

- كم عندنا من طعام ؟

ردّ وهو يبتسم :

- عندنا ما يكفينا أشهراً كثيرة ، يا مولاي .

- اخرجْه وبعه .

نعم ؟! ماذا ؟! هل اخطأ سمعه ؟! لا يمكن ! وهل الامام لا يعلم بوضع

السوق ؟!

- ابيعْهُ وليس في المدينة طعام ؟! ردّ كمن أصابه البله ...

- بعه .

- ولكن يا سيدي ...

- اشترِ مع الناس يوماً بيوم .

كلّا ، كلّا انه لا يتوهم ، ها هو الامام يأمره ، وما عليه إلا ان يقول :

- سمعاً وطاعة يا بنَ رسولِ الله .

- يا معتب ، اجعلْ قوتَ عيالي نصفاً صغيراً ، ونصفاً حنطة .

قال الصادقُ ذاك ، ودخل إلى حجرة كبيرة ، حيث كان ينتظره تلاميذه .

* * *

انهى الاستاذ درسه ... وشيئاً فشيئاً راح الجمعُ ينفُضُ من حوله ويتفرقُ ...

مكثَ ريثما ابتعد التلاميذ ، ثم نهضَ بهمة ... تناولَ ازاراً غليظاً ملقى هناك

وخرج ...

وفي وهج حرارة الشمس ... لمحَ احدُ التلاميذ استاذَه وهو يلجُ بستاناً قريباً

فتعجب ...

ترى ما الذي يروئُهُ من الخروج في هذه الساعة من النهار ؟ أليس لديه مَنْ يكلفه القيام بالعمل الذي يُريد ... ؟

وإذا كان هناك من عملٍ يتطلب جهداً ومشقة ، ترى فلم لا يستأجرُ أحداً لانجازه ... ؟

ولم يُضغْ وقتَه بمزيدٍ من الاسئلة ، بل تبع استاذَه ...
ولشدَّ ما اذهلته المفاجأة ... كان الاستاذُ على شيخوخته وجلالةِ قدره يُمسكُ بالمسحاة ، وقد ألقى عليه إزاراً غليظاً ، وراح يعملُ بصبرٍ وجَلَدٍ على رغم الحرِّ الشديد ...

تقدم التلميذُ بخطواتٍ سريعة ، وهتف :

- جُعِلت فداك ، أعطني أكفك ... !

رفع الاستاذُ رأسه ، وطاقفت على قسمايته المشرقة الوقور ابتسامةً وقال :
- اني احبُّ ان يتأذى الرجلُ بحرَّ الشمس في طلبِ المعيشة .
اصغى التلميذُ لكلامِ الاستاذِ ، واستغرقه التفكير طويلاً .

لم يكن ما سمعه محض كلام ... كلاً ... بل كان مشهداً حياً رائعاً ، امتزجت فيه حباتُ العرق ، بالانفاسِ اللاهثة ، بلمسِ اليدينِ المحمرتين المخشوشنتين ، وبهذه الشخصية القدسية الصادقة .

تذكر الرجلُ قطعة الارضِ الجرداء التي يمتلكها؛ وقالَ مع نفسه :

- آه ، انه درسٌ بليغٌ لي ... درسٌ جديدٌ من حياةِ هذا الرجلِ العظيم ...

ألقى نظرة طويلة على ما حوله ...

كل شيء اخضر باسم ...

نظر إلى استاذِه واقفاً تحت اشعة الشمس ، دقق النظر إلى ظهره الذي ابتُلَّ بالعرق ، وترقرقت عيناه بالدموع ... ثم عاد يناجي نفسه قائلاً :

نعم ما أخذ استاذي به نفسه ... ! وهل فوق ابن رسول الله من مطمح

لمُفآخر...!؟

استعادة العزة

وفيق الأرمي وحسين
ومفيدة الخميني

دراسات

* الدكتور

محمد علي ادرشب

رحت أفكر بالقاسم المشترك الأكبر بين ثورتَي الإمام الحسين وحفيده الخميني ، وبعد دراسة للمواقف والأقوال خرجت بنتيجة أحسبها هامة ، هي أن «العزة» تشكل هذا القاسم الأكبر ، ثم رحّت أنظر في أهداف الإسلام من كل تعاليمه وتشريعاته الفردية والاجتماعية ، فوجدت أنها تتجه للالتقاء في بؤرة واحدة هي «العزة» أيضاً ! فاتخذت هذا الهدف الكبير عنواناً لمقالي .

بدأت المقال باستعراض سريع لمعنى العزة في المفهوم الإسلامي ، ثم لاحكام الإسلام التي تصبّ بأجمعها في تحقيق عِزّة الإنسان المسلم ، بل مطلق الإنسان الذي يعيش في المجتمع الإسلامي ، ثم استعرضت ما حاق بالمجتمع الإسلامي من حالة أدت به إلى سيطرة الذلّ عليه ، وموقف أهل بيت رسول الله ﷺ من هذه الحالة وجهودهم لاستعادة العِزّة ، ثم ركزت على موقف الحسين عليه السلام بهذا الشأن ، وأوضحت بنقاط مقتضبة ما حاق بالعالم الإسلامي من حالة ذل وفقدان عِزّة بعد عصر الاستعمار ، وموقف الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه من هذه الحالة ، وما كان لهذا الموقف من نتائج على العالم الإسلامي . كل ذلك باختصار شديد خشية الخروج عن حدّ المقال المطلوب ، وذكرت في الهوامش ما يفيد القارئ إن أراد التوسع في هذا البحث .

العزّ والذلّ:

العزّ في اللغة : هو القوة والشدّة والغلبة .

والعزّ والعزّة : الرفعة والامتناع .

والعزیز من صفات الله عزّ وجلّ وأسمائه الحسنی . قال الزجاج : هو الممتنع فلا يغلبه شيء ، ومن أسمائه عزّ وجلّ : المعزّ ، وهو الذي يهب العزّ لمن يشاء من عباده ، والعزّ خلاف الذلّ^(١) .

والانسان بفطرته يتجه إلى الله سبحانه^(٢) ، أي يتجه إلى اكتساب صفات الكمال الالهية ، ومنها العزّة ، ولكنه قد تصدّه عوامل عديدة عن هذه الحركة فيقع في حالة الذلّ : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾^(٣) ، ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾^(٤) ، وقد يتحرك تحركاً منحرفاً فيتجه نحو عزّة ﴿ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَخْشِبُهُ الظُّمَانُ مَاءً ﴾^(٥) ، يرى هذه العزّة مجسّدة - مثلاً - في طواغيت الارض : ﴿ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّمَا نَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾^(٦) ، ويبتغيها أحياناً عند أعداء الدين كما يفعل المنافقون : ﴿ بَشِيرِ الْمُنَافِقِينَ بَأَن لَّهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً^(٧) .

والدعوة الالهية تتجه أول ما تتجه إلى محاربة كل العوامل التي تصدّ الانسان عن التحرك نحو كماله ، وتنتشله من حالة الذلّ ، ثم توجهه إلى المصدر الحقيقي لعزته كي لا يلجأ إلى مصادر سرابية كاذبة : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً ﴾^(٨) ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٩) .

وشدّدت السّنة على ضرورة صيانة عزة الانسان المسلم وحرمة إذلاله . يقول الامام الصادق عليه السلام : « إِنَّ اللَّهَ فَوْضَ إِلَى الْمُؤْمِنِ أَمْرَهُ كُلَّهُ ، وَلَمْ يَفُوضْ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِيلًا . أَمَا تَسْمَعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ؟ قَالُمُؤْمِنٌ يَكُونُ عَزِيزًا وَلَا يَكُونُ ذَلِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَعَزُّ مِنَ الْجَبَلِ ، إِنَّ الْجَبَلَ يَسْتَقَلُّ مِنْهُ بِالْمَعَاوِلِ ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يُسْتَقَلُّ مِنْ دِينِهِ شَيْءٌ »^(١٠) .

وسنرى أنّ المحاور الأساسی في جميع أبعاد التشريع الاسلامي ،

(١) لسان العرب ، مادة عزّ .

(٢) انظر محاضرات السيد

الشهيد الصدر حول «السفر

التاريخية في القرآن الكريم»

ففيها عرض دقيق لنظري

المثل الاعلى في حركة

التاريخ .

(٣) البقرة : ٦١ .

(٤) آل عمران : ١١٣ .

(٥) النور : ٣٩ .

(٦) الشعراء : ٤٤ .

(٧) النساء : ١٣٨ - ١٣٩ .

(٨) فاطر : ١٠ .

(٩) المنافقون : ٨ .

(١٠) مشكاة الانوار : ٥٠٠ .

الاقتصادية منها والسياسية والاجتماعية ، تدور حول محور صيانة عزة الانسان وإبعاده عن حالة الذل .

ونقف ولو قليلاً عند معنى العزة لنبيّن موقعها من الفرد والمجتمع ، ومدى إسهامها في البناء والحركة ، ثم نلقي الضوء في مقابل ذلك على اخطاء الذل في المجتمع .

إذا تأملنا في المعنى اللغوي والاصطلاحي (كما ورد في القرآن وسائر النصوص) لكلمة العزة ، وجدنا أنها حالة نفسية تجعل الانسان يحس بالقوة والمنعة والكرامة والشخصية ، وهذه الحالة تتوفر حين يجد الانسان نفسه مسنوداً ومدعوماً من قوة كبيرة خارج ذاته ، والانسان المؤمن يجد في ارتباطه بالله عزاً يوفر له الثقة بنفسه ، وينمي فيه الاحساس بالكرامة وعلو الشخصية ، فيترفع عن التواضع ، ويصون نفسه من الانزلاق في الشهوات^(١١) ، ويبتعد عن كل ما يمس منزلته ؛ وتأتي كل تشريعات الاسلام لتوفر للفرد المسلم تعميق هذا الاحساس بنفسه ، وصيانتة من كل مسّ وخط . وكان هذا الاحساس بالعزة - في الواقع - وراء كل ما شهده المجتمع الاسلامي من حركة جهادية وعلمية ، ووراء كل تطوّر اصيل في عصور التاريخ الاسلامي في حقل الهدم والبناء والمعرفة .

ولا أكون مبالغاً إذا قلت : إن أكثر ما شهده المجتمع الاسلامي من نكسات وانحرافات واضطرابات وفتن ، يعود إلى غياب العزة الاسلامية ، وظهور حالة الذل في المجتمع ؛ وذلك لما يلي :

١ - الدليل صغير في كل ما يصدر عنه من موقف وسلوك ونظرة ، وهو لذلك ينظر إلى الاشياء الصغيرة على أنها كبيرة ، ويبتلى بالامور التافهة التي تشغله عن الامور الكبيرة^(١٢) .

٢ - الدليل لا يستقيم على موقف صادر عن شخصيته الفكرية وقناعاته الذاتية ، لأنه يفتقد الشخصية ، ولذلك يكون آلة طيعة بيد من يفتعل الأجواء ، ويلوّح بأنه يمتلك مصير الناس^(١٣) .

٣ - عقدة الذل تدفع بالدليل لأن يبحث عن شخصيته في أمور موهومة

(١١) «من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته» نهج البلاغة، الحكمة ٤٤٩.

(١٢) هذه الحقيقة وردت على لسان الحكماء والادباء كثيراً، ويعبر عنها المتنبي في قوله: وتكبر في عين الصغير صغارها

وتصغر في عين العظيم العظام

(١٣) ولذلك يحرص الطغاة على إذلال الناس كي يكونوا آلة طيعة بأيديهم، وإلى ذلك يشير القرآن الكريم في حديثه عن تعامل فرعون مع قومه إذ يقول : ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ (الزخرف :

(١٤) أكثر موجات الشر التي اجتاحت العالم الاسلامي من داخله كانت تستغل هذه الحالة المتفشية ، كما حدث في حركة الزنج والقرامطة ، وحركة الباكية وامثالها.

(١٥) الأبعاد المذكورة لم ندرج مصادرهما لسعتها ، وهي لا تخفى على القارئ المتتبع ، فالقرآن مفعم بآيات تكرم الانسان ، ومكانته في الكون ، واستخلافه على الأرض ، ومهمته الرسالية على ظهرها ، وقرب الله سبحانه منه ، وحرمة ماله ودمه وغيرها ، وهكذا السنة فيها نهى مؤكد عن كل ما يذل الانسان وتأكيد على حفظ عزته وحرمة من انعقاد نطقته إلى ما بعد مواراته الثرى . وكل ذلك انعكس في الفقه الاسلامي ، في ابواب احكام الجنين والولد والاقتصاص والحياة الزوجية ، وأحكام الميت . حتى إن الواجبات تسقط إذا اقتضت احتمال ذلة الانسان ، كسقوط وجوب اللوضوء للصلاة والطواف إذا اقتضى طلب الماء ذلة للفرد المسلم.

غالباً ، يتصور الدليل أنه يستعيد شخصيته بها ، وهذه الامور لها طابع انحرافي غالباً ، وتبعث على الشرور الاجتماعية المختلفة ؛ ولذلك تستطيع عصابات الاشرار أن تستغل هؤلاء الافراد أكثر من غيرهم لتنفيذ مآربها الشريرة^(١٤).

٤ - الدليل يفقد توازن الشخصية في نفسه ، ويفقد الارادة وقدرة الضبط والسيطرة ، ولذلك تنثور عنده الشهوات المادية وتستفحل ، ويصبح هذا الشخص عرضة للانغماس في الشهوات ، ويؤدي ذلك إلى أخطار بيّنة .

مظاهر اهتمام الاسلام بكرامة الانسان وعزته وإبعاده عن حالة الذل^(١٥):

١ - ما نجده في السنة من تأكيد على حرمة النطفة والجنين ، وعلى اهتمام بالمرأة الحامل ، وعلى سلامة محيطها الاجتماعي ، وعلى سلامة كل شيء يؤثر على سلامة تكوين الجنين ، إنما يشكل دلالات هامة على اهتمام الاسلام بكرامة الانسان ، منذ انعقاد نطقته وفي كل مراحل نموه الجنينية .

٢ - في السنة نرى اهتماماً بالغاً بكرامة الطفل واحترامه ومعاملته بالحسنى ، وتركيزاً على تنفيذ طلباته ورغباته وملاعبته ، مما يدل بوضوح على أن الاسلام يهتم بأن ينشأ الطفل عزيزاً كريماً .

٣ - في السنة أيضاً تركيز على ضرورة الاهتمام بشخصية الشاب ، واحترام رأيه ، واستشارته في الأمور ؛ لكي ينشأ هذا الشاب معتمداً على نفسه ، محترماً لشخصيته ، مهتماً بالجانب العقلي والإرادي من كيانه .

٤ - اهتمام السنة بحرمة الميت وكرامته ، وتقرير التعاليم الخاصة بتجهيزه ودفنه وذكره بخير وزيارة قبره ، كل ذلك أيضاً تأكيد على حرمة الانسان وكرامته حتى بعد وفاته .

٥ - في النصوص الاسلامية تأكيد على حرمة الخضوع للظالمين من أصحاب السلطة ، وعدم الانخراط في سلك خدمتهم ، والترفع عن الشعور بالضعف أمام بطشهم .

٦ - المنهج الاسلامي للسلوك يأبى على الانسان المسلم أن يحس بالضعف

أمام أصحاب المال ، وأن يترفع عن الانقياد لهم ، بل عن معاشرتهم لكي لا يحس بالضعفة بينهم .

٧- في النصوص الصحيحة الموثقة تأكيد على منع الإنسان المسلم أن يذل نفسه لأي سبب من الأسباب ، بل تسقط الواجبات إذا استدعى أداؤها أن يذل الإنسان نفسه .

٨- اهتمام الاسلام بضبط شهوات البطن والفرج لا تخفى شدته على أحد ، وهذا الاهتمام يستهدف تنمية إرادة الانسان وشخصيته كي لا تسيطر عليه هذه الشهوات وتستذله .

٩- «التصور الاسلامي» يركز أول ما يركز على ربط الانسان برَبِّ العالمين ، ويدخله في تعامل مباشر مع خالق هذا الوجود ، وهذا الارتباط - إن استشعره الانسان بكل وجوده - يبعث في الانسان احساساً بالعزة والكرامة ، ويجعله يشعر بأنه مرتبط ارتباطاً مباشراً بمن يملك كل مقادير أموره وأمور كل الناس .

١٠- القرآن الكريم يربط تاريخ الفرد المسلم والجماعة المسلمة بتاريخ الانبياء والصالحين في التاريخ ، ومن هنا فإنَّ الانسان المسلم يرى أن تحركه استمرار لمسيرة طويلة سار عليها من قبل كل عباد الله الصالحين ، وهو احساس ينمي مسيرته الحيوية وبياركها ويضفي عليها عراقة وبعداً واسعاً ضارباً في اعماق التاريخ ، ويشعر بذلك بكرامته واهميته على هذه الساحة التاريخية ذات الآماد البعيدة .

١١- الاسلام يصوّر للانسان أنه خلق ليكون سيّد الكون ، وخليفة الله على أرضه ، وأن كل شيء في هذا الوجود الرحب قد خلق من أجله ، ومن أجل تمهيد الطريق لمسيرته التكاملية في حياته ؛ وهو شعور يبعد الانسان عن أي إحساس بالضعف أمام هذا الكون الفسيح ، ويشعره بالكرامة أمام جميع المخلوقات .

١٢- الانسان المسلم في التصور الاسلامي مسؤول عن هداية البشرية ، وعن تبديد ظلامها ، وإزالة العقبات عن طريق كمالها ، وهو تصوّر يجعل

الانسان المسلم في مكانة القيادة والريادة على ظهر الارض ، ولا يخفى ما لهذا التصوّر من أثر في الشعور بالعزّة والكرامة في نفس الفرد المسلم والجماعة المسلمة .

١٣ - وضع الاسلام منهاجا متكاملًا لسلوك الحكم والحاكم في المجتمع الاسلامي ، يحسّ فيه الفرد المسلم بأنه هو صاحب الرأي في قبول الحاكم أو رده ، كما أن هذا المنهج يمنع استخدام الحكم آلة للظلم والسيطرة على مقدرات الناس ، وهو جوّ سياسي يوفر كرامة المسلم ، ويصون شخصيته ، ويحافظ على احساسه بالعزّة في تعامله مع النظام الحاكم .

١٤ - منهج المساواة والعدالة في التعامل ، ووضع مقياس التقوى للتكريم في الاسلام ، يصونان المجتمع من أي لون من ألوان التمييز بسبب الجنس أو اللون أو اللغة ، ويشعر الفرد المسلم بكرامته وعزته لا بنسبه وحسبه وانتمائه القبلي أو القومي ، بل بمقدار سموه في سلّمه التكاملي - أي بتقواه على حدّ التعبير القرآني - وهذا المعيار يزيل كل إحساس بالضعف والذل بسبب وضاعة النسب أو الانتماء القبلي .

١٥ - حرص الاسلام على العدالة الاقتصادية في توزيع الثروة من جهة ، ونفي أية سلطة لقوة المال في المجتمع ، من أجل القضاء على التمييز الطبقي والاستضعاف الاقتصادي ، صيانة لكل فرد من أفراد المجتمع من أن يستذل أو يستشعر الذلّ بسبب واقع اقتصادي غير متوازن في المجتمع ، كما أن تأكيد الاسلام تأمين احتياجات الفرد الضرورية ، حتى لو استدعى الامر إعطائه من بيت المال ، إنما هو حفظ لكرامة الفرد وعزته وإبعاده عن إراقة ماء الوجه بالسؤال . والرائع في الامر أن هذه الرعاية تشمل حتى غير المسلمين في المجتمع الاسلامي .

١٦ - حرمة النفس وحرمة العرض وحرمة المال أهم الحرمات التي أكدها الاسلام ، وشدّد على القضاء الاسلامي في صيانتها وحفظها والدفاع عنها ، كما ألزم كل افراد المجتمع برعايتها بدقة متناهية ، والاحتياط الشديد في مراعاتها؛ كل ذلك لكي يعيش الانسان المسلم في مأمن من أي تهديد لمقومات

كرامته وعزته وشخصيته .

١٧ - أكد الاسلام على العبادات الجماعية ، وركز على ضرورة اظهار قوة المسلمين وتراص صفوفهم ووحدة عزمهم وارادتهم ، وانسجام تحركهم لإبراز عزتهم وإظهار كرامتهم أمام أنفسهم وأمام أعدائهم .

١٨ - نفى سبيل المشركين على المسلمين أصل من الاصول الاسلامية ، وهو يفرض على كل المسلمين العمل لسدّ أية ثغرة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو علمية ، ينفذ منها أعداء المسلمين لكي يجدوا لهم موضع قدم في المجتمع الاسلامي ؛ وهذا الأصل وحده لو التزم به المسلمون لحقق كرامتهم وعزّتهم على الساحة الدولية ، ونفى السبيل طبعاً يعني نفى السيطرة لا نفى التعامل والاستفادة من الآخرين .

١٩ - مبدأ الجهاد يخلق في نفس الامة المسلمة روحاً ترفض الإخلاق إلى الارض والرضا بالظلم والعدوان ، والتهاون في الدفاع عن الكرامة والمقدسات ، وتأبى الذل والخنوع والاستكانة ، وتدفع الانسان المسلم لأن يطلب عزته وعزة امته ودينه وعزة المستضعفين في الارض ببذل الغالي والنفيس .

٢٠ - حث الاسلام على الانتماء إلى الجماعة وعدم الخروج عنها وعدم الشذوذ عن مسيرتها ، يخلق في نفس الانسان المسلم عزة الانتماء إلى الجماعة المؤمنة ، ويجعله يحس بالقوة والفخر بهذا الانتماء .

٢١ - الحث على طلب العلم والتدبر في الكون وفي المخلوقات وفي الامم والشعوب ، تخلق من الانسان المسلم كائناتاً ناضجاً يحترم شخصيته وفكره ، ويقوم الافراد على أساس ما عندهم من علم اضافة إلى التقوى ، والاعتزاز بالعلم والعلماء يجعل المسلم يبحث عن عزته وكرامته في تنمية شخصيته العلمية والفكرية ؛ وبذلك تظهر الامة العالمة المفكرة ، ولا يخفى ما لمثل هذه الامة من عزة وكرامة بين الامم .

٢٢ - حرمة اغتيال شخصية الانسان المسلم عن طريق اغتيابه واتهامه واهانتة أمر أكد عليه الاسلام كثيراً جداً ؛ كل هذا لكي يأمن المسلم من عدوان يستهدف عزته وكرامته وماء وجهه في المجتمع .

٢٣ - النصوص الاسلامية الكثيرة التي تحذر الانسان المسلم والجماعة المسلمة من التفرفة والشقاق والنفاق ، إنما تتجه كلها لصيانة عزة المسلمين وكرامتهم من أن تتصدع وشوكتهم من أن تلين .

٢٤ - حرمة التشبه بالكفار أصل يحافظ على الهوية الثقافية للامة ، ويخلق روح الاعتزاز بهذه الهوية والشعور بالاستعلاء النفسي أمام الثقافات الاخرى .
٢٥ - التحذير الشديد من الحرص والطمع في المال والمتاع والشهرة والسلطة ، يصون المسلم من أن يستذله الطمع ، ويتنازل عن عزته لتحقيق رغبة جامحة في النفس نحو الاستزادة .

٢٦ - مبدأ نيل احدى الحسينيين يصون المجتمع المسلم من أي ضعف وخور وهوان ، حينما تضطره الظروف لأن يتراجع وينهزم أمام الاعداء ، فهو مجتمع منتصر إن غلب أو غلب ، والفرد منتصر إن قُتل أو قُتل ؛ فالمسلمون هم الاعلون على كل حال .

٢٧ - مبدأ إعداد القوة مبدأ اسلامي هام يجعل المسلمين مرهوبي الجانب اعزة على ظهر الأرض ، يقتلع من رؤوس الاعداء كل فكر ساورهم للمس من عزة المسلمين وكرامتهم .

٢٨ - مبدأ الرسالة الخاتمة يخلق في المسلمين إحساسا بأنهم مسؤولون عن خلافة الله في الأرض ، وعن اعتلاء دور الشاهد والوسط على ظهر البسيطة حتى يرث الله الارض ومن عليها ، وهي مسؤولية مقرونة بالعزة والكرامة .

٢٩ - مبدأ قيام الدولة الاسلامية العالمية بقيادة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه ، يجعل المسلمين ينتظرون تحقق هدف دينهم على أوسع نطاق في مستقبل أيام البشرية ، حين تدعن كل الشعوب لأحقية الاسلام وتنصاع لأوامره ، وتنضوي تحت لوائه ، وهي نظرة تبعث العزة في نفس الانسان المسلم والثقة بمستقبل ما يحمله من فكر وعقيدة ، وتبعث فيه أيضاً روح الاستهانة بما تتخبط به البشرية من انحرافات عن دينه الحق .

٣٠ - عالج الاسلام كل الحالات التي تخرج الانسان من حالة التعادل النفسي ، وتوقعه في انفعال يحط من كرامته وشخصيته وعزته مثل الغضب

والحسد والحق .

انحدار منحنى العزة الاسلامية خلال نصف قرن:

خلال نصف قرن عقب وفاة رسول الله ﷺ حدثت أمور أدت إلى هبوط روح العزة الاسلامية في النفوس ، وازدادت مظاهر الخضوع والخنوع والاستسلام والاهتمام بالصغائر في المجتمع الاسلامي ، لعوامل عديدة اهمها:

١ - التمييز الطبقي ، حيث ظهرت في المجتمع الاسلامي طبقتان ، احدهما تتمتع بثروات طائلة والاخرى مدقعة معدومة ، والتمييز الطبقي يؤدي طبعاً إلى انهيارات في عزة قطاع من افراد المجتمع بسبب الاحساس بالضعف والغبن والظلم^(١٦) .

٢ - التمييز العنصري ، فقد أصبح غير العرب مواطنين من الدرجة الثانية ومحتقرين ، وأخذت منهم الجزية ، وعوملوا معاملة سيئة اضعفت روح العزة الاسلامية في أنفسهم^(١٧) .

٣ - الصراع القبلي ظهر في نصف القرن هذا بعد أن ضعف روح الانتماء الرسالي ، وعادت الروح القبلية والصراعات القبلية بأوضح صورها في المجتمع ، ومن الطبيعي أن تضعف روح العزة الاسلامية في حماة الاعتزاز القبلي الضيق^(١٨) .

٤ - التخويف والتجويع ظهرا بأفزع صورة في العصر الاموي ، بحيث أن الفرد المسلم كان يخشى على بيته أن يهدم ، وعلى لقمة عيشه أن تسلب ، وعلى دمه أن يراق ، وعلى عرضه أن ينتهك بالظنة ولأتفه الاسباب ، مما خلق حالة من الذل والضعف والهوان في المجتمع الاسلامي^(١٩) .

٥ - الاستخفاف بالدين وأهله ، والتجاهر بارتكاب المنكرات^(٢٠) .

٦ - إشاعة أحاديث مكذوبة ومذاهب مزعومة تدعو إلى الرضوخ للظالمين والركون إلى المتسلطين وعدم الثورة عليهم ، وقبول الامر الواقع باعتباره قضاء من الله وقدر^(٢١) .

(١٦) انظر في التمييز في توزيع بيت المال والعطاء ، ثم ظهور التمييز الطبقي في المجتمع: ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة ٨ : ١١١ ، ٢ : ١٣١ - ١٣٢ ، والمسعودي، مروج الذهب ٢ : ٣٤١ - ٣٤٣ ، وحسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام ١ : ٣٥٨ .

(١٧) للتوسع في الموضوع انظر : أنساب الاشراف ١ : ١٨ - ٣٤ ، وفيليب حتى : تاريخ المغرب ٢ : ٣٥٠ - ٣٥٢ ، وفلهاوزن ، الدولة العربية وسقوطها : ١٦٥ - ١٧٣ و ٤٠٣ و ٤١٤ - ٤١٥ ، ٤١٨ - ٤١٩ .

(١٨) انظر في سياسة الامويين تجاه القبائل ، وأثارة نار الخصومة بينها: فلهاوزن ، الدولة العربية : ٥٨ ، ١٠٥ - ٢٠٧ ، ١٠٦ .

(١٩) انظر محمد مهدي شمس الدين ، ثورة الحسين : ٦٦ ، وما بعدها ، فقد نقل عن شرح النهج ٢ : ٦٧ - ٢٠٧ ، ١٨ ، ٨٥ - ٨٦ ، ١١ : ٤٤ ، ٧٣ : ما يحير العقول عن هذا البطش والتكثير .

(٢٠) انظر : البلاذري ، انساب لاشراف ، القسم الثاني : ٤ ، وفيليب حتى ، تاريخ العرب ٢ : ٢٥٨ ، والدولة العربية ١٣٧ - ١٣٨ ، وبروكلمان ، تاريخ لشعوب العربية ١ : ١٥٦ .

(٢١) انظر : ابن أبي الحديد،

شرح نهج البلاغة ٤ : ٩١ ، ٩١ :

٤٤ - ٤٦ ، ابن قتيبة ، عيون

الاخبار ١ : ٧ ، وانظر أيضاً عن

تظاهر معاوية بالجبر

والارجاء ، ابن أبي الحديد،

شرح نهج البلاغة ١ : ٣٤٠ .

(٢٢) هذه أهم سمات فترة

الحكم العلوي، وعليه عليه السلام

أعلن منذ توليه الحكم

مشروعه في تقسيم المال

حين قال : «أيها الناس، إني

رجل منكم، لني ما لكم وعلي

ما عليكم، وإني حاملكم علي

منهج نبيكم، ومنفذ فيكم ما

أمر به، ألا وإن كل قطيعة

أقطعها عثمان، وكل مال

أعطاه من مال الله فهو

مردود في بيت المال، فإن

الحق لا يبطله شيء، ولو

وجدته قد تزوج به للنساء

وملك به الإمام، وفرق بين

البلدان لردده، فإن في

للعدل سعة، ومن ضاق عليه

للعدل فالجور عليه أضيق»

(ابن أبي الحديد ١ : ٢٦٩ -

٢٧٠).

(٢٣) موقف الخراسانيين من

دعوة أهل البيت ، وموقف

أهل البيت أنفسهم ممن سُموا

بالموالي أفضل دليل على

اهتمام أئمة اهل البيت بكسر

العصبيات العنصرية .

مواقف أهل البيت عليه السلام العملية من ظاهرة الازلال:

انتهج أئمة أهل البيت عليه السلام جميعاً مواقف عملية لصد عملية الازلال ، وإبقاء روح العز في المسلمين . ونستعرض أهم محاور هذه المواقف كي لا يخال القارئ الكريم أن استعادة العزة إلى المجتمع الاسلامي تختص بالحسين عليه السلام وثورته .

١ - محاربة ظاهرة التمييز الطبقي وإشاعة العدل والمساواة في العطاء بين أفراد المجتمع الاسلامي (٢٢) .

٢ - كسر العصبيات العنصرية (٢٣) .

٣ - التأكيد على الولاة بالمحافظة على كرامة المسلمين وعزتهم ، والاهتمام بعزل من يذل الناس ويستخف بهم (٢٤) .

٤ - غرس روح الشهادة والثورة ضد الظلم في المجتمع الاسلامي (٢٥) .

٥ - الاهتمام بالامور التي ترتبط بعزة المسلمين وكرامتهم ، وعدم فسخ المجال للاختلافات الداخلية أن تمس من هذه العزة والكرامة (٢٦) .

٦ - السعي الحثيث لربط المجتمع الاسلامي بالله سبحانه ؛ كي يستشعر العزة في هذا الارتباط لا في المسائل الموهومة (٢٧) .

موقف الحسين وأهل بيته عليه السلام من ظاهرة الذل ونتائجها (٢٨):

١ - رفضه بيعة يزيد ، معلناً أسباب عدم البيعة ومركزاً على ظلم يزيد وانتهاكه حرمان المسلمين .

٢ - التأكيد على مفاهيم العزة في كل أقواله .

٣ - التحذير من الذل ، وأنه سنة طبيعية تصيب المجتمع المتخاذل .

٤ - الابتعاد عن أي مظهر من مظاهر الذل حتى في الساعات الحرجة .

٥ - التركيز على الاخلاص في العبودية في أقواله ؛ ليستشعر الافراد أن العزة لله جميعاً دون سواه .

٦ - الصمود والمقاومة حتى آخر لحظة .

٧ - مواقف زينب عليها السلام من محاولات الازلال .

٨ - مواقف علي بن الحسين عليه السلام من محاولات الاذلال .

أما النتائج فهي :

١ - الانتفاض على حالة الذل واسترخاض الحياة الدنيا .

٢ - ارتفاع صوت طلب العزة لدى الثائرين .

٣ - ارتفاع صوت التنديد بالظلم على المستوى الجماهيري .

٤ - افول دولة الظالمين .

حالة الذل في المجتمعات الاسلامية المعاصرة:

بعد هذا العرض لموقف الحسين من حالة الذل في مجتمعه ، نعود إلى العالم الاسلامي في القرون الاخيرة .

لقد نزل بالامة الاسلامية ما افقدها هويتها وأركانها أمام أعدائها ، وأفرغ محتواها الفكري والرسالي وأصابها بهزيمة منكرة ، وهذه أهم مظاهر الذل التي سادت في المجتمعات الاسلامية المعاصرة :

١ - الهزيمة السياسية والعسكرية التي مني بها العالم الاسلامي امام الغزو البريطاني والفرنسي والايطالي والروسي .

٢ - الهزيمة النفسية التي اصابت العالم الاسلامي عقب هزائمه السياسية والعسكرية .

٣ - السيطرة الاقتصادية التامة على مصادر خيرات المسلمين .

٤ - السيطرة الثقافية على مراكز التعليم .

٥ - الغاء التشريع الاسلامي من الحكم .

٦ - اشاعة الفساد والمنكرات في المجتمع الاسلامي .

٧ - فصل علماء الدين عن المجتمع ، والاستهانة بالدراسات الدينية .

٨ - السيطرة الصهيونية على العالم الاسلامي .

٩ - النزاعات المستمرة القومية والطائفية والاقليمية بين المسلمين .

(٢٤) انظر عهد الامام امير المؤمنين إلى مالك الاشر لما ولاه مصر، وانظر ايضاً موقفه من الولاة المنصوبين قبله إذ قال: «ولكنني أسي أن يلي امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها ، فيتخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً» . تأمل بدقة: «وعباده خولاً» .

(٢٥) هذه أبرز ملامح مدرسة آل البيت عليهم السلام ، حتى إن الفقهاء في ثورة «ابن الاشعث» كانوا يفتنون بوجوب الخروج على الحجاج استناداً إلى أقوال علي عليه السلام . انظر هذه الثورة في تاريخ الطبري في احداث سنة ٨١ للهجرة .

(٢٦) هذا واضح في سيرة علي والحسن والحسين وكل الائمة من اولاد الحسين عليهم السلام في تعاملهم مع الحكّمين ومع افراد المجتمع .

(٢٧) ائمة آل البيت عليهم السلام تركوا لنا في مجال الدعاء والتضرع ومنهج السلوك إلى الله تراثاً ضخماً في العمل والقول ، حتى ظن بعضهم ان التصوف نشأ من التشيع، وما ذلك إلا لهذا التركيز من أهل البيت على الارتباط المستمر بالله تعالى (انظر الصلة بين

موقف الامام الخميني من حالة الذل في المجتمع:

سلك الامام الخميني ثلاثة أساليب لمواجهة حالة الذل في مجتمعه :

الأول : خلق روح العزة في المجتمع ، وذلك عبر المحاور التالية :

١ - التأكيد على قدرة الله سبحانه وتعالى ، وأن كل شيء بيده ، وأنه القادر على ما يريد ، وأنه سبحانه ينصر حتماً من ينصره ، وأن كل انتصار انما هو بفضلِه ومنه . هذه التأكيدات موجودة في القرآن الكريم أيضاً ، لكن الامام كان يركز عليها تركيزاً مقروناً بما يحدث في ساحة المواجهة والصراع والصمود والهدم والبناء ، فيغرس هذه المفاهيم في النفوس ، ليشعر الافراد بعزة وبكرامة وبرفعة وهم يتعاملون مع الله سبحانه في تحركهم الاجتماعي .

٢ - التركيز على قدرة الاسلام في دحر الطواغيت ، وبناء الدولة العصرية ، وإنقاذ البشرية من مستنقعها ، وعلى أنه البديل الوحيد لما تعاني منه البشرية من ضياع وتيه وتخبط في المادية . ينصح المفكرين والزعماء في العالم الاسلامي وغير الاسلامي أن يعودوا إلى الاسلام ليجدوا فيه عزتهم وسعادتهم وسؤددهم ؛ وبذلك يغرس في نفوس كل المسلمين روح الاعتزاز بعقيدتهم والشعور بالكرامة في ظل دينهم .

٣ - الحديث المستمر عن ايمان حقيقي ، حول قدرة الشعب في خلق المعجزات ، لأن الأمة المتحركة على طريق الله تتجلى في حركتها قدرة الله وعظمته وانتقامه من الجبارين ، فهو قادر على أن يواجه أعتى الطواغيت وإن افتقد العدة والعتاد ، وقادر على أن يواجه كل جبهات الكفر على سعتها ، وقادر على أن يبني ويعمر رغم كل الضغوط والمحاصرات .

٤ - منحه الشعب ثقة تامة ، والثقة المتبادلة بين الامام الراحل وامته كانت من أهم بواعث شعور الشعب الايراني بالاعتزاز والكرامة في حركته بقيادة الامام ؛ فهو قدس الله روحه يرى في الشعب وفاءً وصدقاً واخلاصاً لم يبلغه صحابة رسول الله ﷺ ولا صحابة علي عليه السلام ، ويكبر هذا الشعب ويتواضع امامه وأمام تضحياته وصموده تواضعاً غريباً .

٥ - تأكيده المستمر على الدور الذي يجب أن يضطلع به الشعب الايراني

الاصوف والتشيع ، والفكر الشيعي والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشبيبي).

(٢٨) كل ثورة الحسين وما أعقبها من مواقف لأمل بيته وللثوار السائرين على طريقه ، تدور حول محور استعادة العزة وابعاد الذل عن المجتمع الاسلامي ؛ ولذلك نشير فقط إلى بعض أقوال الحسين في هذا المجال ، ونحيل القارئ إلى كتب التاريخ من ذلك :

«ألا وإن للدعي ابن الدعي قد ركز بين الثنتين : بين السلة والذلة ، وهيهات منا الذلة ، يأبى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابعت ، وانسوف حمية ، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام . ألا وإني زاحف بهذه الاسرة على قلة العدد وخذلان الناصر...»

ثم تمثل بأبيات فروة بن مسك المرادي :

فإن شهزم فهزامون قديماً
وإن تغلب فغير مهزأنا
وما إن طبتنا جبن ولكن
مناياتنا ودولة آخرينا
إذا ما الموت رقع عن اناس
كلا كله أناس بأخرينا
فأفنى ذلكم سرورات قومي
كما أفنى القرون الآخرينا
فلو خلد الملوك إذا خلدنا
ولو بقي الكرام إذا بقينا

على الساحة العالمية ، بحمله مشعل الاسلام إلى الضالين ، ودفاعه عن المستضعفين واعطاء القدوة والمثل الاعلى للآخرين ؛ وهذا الدور الذي يريده الامام للامة في ايران يجعلها تستشعر دورها القائد على ظهر الارض .

٦ - تخطيط الامام لاعادة الحياة والروح إلى العبادات الاسلامية ، فقد رسم للحج ولصلاة الجمعة والمساجد تصويراً جديداً يعيد اليها الحياة لتكون كما كانت في عصر الرسالة الأول ، مبعث عز للمسلمين ، ومظهر قوة وسمود وتكاتف لهم أمام الاعداء المتزبصين .

٧ - حديث الامام المستمر عن منجزات الثورة الاسلامية في الحقول السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية ، وتذكير الناس بما كانت عليه الاوضاع قبل الثورة لتعميق روح الاعتزاز بالثورة الاسلامية وبالانجاز العظيم الذي حدث على يد الشعب .

٨ - غرس مفهوم الشهادة في النفوس ، وخلق روح طلب الشهادة في الافراد ، بتبيين منزلة الشهيد وعظمة الجهاد في سبيل الله ، وما يستتبع تصاعد روح الجهاد من عزة وكرامة للمجتمع .

٩ - تركيز الامام الراحل على دور المرأة في المجتمع ودورها في الثورة ، وعظمة المسؤوليات التي تنهض بها في البيت والمجتمع ، كل ذلك لخلق روح العزة في نفس المرأة ، لتغرسها بدورها في نفوس أبنائها وأفراد أسرتها .

١٠ - تأكيده المستمر على قدرة الايرانيين والعرب والشرقيين والامة المسلمة عامة على الاختراع والابتكار ، ومواكبة ركب المدنية المعاصرة على شرط الايمان بقدراتهم وكفاءاتهم .

١١ - ربط الامة بتاريخها الثوري القديم والمعاصر ، وخاصة ربطها بثورة سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام ، والتركيز على روح العزة والإباء في هذه الثورة ، ودعوة الامة للتفاعل مع كل مواقف الإباء والصمود فيها .

١٢ - التأكيد على الطبقة الفقيرة المستضعفة ، وعلى ضرورة تجنيد كل الطاقات للاخذ بها ، وأنها اشرف من اصحاب القصور ، وأنها هي التي حملت العبء الجسيم في الثورة والدفاع عنها ، كل ذلك لمبعث روح العزة في هذه الفئة

فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا
رقوله لقيس ابن الاشعث:
«...لا والله لا اعطيهم بيدي
اعطاء النليل ولا الرقار
للعبيد. عباد الله إني عذت
بربي وربكم أن ترجموني.
أعوذ بربي وربكم من كل
مستكبر لا يؤمن بيوم
الحساب».

وقوله مخاطباً أصحاب الحر:
«أيها الناس، إن رسول
الله ﷺ قال: من رأى
سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم
الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً
لسنة رسول الله، يعمل في
عباد الله بالاثم والعدوان،
فلم يغير عليه بفعل ولا
قول، كان حقاً على الله أن
يدخله مدخله ألا وإن هؤلاء
قد لزموا طاعة الشيطان،
وتسركوا طاعة الرحمن،
واظهروا الفساد، وعطلوا
الحدود، واستأثروا بالغي،
وأحلوا حرام الله، وحرّموا
حلال الله، وأنا أحق من
غير...».

وقوله بذئ حسم: «إنه قد
نزل بنا من الأمر ما قد
تروون، وإن الدنيا قد تغيرت،
وتنكرت، وادبر معروفها
فلم يبق منها إلا صباية
كصباية الاناء، وخسيس
عيش كالمرعى للوبيل. ألا

ترون أن الحق لا يعمل به،
وأن الباطل لا يتناهى عنه؟
ليرغب المؤمن في لقاء الله
محققاً فإنني لا أرى الموت إلا
سعادة، ولا الحياة مع
الظالمين إلا برماً.
وقوله للفرزدق: «رحم الله
مسلماً، فلقد صار إلى روح
النس وريحانه وجنته
ورضوانه. أما إنه قد قضى
ما عليه وبقي ما علينا، ثم
أنشأ يقول:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة
فإن ثوب الله أعلى وأنبى
وإن تكن الإبدان للموت أنشئت
فقتل لفتى بالسيف في الله الفضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدرأ
فلقة حر من المرء في السعي أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها
لها بال مفروك به للمرء ببخل

التي طالما استذلتها نظام الطاغوت .

الثاني: اجتثاث روح الهزيمة والذل من النفوس بالاساليب التالية :

١ - الاستهانة بالحضارة المادية المعاصرة ، وبيان زيفها وخوائها ،
وتخبطها ، وقرب سقوطها ، والطريق المسدود الذي وصلت اليه ، ونصيحة
المهزومين من المسلمين بفتح أعينهم على واقع الحضارة ، وعدم الانبهار
بظواهرها .

٢ - الاستخفاف بطواغيت الارض ، والسخرية منهم ، وتهديدهم ،
وتحديدهم ، والتعامل معهم على أنهم نمور من ورق ، واطفالاً جامحين
يستحقون النصح والتحذير والتأديب .

٣ - حث الشعوب على كسر حاجز الخوف الذي اصطنعته الحكومات
الظالمة ، والتعامل مع هذه الحكومات كما تعامل الشعب الايراني مع الطاغوت
المسيطر عليه ، والتأكيد على أن هذا العصر هو عصر الشعوب وتحقيق ارادتها
وكسر قيودها .

٤ - تركيز روح العزة في كل اللحظات العصيبة التي يُخشى فيها تزلزل
النفوس ، مثل الهزيمة العسكرية أو الضغوط الاقتصادية أو اغتيال كبار
الشخصيات القيادية ، واستثمار هذه الحوادث لرفع المعنويات وتصعيد روح
المقاومة والصمود .

الثالث : إعطاء القدوة من نفسه ، وهذه القدوة قدّمها الامام في مواقفه
التالية :

١ - المواصلة المستمرة دون هوادة في المقاومة والصمود دون أن يتراجع
قيد أنملة عن مواقفه المبدئية ، ودون أن يداهن أو يهادن لحظة واحدة ؛ وهذه
المواصلة صعدت روح الثورة في النفوس ، واقتلعت روح طلب العافية
والاسترخاء وما يستتبعها من ذل في النفوس .

٢ - تحمل السجن والتعذيب والارهاب والنفي بطيب خاطر وبرحابة صدر ،
متغلباً بذلك على كل سبل الهزيمة النفسية واذلال الشخصية .

٣ - تحمل المصائب الشخصية كفقدان الولد بروح مطمئنة صابرة

مستسلمة لقضاء الله ، ولا يخفى ما لهذا الموقف من تأثير في تثبيت النفوس المتزلزلة والارواح الضعيفة .

٤ - ضرب المثل الاعلى في الزهد والابتعاد عن مظاهر الحياة وبهاارجها وزينتها ، بما يرسخ روح الثقة والترفع والسمو النفسي في القاعدة التي يقودها.

تلخيص واستنتاج :

من كل ما سبق نفهم أن اكبر مرض نفسي يصيب المجتمعات البشرية هو مرض الذل ، وهذا المرض النفسي يحتاج إلى علاج نفسي يشبه الصعقة الكهربائية التي يعالج بها ذوو الامراض النفسية في عصرنا الراهن . مرض الذل لا يمكن شفاؤه بالموعظة ونشر الفكر والتربية الروحية فحسب ، بل يحتاج إلى صعقة ، وإلى هزة تعيد له الوعي والحياة ، وتجعله يستشعر العزة ، ويرى أن هدف الحياة اسمى من خسيس العيش ؛ وهذه الصعقة أنزلها بجسم الامة الاسلامية الحسين بن علي عليه السلام ، فذب فيه دم جديد وروح جديدة ؛ وهكذا فعل الامام الخميني رحمه الله ، وكانت هذه النتائج التي يشاهدها العالم بعينه متمثلة في عودة حثيثة دائبة إلى الاصاله والكرامة والعزة ، وهي بأجمعها من نتائج ارهاصات الصبح المرتقب .

﴿ أليس الصبحُ بقريب ﴾ ؟!

فَإِنَّ الرُّسُلَ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

الإمام الخميني رحمه الله عليه

عَنْ الْحَاكِم : ج ١ ص ٢٧٩

رُؤَايَا

البراء بن عازبٍ النَّصَارِيِّ النُّحْرِيِّ

أهل البيت

في روايات الصحابة

* ناصر البجدهندي

قال الخطيب البغدادي في تاريخه : «... غزا مع رسول الله ﷺ خمس عشرة غزوة ونزل الكوفة بعده ، وكان رسول علي بن أبي طالب الى الخوارج (بالنهروان) يدعوهم إلى الطاعة وترك المشاقة» (١).

وحكى الخلاصة عن البرقي عدّه من اصفياء أمير المؤمنين عليه السلام . وقال آية الله العظمى الخوئي رحمه الله في اثره القيم : « كتمان البراء الشهادة ، ودعاء علي عليه السلام عليه لم يثبت ؛ فإن ذلك مروى عن طريق ... لا وثوق بصحة سنده... وقبول ولايته على اليمن من قبل معاوية فهو أيضاً غير ثابت » (٢).

وروي أن علياً عليه السلام قال للبراء بن عازب ذات يوم : « يا براء ، يقتل ابني الحسين وأنت حي لا تنصره ، فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء بن عازب يقول : صدق - والله - علي بن أبي طالب عليه السلام ، قتل الحسين عليه السلام ولم أنصره ، ثم أظهر الحسرة على ذلك والندم » (٣).

قال آية الله العظمى الخوئي رحمه الله بعد هذا النقل : « فهي وإن دلت على ذم البراء ؛ لدالاتها على أن ترك نصرته للحسين عليه السلام كان عن اختياره وتمكّنه ، إلا أنها أيضاً ضعيفة بالارسال وجهالة الرواة ؛ فإن لا معارض لشهادة البرقي بأنه كان من اصفياء اصحاب أمير المؤمنين عليه السلام » (٤).

مات في زمان مصعب بالكوفة (٥).

عن البراء بن عازب قال : « كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فنزلنا بغدير حُمّ . فنودي فينا : الصلاة جامعة ، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين ،

(٦) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٢٨١ : ٤ . وذكر في تذكرة الخواص ٢٢ ، والبداية والنهاية ٥ : ٢٠٩ ، ط . القاهرة ، وبنابيع المودة : ٣١ ، ط . اسلامبول مع اختلاف في العبارة ، واحقاق الحق ٦ : ٣٧١ ، ١٤ : ٣٤ ، والغدير ١ : ١٩ - ١٨ .

(٧) رواه الطبراني في الأوسط ، وإسناده حسن ، ومجمع الزوائد ٩ : ١٨٢ ، وفضائل الخمسة ٣ : ١٩٢ . (٨) مجمع الزوائد ٩ : ١٨٤ ، ط . مكتبة القدس في القاهرة ، وملحقات الاحقاق ١٠ : ٥٧١ . (٩) كنز العمال ٧ : ١٠٧ ، و ذخائر العقبين : ١٤٣ .

(١٠) صحيح الترمذي ٢ : ٣٠٧ ، وفضائل الخمسة ٣ : ٢٠٢ .

(١١) صحيح البخاري ٥ : ١٤١ ، ط . الاميرية بمصر ، والنسب الكبير ٨ : ٥ ، ط . حيدر آباد الدكن ، ومصابيح السنة : ٢٠٥ ، ط . الخيرية بمصر ، ومنهاج السنة ٣ : ٧ ، ط . القاهرة ، والبيان والتعريف ٢ : ٤٥ ، ط . حلب ، وللمزيد راجع احقاق الحق ٥ : ٣١١ ، ١٦ : ١٤٦ .

(١٢) ملحقات الاحقاق ١٨ : ٣٧٩ . (١٣) ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق ١ : ٣٤٨ ، ط . بيروت . (١٤) وسيلة المال : ١١٢ ، ط . القاهرة بدمشق .

فصلى الظهر ، وأخذ بيد علي عليه السلام فقال : أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا : بلى . قال : أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا : بلى . قال : فأخذ بيد علي فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم والي من والاه ، وعاد من عاداه . قال : فلقية عمر بعد ذلك ، فقال له : هنيئاً يا بن أبي طالب ، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة « (٦) .

عن البراء بن عازب قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفضي ، فجاء الحسن والحسين أو أحدهما فركب على ظهره ، فكان إذا رفع رأسه قال بيده فأمسكه ، أو أمسكهما ، قال : نعم المولى مطيئكما » (٧) .

عن البراء قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة » (٨) .

عن البراء بن عازب قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للحسن أو الحسين : هذان مني وأنا منه ، وهو يحرم عليه ما حرم علي » (٩) .

وروى الترمذي بسنده عن البراء أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبصر حسناً وحسيناً فقال : « اللهم إني أحبهما فأحبهما » (١٠) .

وروى البخاري عن البراء عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث طويل أنه قال : « قال علي عليه السلام : أنت مني وأنا منك » (١١) .

وروى ابن عساكر في ترجمة الامام الحسين عليه السلام من تاريخ دمشق عن البراء بن عازب قال : « جاء علي وفاطمة والحسن والحسين إلى باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقام بردائه وطرحه عليهم ثم قال : اللهم هؤلاء عترتي » (١٢) .

عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام : « أنت مني كهارون من موسى غير أنك لست بنبي » (١٣) .

وأخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدي » (١٤) .

وروى ابن المغازلي الواسطي في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام عن البراء بن عازب قال : « كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبواب شارعة في المسجد ، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : سدوا هذه الأبواب غير باب علي ، قال : فتكلم في ذلك

(١٥) ترجمة الامام علي من

تاريخ دمشق ١ : ٢٥٧ ، ط .

بيروت ، البداية والنهاية : ٧

٢٤١ ، ومناهج الصالحين :

٣٤٤ (مخطوط) ، وأرجع

المطالب : ٤١٩ ، ط . لاهور

وإحقاق الحق ٥ : ٥٥٣ ، ١٦

٣٤٦

(١٦) المعجم الكبير : ١٢٠

نسخة جامعة طهران .

(١٧) صحيح البخاري ٥ : ٢٦

ط . المنيرية بمصر ، والأدب

المفرد : ٣٢ ، ط . القاهرة

وصحيح مسلم ٧ : ١٢٩ ، ط .

محمد علي الصبيح بمصر .

وصحيح الترمذي ١٣ : ٩٨

ط . الصاوي بمصر ، ومسند

أحمد بن حنبل ٤ : ٢٩٢ ، ط .

الميمنية بمصر ، والمختار

مناقب الاخيار : ١٩ ، نسخ

الظاهرية بدمشق ، وجم

الفوائد من جامع الاصول

ومجمع الزوائد ٢ : ٢١٦ ، ط .

الهند ، وللمزيد راجع ملحقات

الاحقاق ١١ : ٣٠١ .

(١٨) كنز العمال ١٢ : ٢٠٤ ،

حيدر آباد الدكن ، وترج

الامام علي من تاريخ دمشق

٢ : ٣٧٥ ، ط . بيروت ، ومرو

المفاتيح ١١ : ٣٢٧ ، ط . ملتان

ومناقب علي : ٣٦ ، ط . أع

بريس ، وأرجع المكاسب

٤٦٨ ، ط . لاهور ، وملحق

الاحقاق ١٦ : ١٠٢ .

أناس ، قال : فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإنني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي ، فقال فيه قائلكم ، وإنني والله ما سددت شيئاً ولا فتحتهُ ولكنني أمرت بشيء فاتبعته ، (١٥) .

عن البراء بن عازب قال : « قال رسول الله ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما : إني قد أحببته فأحبّه وأحب من يحبّه » (١٦) .

وروى البخاري عن البراء قال : « رأيت النبي ﷺ والحسن علي عاتقه يقول : اللهم أحبه فأحبه » (١٧) .

عن البراء قال : « قال رسول الله ﷺ : علي مني بمنزلة راسي من بدني » (١٨) .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

مَحْنُ أَهْلِ الْبَيْتِ
لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَ عَبْدٍ
وَهُوَ سَيِّئُ فِينَا .

أما في المسند ص ٣

الوضع الفكري والسياسي للتشيع في العصر الحديث

دراسات

* الشيخ

محمد علي التفتي

مقدمة

يمكننا القول بكل تأكيد بأن التشيع لم يشهد خلال عهوده الماضية انفتاحاً عليه بهذا المستوى الذي يشهده اليوم .



صحيح أن التشيع بمعناه العام الشامل لكل المذاهب المنتسبة إليه ربما كان يسيطر على مجمل العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري ، إلا أن الانفتاح عليه اليوم يمتلك بعداً عالمياً واسعاً .

ولعل أهم أسباب هذه الظاهرة يتمثل في الانفجار الهائل الذي أحدثته الثورة الإسلامية في إيران بشكل لم يكن له مثيل . إذ وقف العالم كله إلى جانب نظام الشاه ، يدعمه عسكرياً وسياسياً وإعلامياً واقتصادياً ، ومع ذلك لم يستطع المقاومة وانهار أمام ضربات الشعب المسلم في إيران ، وكان أن أقام هذا الشعب أول حكومة إسلامية تحاول أن تطبق الإسلام بالمفهوم الشيعي له على جنبات الحياة .

وبدأ الالتحام رهيب بين الثورة الإسلامية وأعدائها وفي طليعتهم الدول الغربية والشرقية ، وحدث ما حدث من حصار شامل على المستوى الإعلامي والاقتصادي والسياسي والعسكري وغير ذلك مما لا مجال لشرحه هنا .

والمهم في الأمر أن الالتحام كان ثقافياً قبل كل شيء ، راحت الثورة معه تعلن أن الكثير من المفاهيم الشائعة هي أساطير يجب العمل على فضحها

ومحوها .

فهناك أسطورة النظامين اللذين لا ثالث لهما ، والمعسكرين اللذين لا ثالث لهما ، والتفوق الغربي حتى في المجال العنصري ، والانسحاق الشرقي أمام الحضارة الغربية ، وما إلى ذلك .

ولم تنحصر آثار هذه الثورة في الحدود الإيرانية بل تعدتها إلى كل نقاط العالم الإسلامي ، مما عجل في إيجاد صحوة إسلامية على مستوى هذا العالم تمثلت في عودة الأمل من جديد إلى كل القلوب في قيام حكومة إسلامية عالمية، بعد أن غاب نجم الخلافة وضاع هذا العالم في خضم التقسيم والنهب والاستعمار وفقدان الشخصية الإسلامية . كما تمثلت الصحوة في مطالبة الجماهير الإسلامية في كل مكان بتطبيق أحكام الشريعة على كل جوانب الحياة، وكانت هذه المطالبة قوية إلى حد هزت معها العروش وآلبت عليها أصحابها.

ولسنا بصدد الحديث عن الصحوة الإسلامية ومظاهرها ، ولكننا أردنا القول أن سعة هذه الأبعاد بلغت إلى الحد الذي صرح معه بعض أركان النظام الصهيوني بأنها كانت تهديداً لكل العالم^(١) .

وإذا ضمنا إلى هذه الحقيقة حقيقة أخرى مقارنة لها وهي أن وقود الثورة الإسلامية الرئيسي كان هو الفكر الشيعي من خلال ما يتمتع به من خصائص أدركنا الكثير من أبعاد موضوعنا الذي نتحدث عنه .

فإن ما يتمتع به هذا المذهب من روح ثورية تاريخية جعلته يمثل المعارضة منذ قرون ضد الخلفاء الأمويين والعباسيين وغيرهم ممن لم يستقيموا على الخط الإسلامي الاصيل ، وما خلفته هذه الروح الثورية من آثار أدبية وتاريخية وقصصية شعبية وحركة رمزية في التعامل مع الحكومات وكذلك ما يتمتع به من ثقافة تنظر للعلماء كأساس للحياة الدينية ، وتعطيهم صفة الاستقلال الشخصي ، وتمكنهم من الاستقلال الاقتصادي عبر الخمس والزكاة، وتؤهلهم لإصدار الأحكام الولائية بغض النظر عن الحكومات القائمة . كل ذلك شكل الإطار المتميز للثورة الإسلامية في إيران ، مما خلق نوعاً من

(١) من تصريح لرابير بتاريخ آب ١٩٩٣ .

التلاحم بين تعاليم المذهب والأهداف المعلنة للثورة ، الأمر الذي دفع بعض أعدائها لاعتبارها ثورة شيعية خالصة بعيدة عن منهج أهل السنة ، ناسين أو متناسين أنَّ التشيع لا يعني إلا الإسلام كما يصوره أهل البيت عليهم السلام . وأن مشتركاته مع باقي المذاهب تصل إلى الحد الأعلى في مجال التشريع والعقيدة رغم وجود بعض الخلاف والميزات التي أشرت إليها آنفاً .

ومن هنا يمكننا أن نعزو ظاهرة التركيز الواسع على التشيع دراسةً وبحثاً إلى عوامل رئيسية :

الأول : إقبال الجماهير الإسلامية بحق على دراسة التشيع ومعرفة جذور فكر الإمام الخميني رحمته الله والعناصر التي منحتة مثل هذه القوة الثورية .
الثاني : سعي الأعداء لمعرفة نقاط القوة والضعف في هذا المذهب محاولة منهم لضربه من خلال ذلك .

الثالث : هذا الهجوم المتجني الواسع على التشيع من قبل المفرطين والمتعصبين ، بحيث لم تبق لغة تترجم إليها كتب أمثال إحسان إلهي ظهير الباكستاني وغيره ولم تترك شاردة ولا واردة إلا وذكرت فيها ، ولم تمر على رأي مهما كان شاذاً إلا وطرحته واعتبرته الرأي الأصيل ، حتى أنها مثلاً اعتبرت عبارة يترحم بها أحد العلماء على آخر دليلاً على قبول آرائه كلها .
وطبيعي أن هذا الهجوم وخصوصاً إذا كان منبعثاً من فئة مشكوكة ومشبوهة تثير أحياناً الشكوك وحب الاستطلاع ، مما يدفع البعض للتحقيق والتقيب لمعرفة الحقيقة ، فإذا بهم يكتشفون آفاقاً جديدة لم يكونوا قد ارتادوها من ذي قبل .

فرق الشيعة في العصر الحديث :

وإذا أردنا أن نتحدث عن الشيعة ككلّ وجب علينا أن نلاحظ أنَّ الفرق الشيعية الحية اليوم هي كالآتي :

١ - الشيعة الاثنا عشرية : وهم الذين يؤمنون بالأئمة الاثني عشر المعروفين (أولهم الإمام علي عليه السلام وآخرهم المهدي عج) وهم الأكثرية الساحقة

كما سيأتي .

٢ - الشيعة الزيدية : وهم الذين يجتمعون مع الاثني عشرية في أربعة من الأئمة هم (علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام) ويفترقون عنهم في الإيمان بإمامة زيد بن علي بن الحسين فمن بعده ، في حين يؤمن الإثنا عشرية بالإمام الباقر «محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام» فمن بعده ، وربما جاؤوا في الدرجة الثانية من حيث العدد رغم بُعد المسافة بين العددين .

٣ - الشيعة الجُهرية : وهي فرقة من الاسماعيلية وهم يتفوقون مع الاثني عشرية حتى الإمام السادس (الإمام الصادق عليه السلام) ثم يؤمنون بابنه إسماعيل فمن بعده ، في حين يؤمن الإثنا عشرية بابنه موسى الكاظم عليه السلام فمن بعده .

٤ - الشيعة الاغاخانية : وهم فرقة أخرى من الإسماعيلية .

هؤلاء هم أهم الفرق الشيعية المعروفة اليوم وهناك فرق أخرى تنتسب إليهم كالعلويين النصيريين والدروز وغيرهم ، أما البكتاشية وهم فرقة كبيرة العدد فهم في الواقع إثنا عشرية رغم وجود بعض الخلط في المفاهيم والانحراف في السلوك عن خط التشيع الاثني عشري المعروف ، ومن هنا فنحن ندرجهم في خط التشيع الاثني عشري العام . وسوف نركز على خصوص الشيعة الاثني عشرية .

الشيعة الإثنا عشرية :

وإذا أردنا أن نستعرض الوضع العام لهم كان علينا أن نلاحظه من الجوانب التالية :

- ١ - الوضع الفكري .
- ٢ - الوضع السياسي .
- ٣ - الوضع العقدي .
- ٤ - الوضع الاجتماعي والأخلاقي .
- ٥ - الوضع الاقتصادي .

ولكننا سنقتصر على الأوضاع الفكرية والسياسية فقط .

القسم الأول : الوضع الفكري

يمكننا أن نقول أن أكبر مظهر فكري لهم يتجلى في إيران أيضاً ، وذلك تبعاً لما مرّ من كثافة سكانية وشيوع للثقافة الشيعية في أغلب الأرجاء ، وبشكل رئيس يمكن أن نعتبر الحوزات العلمية والجامعات الحديثة مهدّ الحركة الفكرية ومحلّ نموها ففي أحضانها تربّى المفكّرون وتمتّ الدراسات ووضعت النظريات الحياتية .

أما الحوزات العلمية : فتقوم على أسس ركيّة لدى الشيعة مما يميّزها عن باقي الجامعات الدينية وأهمها :

- ١ - نظام المرجعية الدينية المستقلة .
 - ٢ - استقلالية الموارد الاقتصادية .
 - ٣ - حرية الدراسة والاعتماد على النبوغ الذاتي .
 - ٤ - الارتباط الوثيق بطبقات الشعب .
- ولنشرح هذه الأسس بإيجاز :

١ - نظام المرجعية الدينية المستقلة :

يقوم هذا النظام أساساً على فكرة الاجتهاد والتقليد ، وإذا فسّرنا الاجتهاد بعملية استفراغ الوسع لاستنباط الأحكام الشرعية أو الوظائف العملية (شرعية أو عقلية) من أدلّتها التفصيلية ، أو أنه عملية إرجاع للفروع إلى الأصول المعتمدة شرعاً ، أو ما يقرب من هذه المعاني ، طبعاً دونما نظر إلى الاجتهاد بمعنى العمل بالآراء الظنيّة التي لم يقم عليها دليل قطعي ، إذا فسّرناه كذلك فإنّنا لانجدنا بحاجة للاستدلال على أن الإسلام شرّع مثل هذا المنهج لمعرفة أحكامه والتفقه فيها ، خصوصاً بعد وضوح قيام الشريعة بوضعه انسجاماً مع خلودها ، فهو واجب كفائي - بلاريب - حفاظاً على أحكام الإسلام من الاندساس والضياع ، حيث حثّت الشريعة على تحصيل العلوم الشرعية في مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٢) .

ولا ريب في أن القيام بعملية الاجتهاد ليس مما يستطيعه الجميع . يقول الشهيد السيد محمد باقر الصدر بهذا الصدد : (ولو كانت أحكام الشريعة قد أعطيت كلّها من خلال الكتاب والسنة ضمن صيغ وعبارات واضحة صريحة لا يشوبها أيّ شكّ أو غموض لكانت عملية استخراج الحكم الشرعي من الكتاب والسنة ميسورة لكثير من الناس ، ولكنّها في الحقيقة لم تعطَ بهذه الصورة المحدّدة المتميّزة الصريحة ، وإنّما أعطيت منثورة في المجموع الكلّي للكتاب والسنة وبصورة تفرض الحاجة إلى جهد علمي في دراستها والمقارنة بينها واستخراج النتائج النهائية منها ، ويزداد هذا الجهد العلمي ضرورة وتنوع وتعمق أكثر فأكثر متطلّباته وحاجاته كلّما ابتعد الشخص عن زمن صدور النص^(٣) .

(٣) الفتاوى الواضحة: ٤ - ٥ .

وقد عبّر صاحب كفاية الأصول المرحوم الخراساني عن التقليد بأنه (حالة فطرية جبليّة)^(٤) . وقد قامت عليه السيرة العقلانيّة الممضاة من قبل الشارع . ولا يجوز للمجتهد (في الرأي السائد بين العلماء) الرجوع إلى غيره ، وذلك لما قيل من أن العلماء اتّفقوا عليه لأن الأدلّة الدالة على جواز التقليد لا تشملها ، وهناك تفصيلات لا مجال لذكرها هنا .

(٤) كفاية الاصول ٢٥٩: ٢

طبعة مطبعة الاداب النجف

الأشرف ١٩٧٧ .

وبعكس نظرة أهل السنة إلى أئمّتهم بأنّهم مجتهدون ممتازون ، فإن الشيعة ينظرون إلى أئمّتهم بأنّهم أناس مطهّرون لا يقولون ولا يرون ولا يعبرون إلّا عن الواقع الذي عبّرت عنه السنة النبوية . ومن هنا فليسوا بمجتهدين وإنّما هم يطرحون واقع الشريعة ، وبعد ذلك تبدأ عملية اجتهاد مفتوحة لدى علماء الشيعة لم ينغلق بابها مطلقاً وإن كانت أحياناً مهّددة بالانغلاق لعاملين :

أحدهما: قوّة شخصية بعض المجتهدين كالشيخ الطوسي رحمه الله الذي هيمنت أفكاره على الحوزات العلمية فكاد الاجتهاد يُغلق جرّاء ذلك .

والثاني : سيطرة بعض الاتجاهات الأخبارية المعادية لأيّ نوع من أنواع الاجتهاد ، وهي ظاهرة وُجدت لدى الفريقين ، وسيطرت على الفكر الشيعي بشتّى مناحيه ، وربّما مازالت مهيمنة في بعض المجالات ، إلّا أنّها على

الصعيد الفقهي والأصولي منيت بهزيمة ساحقة على يد المرحوم محمد باقر بن محمد أكمل المعروف بالوحيد البهبهاني رحمته الله في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ، وبعد مرحلة الحكم الصفوي في إيران ، حيث هاجر إلى العراق وربى علماء كباراً من أمثال المرحوم الفقيه الكبير السيد مهدي بحر العلوم ، وله منظومة معروفة في الفقه ، والشيخ الكبير جعفر كاشف الغطاء صاحب الموسوعة الفقهية (كشف الغطاء) والرحوم الميرزا أبو القاسم القمي صاحب كتاب (القوانين) المعروف في الحوزات العلمية ، والسيد علي صاحب (الرياض) والسيد جواد صاحب مفتاح الكرامة - حتى أسموه (أستاذ الكل) - وقد خرّجت هذه المدرسة المرحوم الشيخ محمد حسن صاحب الكتاب المعروف بجواهر الكلام ، وهو تلميذ المرحوم كاشف الغطاء . كما خرّجت المرحوم الشيخ الأعظم الأنصاري تلميذ صاحب الجواهر ومؤلف الكتابين الرائعين (الرسائل) و(المكاسب)^(٥) . وقد استطاعا أن يقضيا على آخر آمال الأخباريين علمياً ، وهكذا دخلت الحركة الاجتهادية مرحلة النضج والنمو الواسع .

ولما كان الرأي السائد أخيراً لدى علماء الشيعة هو الإيمان باشتراط (الأعلمية) في المجتهد المقلّد وذلك اعتماداً على أدلة قوية^(٦) ، فإن من الطبيعي أن تتكوّن لديهم فكرة (المرجعية) العامة والتي يرجع إليها أكثر الناس في تقليدهم ، ويصبح المرجع زعيماً لكل الحوزات العلمية يوجّهها علمياً بل وحتى إدارياً . ثم كانت المرجعية بعد ذلك هي الممولة للحوزات العلمية كما سيأتي .

٢- استقلالية الموارد الاقتصادية :

وإذا لاحظنا أن الشيعة لم يكونوا يؤمنون بالحكومات المنحرفة التي استمرّت منذ عهد الأمويين إلى العصور التالية ، وخصوصاً الحكومات التي تولّت الأمر في عصور التمرّق والاستعمار وعملائه ، فمن الطبيعي أن ينشأ لديهم نظام مستقل لتوزيع الضرائب المالية الإسلامية الثابتة . فإذا ضمنا إلى هذا حقيقة مهمة وهي أنهم يؤمنون بلزوم دفع الخمس من خالص الأرباح التي يجمعونها في العام ، عرفنا الأهمية البالغة التي يكتسبها هذا النظام .

(٥) راجع ماكتبه الشهيد المطهري في (التعريف على الفقه وأصول الفقه) : ١٠٠ - ١٠٢ طبعه ملاً صدراً وغيره .
(٦) راجع ماكتبناه تحت عنوان (الأخذ بالرخصة) وهو بحث قدّمناه إلى مجمع الفقه الإسلامي في دورته الثامنة بهذا الخصوص .

والأصل في هذا النظام أنه يسلم إلى ولي الأمر باعتباره (وجه الأمانة) كما جاء في الرواية (٧). ولكن لما لم تكن هناك حكومة إسلامية (كما يتصورون) فإن الأمر كان يترك أول الأمر بيد من تستحق عليهم هذه الضرائب يوزعونها وفق ما يصلون إليه ، وربما شككت لذلك هيئات توزيعية . إلا أن الأمر استقر على أن يقوم المرجع الديني باستلام الزكوات والأخماس ثم توزيعها على مواردها ومصارفها . ودعماً لهذه العملية فقد أصدر المراجع أحكاماً بمقتضى ولايتهم لإرسال هذه الأموال ، يسمونها الحقوق الشرعية ، إلى المرجعيات لتقوم بصرفها في مواردها . وحينئذٍ انتهالت الأموال حسب الظروف ولم يعد مقام المرجع فتوائياً فحسب ، بل عاد قيادة اجتماعية واسعة النفوذ ، وراح العلماء المراجع يهتمون أول ما يهتمون بالحوزات العلمية وتنميتها .

وهذا الأمر هو الذي وقر استقلالية كبيرة للحوزات العلمية عن الحكومات وأعطاهما القدرة على إدارة نفسها ، وهذا على العكس مما ابتليت به الحوزات العلمية الأخرى من تبعية سياسية فرضتها عليها التبعية الاقتصادية بشكل طبيعي ، ورغم قيام الحكومة الإسلامية في إيران فإن هذا النظام مازال معمولاً به لضمان هذه الاستقلالية المطلوبة .

٣- الحرية الدراسية :

ورغم أن هذه الخصيصة ليست مختصة بدراسات مذهب معين ، إلا أنها تكاد تنحصر في الحوزات العلمية الشيعية بعد أن تحولت المعاهد العلمية الأخرى إلى معاهد جامعية ، الأمر الذي يتطلب إحياءها من جديد لأنها أقرب إلى الأصالة الإسلامية من غيرها (٨) .

وعلى أي حال فإن الطالب حرّ في انتخاب الحلقة التي يريد ، والأستاذ حرّ في اختيار نوع الدرس أو الكتاب الذي يريد تدريسه ، كما إن المناقشة حرة في أي مرحلة من مراحل الدرس . وفكرة الشهادات العلمية مرفوضة لحدّ الآن لأنّها يطمح أحد لنيلها ناسياً المضمون المطلوب ، والألقاب العلمية وإن كانت متداولة إلا أنها لا تعتمد على لجان تحدّها وإنما تعتمد على الكفاءة العلمية

(٧) وسائل الشيعة ٣٤١٦

المصدي ١٢ طبعة طهران

الأخوندي ١٣٨٧ هـ ، وراجع

مقالنا حول (الولاية على

الخمسة) في مجلة رسالة

الثقلين العدد الثاني ص ١٤٤ .

(٨) حدّثنا بعض القادمين

من غرب إفريقيا كموريتانيا

أنها مازالت معمولاً بها هناك .

التي يظهرها الطالب والأستاذ والمؤلف . ورغم وجود بعض السليبيات في هذا النظام إلا أنه يحوي إيجابيات جمة كما هو واضح .

٤- الارتباط الوثيق بالفئات الاجتماعية :

وهذه صفة رائدة للحوزات العلمية ذلك أنها غير منعزلة مطلقاً عن المسيرة الاجتماعية ، بل لا تستطيع الانعزال نظراً لتركيبتها التي أشرنا إليها .

ويمكننا أن نوضح العلاقات في النقاط التالية :

الاولى: ماقلنا من ارتباط الأمة بمراجعتها عبر عملية التقليد الحياتية الأمر الذي يجعل الحوزات العلمية مطمح الأنظار في صياغة القرار الديني .

الثانية: مارأيناه من أن الأمر استقرّ أخيراً على أن يقوم مراجع الدين باستلام الضرائب الإسلامية الثابتة وتوزيعها ، ممّا يؤدي بالتالي إلى أن يتم ارتباط اقتصادي متين مع الحوزات العلمية .

الثالثة: ماتدعو إليه تعاليم الإسلام في مجال لزوم تعليم الجاهل ، ودور العلماء في توجيه الحياة الاجتماعية باعتبارهم ورثة الأنبياء ورفع تأويلات المبطلين وصيانة جمى الدين من الشبهات وغير ذلك ، مما يجعل كلّ فرد من طلاب الحوزات وأساتذتها مشروع مبلغ وداعية لتعاليم الاسلام . ولذلك ينتهز الجميع الفرص المتاحة للتوغل في أعماق المجتمعات وإعلان كلمة الإسلام والتبليغ لتعاليمه ، ورائدهم في ذلك قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَبْلَغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٩) .

(٩) الاحزاب : ٣٩

الرابعة: مسألة ولاية الفقيه : حيث أن التعليمات الفقهية الشيعية أكدت على أن من يمتلك أزيمة الأمور في الحياة الاجتماعية يجب أن يكون فقيهاً بتعاليم الدين باعتباره أطروحة حياتية تربوية ولا يمكن أن يقوم عليها إلا المؤمنون العالمون بها علماً جماً . وهذا المبدأ يعني انتخاب قائد الأمة من بين الفقهاء .

ولا تصوّر أنه يختص به الشيعة بعد اشتراط أغلب علماء السنة ذلك في قائد الأمة (١٠) . إلا أن انعدام تطبيقه على مرّ العصور جعله من الأمور المنسية . فهذا المبدأ أصيل في التعاليم الإسلامية ولكني أرى أنه لا يعني الإطلاق في

(١٠) راجع كتابنا (حول

الدستور الاسلامي) فصل

(ولاية الفقيه عند أهل السنة)

(١١) راجع مقالنا حول

الخمس ، رسالة الثقلين العدد

الثاني ص ١٤٤.

دليل الولاية ليشمل كل فقيه^(١١) . وعلى أي حال ، فقد لعب هذا المبدأ دوره في إيجاد حالة قيادية للمراجع الدينيين وانتهت بالتالي لتشكيل الحكومة الإسلامية، وعلى أساس من هذا المبدأ مما يكشف عن عمق العلاقة التي تشد الأمة بالحوزة عبره .

هذا بالإضافة إلى أن أبواب الحوزات العلمية مفتوحة عادة لكل الطبقات لتنتهل فيها من علوم أهل البيت عليه السلام مما لا يجعلها حوزات مقفلة ومنعزلة . وأما الجامعات الكلاسيكية والحديثة لدى الشيعة فيمكننا أن نشير منها إلى جامعة الإلهيات بطهران ، وجامعة العلوم الإسلامية بمشهد ، وجامعة الإمام الصادق عليه السلام بطهران ، وهناك جامعات وكليات خصّصت للفقهاء الإمامية إلا أن بعضها اعتدت عليها أيدٍ معادية فحرفتها من قبيل كلية الفقه في النجف الاشرف وجامعة الكوفة بالعراق .

كما إن هناك مشاريع جامعات في أماكن أخرى مازالت لم تصل إلى الحد المطلوب . ومن هنا نجد لزماً علينا التنبيه إلى ضرورة العناية بالدراسات الجامعية لفقهاء وتاريخ أهل البيت عليه السلام كي تنعم الدراسات الجامعية بهذا الفيض العميم ، وعند الحديث عن الوضع الفكري للشيعة لابد أن نشير إلى النهضة التأليفية الحديثة التي انطلقت من إيران والعراق ولبنان لعرض مفاهيم أهل البيت عن الحياة وأطروحاتهم المتكاملة لحل مشاكلها ، وأخص بالذكر من المؤلفين في هذا المجال المرحوم الإمام الخميني والمرحوم العلامة الطباطبائي والمرحوم الإمام الصدر والمرحوم الشهيد البهشتي والمرحوم الشهيد المطهري . كما إن الشيعة مازالوا ينعمون بوجود الكثير من الكتاب والمفكرين والمتطرين لا يسعنا المجال لذكرهم .

كما إن هناك حركة ترجمة واسعة توسعت بقوة بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران .

القسم الثاني : الوضع السياسي

لعل من نافلة القول أن نذكر أن الشيعة شكّلوا خطّ المعارضة السياسية

على مرّ التاريخ ، خصوصاً حين كانت السلطات الحاكمة تمعن في البعد عن الإسلام أو ضرب القواعد الثورية المؤمّنة . وفي صدر صفحات تاريخهم الثوري تأتي نهضة الإمام الحسين عليه السلام ضدّ يزيد بن معاوية الرجل الطاغية الذي سوّد وجه التاريخ الإسلامي بأعماله . ثم تأتي الثورات الكبرى من قبيل (ثورة التّوابين ، وثورة زيد بن علي بن الحسين ، وثورة المختار الثقفي ، وثورة مطرف بن المغيرة ، وثورة ابن الأشعث ، وثورة يحيى بن زيد بن علي ابن الحسين عليه السلام ، وثورة أبي السرايا وثورة الحسين بن علي صاحب فخ) وغيرها .

يقول العلامة شمس الدين في كتابه القيم (ثورة الحسين) : « لقد أجمعت ثورة الحسين تلك الروح التي حاول الأمويون إخمادها ، وبقيت مستترة تعبّر عن نفسها دائماً في انفجارات ثورية عاصفة ضدّ الحاكّمين ، مرّة هنا ومرّة هناك ، وكانت الثورات تفشل دائماً ، ولكنها لم تخدم أبداً لأن الروح النضالية كانت باقية ، تدفع الشعب المسلم إلى الثورة دائماً ، إلى التمرد ، وإلى التعبير عن نفسه قاتلاً للطغاة : إني هنا .

حتى جاء العصر الحديث وتعدّدت وسائل إخضاع الشعوب ، وحكم الشعب المسلم بطغمة لا تستوحي مصالحه وإنما تخدم مصالح آخرين ، ومع ذلك لم يهدأ الشعب ولم يستكن ولم تغلح في إخضاعه وسائل القمع الحديثة ، وإنما بقي ثائراً مُعبّراً عن إنسانيته دائماً بالثورة ، بالدم المسفوح . وهكذا أثبتت الأُمّة الإسلامية وجودها ولم يجرّفها التاريخ وإنما بقيت لتصنع التاريخ ، هذا صنيع ثورة الحسين عليه السلام » (١٢) .

ولا يسعنا المجال لو رحنا نستعرض الآثار الكبرى التي تركتها هذه الروح على الفقه والكلام والأدب ومجمل الثقافة الشيعية عبر العصور .

وقد مرّت فترات قامت فيها حكومات شيعية ، إما إمامية كحكومة آل بويه والصفويين ، أو هي شيعية بالمعنى الأعم كحكومات الحمدانيين والفاطميين والأدارسة ، ولكنها جميعاً لم تشبع نهم الاتجاه الشيعي نحو حكومة علوية إسلامية خالصة . بل كان أكثرها وأكثر حكامها طغاة كغيرهم لا يختلفون

(١٢) ثورة الحسين: ٢٩، طبعة

تم - دار المثقف المسلم

عنهم في الجور في كثير من الأحيان ، ولذلك نستطيع أن نقول بشكل قاطع إنه لم تتحقق الصورة المطلوبة شيعياً إلا في العصر الحديث بانتصار الثورة الإسلامية في إيران ، والتي أعلنت ضرورة تطبيق الإسلام على كل مراحل الحياة ، وأنها تسير نحو هذا الهدف .

وعندما نريد أن نحيط إجمالاً بمعالم الوضع السياسي للشيعية اليوم تبرز أمامنا ظواهر كبرى تمثل مجمل هذا الوجود بل وربما تعدّ عللاً لحصوله واستمراريته وهي :

أولاً : الانتشار العددي وفي المناطق الاستراتيجية : ونستطيع القول إن الشيعية يتجاوزون المائتي مليون مسلم وينتشرون في شتى أنحاء العالم . فهناك بلدان يشكلون فيها الأكثرية الساحقة أو المطلقة كإيران والعراق والبحرين وأذربيجان .

وهناك بلدان يملكون فيها وجوداً قوياً وفاعلاً على مختلف الأصعدة من قبيل الباكستان والهند ولبنان ودول الخليج وتركيا . كما أنهم يشكلون أقليات نشطة في شتى أنحاء أوروبا ، وأميركا وإفريقيا وجنوب شرق آسيا .

ويتضمن هذا الوجود الكثير من الطاقات الفعالة في شتى الميادين ، الأمر الذي لا يدع المجال لأي شخص أو دولة أن تستهين به .

ثانياً : التلاحم الوثيق بين الأسس الفكرية العقيدية والتحرك السياسي : فالتحرك السياسي لديهم شكل جزءاً من كل كيانهم الفكري لا ظاهرة من ظواهر التمتع بالحرية السلوكية . والمقولة المعروفة عن الشهيد السيد آية الله حسن المدرّس : (سياستنا عين ديانتنا وديانتنا عين سياستنا) إنما هي ظاهرة لدى كل من وعى حقيقة الإسلام وفق منبع أهل البيت عليه السلام ، وعلى هذا الاساس نستطيع أن نفسر المفاهيم الشيعية المختلفة .

ذلك أننا درجنا على الاستماع إلى الكثير من التصوّرات الخاطئة عن التقية مثلاً باعتبارها لوناً من ألوان النفاق ، وعن ترك صلاة الجمعة عند عدم الحاكم العادل باعتباره لوناً من ألوان الاستهانة بحكم إسلامي ثابت ، وعن الولاية

باعتبارها تطرفاً في الحب لأهل البيت ، والبراءة باعتبارها جنوحاً سلبياً لرفض الآخرين وهكذا .

في حين أننا لو لاحظنا هذه المفاهيم في الإطار السياسي الإسلامي الذي أعطاه أهل البيت لوجدنا نوعاً من التلاحم بين العقيدة والجهاد ، والدين والحياة .

فالإيمان بالحاكمية الإلهية المطلقة يستتبع الإيمان بضرورة تطبيق الشريعة على كل الحياة ، وهو بدوره يستتبع تسليم التجربة لأيدٍ أمينة تستطيع تأمين متطلبات التطبيق السليم ، وهي أيضاً تستدعي التحام الشعب مع القيادة الإسلامية بلحمة الولاء الكامل والنفور من كل من يعادي التجربة وقيادتها . فإذا ما صادفت التجربة نكسة مريعة تحاول القضاء عليها فالتقية هي التكتيك المناسب للحفاظ على عناصر التجربة ، وهكذا نستطيع التأكيد على أن كل المفاهيم العامة تتحول إلى عناصر حركية في أطروحة منسجمة لتطبيق حكم الله في الأرض .

أما الدعوة إلى طاعة الحاكم مهما كان وأياً فعل ، والتسليم المطلق لأهوائه فلا مجال لها في المنطق الشيعي . وأما الانعزال عن الحياة أو عزل المسجد عن الحياة فلا محل لها أيضاً ، ومن هنا قلنا بأن التلاحم بين الأصول العقائدية والسلوك الجهادي يمثل ظاهرة إسلامية أصيلة في النفسية الشيعية .

ومن هنا أيضاً نستطيع أن ندرك السر الذي دعا الجماهير الإسلامية في كل مكان للاستجابة للنداءات الإسلامية الثورية للإمام الخميني (ع) والتفاعل معه لأنه جسّد حركية الإسلام وأثبت لها وحدة الدين والحياة وفتح أمامها الأمل الكبير لغدٍ إسلامي مشرق .

وإذا رأينا القراء في العالم الإسلامي ينهالون على كتب المرحوم الشهيد الصدر من قبيل (اقتصادنا وفلسفتنا ، والأسس المنطقية للاستقراء) وكتب المرحوم الشهيد المطهري من قبيل (العدل الإلهي ، والانسان والقدر ، والدوافع نحو المادية) وكتب المرحوم العلامة الطباطبائي وغيرهم فإنما ذلك لما تحمله هذه الكتب من الروح الثورية التغييرية .

إن هذا الفكر يركّز على الأُممية في التفكير ، والإلهية في السلوك الحياتي ،
والتغيير المستمر في المنهج ، والفطرية في التعامل مع الآخرين .

ثالثاً : الوجود الفاعل على الساحة السياسية : وربّما كانت هذه الظاهرة
نتيجة منطقية للظاهرة السابقة ، فما يمتاز به الوجود الشيعي في أكثر المناطق
هو التحرك الفاعل على الساحة السياسية وخصوصاً بعد أن أعطته الثورة
الإسلامية في إيران زخمه الحقيقي تماماً ، كما أعطت كلّ الحركات الإسلامية
دفعة ضخمة للأمام فراحت تطوي طريق تكاملها الثوري ، والحمد لله أننا
نشهد في الساحة اللبنانية تحركاً إسلامياً مقاوماً ، ويقف التحرك الشيعي في
المقدّمة فيتحذّر كلّ السلاح الإسرائيلي وكلّ التآمر الدولي وكلّ الاستسلام
الخياني ، ويعلن بكلّ صمود تصميمه على مواصلة الكفاح .

وهكذا الحال بالنسبة للساحة العراقية حيث الانتفاضة البطلة المستمرة
ضد النظام الحاكم في العراق ، وحيث عشرات الألوف من الشهداء يقفّمون
على مذبح التحرّر من النظام المنحرف .

ولسنا نريد أن نبين هنا نوعاً من الانحصارية الثورية ، كلّاً فإن هناك
الكثير من الحركات الثورية الأخرى لا تقلّ عن مثل هذا النمط ولكننا نريد
التأكيد على وجود هذه الظاهرة بقوة في الوسط الشيعي .

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أن هناك الكثير من المراكز والجمعيات
والاحزاب والشخصيات القوية والصحف والمجلاّت والمراكز الفنية وغير ذلك ،
وهي تعمل بقوة على أداء دورها السياسي في الساحة العامة ولا يستهان
بدورها في هذا المجال .

الخطوات العدائية ضد الشيعة

واستكمالاً للوضع السياسي للشيعة نجد أن من الطبيعي التحدّث بإجمال
عن أنماط العداء التي يواجهونها اليوم وذلك للوصول إلى تصوّر مشترك
للموقف .

فإن مارأيناه من روح وماحقّفته من انتصارات ، وماأدّت إليه من زعزعة

لأركان النظام العالمي نظام المصالح والتوازنات ، دفع بالأعداء لشُرِّ حملة عدائية منظّمة ضدَّ الشيعة ومعتقداتهم ونشاطهم الفكري والسياسي . والغريب أن هذه الحملة لم توجّه للحركيين فقط وإنما شملت حتى تلك القطاعات التي لم تلتحم مع أخواتها في المسيرة العامة ، بل بقيت محافظة على وضعها القديم ، ولكنها لم تسلم مطلقاً من ضربات الأعداء . وعلى أي حال ، فقد تمثّلت الحملة بأنماط كثيرة نلخصها فيما يلي :

أولاً - ضرب الثورة الإسلامية في إيران : قلنا إن هذه الثورة شكّلت منطلق النهضة الحديثة ، ومنبع صحوة إسلامية عمّت أرجاء العالم الإسلامي ، مما قضى على الكثير من الأحلام الاستعمارية وهزّ الكثير من العروش المستندة للخارج ، وفتح المجال للكثير من الأمل في عودة الإسلام إلى واقع الحياة ، ولهذا جاء التخطيط الاستعماري العالمي لمحصارتها بشتّى أنماط الحصار الإعلامي والسياسي والثقافي والعسكري والاقتصادي وذلك لشلّها عن القيام بإعلان مبادئها ونشر أنوارها ، ولن نطيل هنا فالمجال واسع ولكننا أشرنا إليها فقط باعتبارها مهد التشييع بالإضافة لكونها مهد الإسلام ، ولأن تعريضها للتشويه والتحريف يعني تعريض التشييع لذلك بالتأكيد .

ثانياً - سيل التهم ضدَّ الشيعة والتشييع : ولن تنقضي ساعة حتى تطالعنا وسائل الإعلام بسيل من التهم ، وحتى تخرج العقول المخططة بمسرحيات محبوكة تحكي كلّها عن فضاة الشيعة وإرهابهم وأصوليّتهم المترمّنة ، ورجعيّتهم في التفكير ودمويّتهم وفوضويّتهم ، وحقدهم ضدَّ السلام والأمن والاستقرار إلى آخر القائمة . وعندما يتمّ التشويه يبدأ العمل على ربط الحركات الإسلامية غير الشيعية بالتشييع وتحذير الجماهير السنيّة منها لكي لا تحتضنها ولا تتحرك معها وتتوجس منها خيفة ، وفي المرحلة التالية يتحوّل (التشييع) بنفسه إلى تهمة وكلّنا يتذكر خبر تلك الخلايا الكاذبة التي ادّعي أنها انتمت للتشييع فهاجمها البوليس المصري وراح القضاء يحاكمها بتهمة حيازة منشورات شيعية .

ثالثاً : تحرّك الأجهزة المشبوهة لخلق النزاع الشيعي السنيّ وتحويله من

مجرد خلاف فكري اجتهادي طبيعي أحياناً إلى خلاف متأصل لا لقاء فيه ولا تقاطع ، فهما نظرتان متميزتان إلى الله والرسول والإسلام ولا يمكنهما أن تلتقيا.

فالصفات الإلهية هنا غير الصفات هناك ، والرسول هنا غيره هناك بل وربما أكدت التهمة على أن الرسالة كان ينبغي لها أن تتوجه إلى «علي» «والعياذ بالله» والقرآن هنا غيره هناك ، والشرعية بكاملها والمفاهيم بمجملها غيرها هناك ، وهكذا راحت مئات الألوف من الكتب تطبع قربة إلى الله ! وبمختلف اللغات الحية وحتى لدى أولئك الذين لم يسمعوا بوجود خلاف شيعي سنّي على الإطلاق .

وأودّ هنا أن أشير إلى أن بعض العناصر التي توجّع الخلاف هي عناصر شيعية أيضاً مدسوسة تريد أن توفر الأرضية المناسبة لتأكيد التهم التي تطلقها أختها في الجانب الآخر .

رابعاً: سعي الجهات الأنفة لطرح خطأ شيعي لا ثوري مسالم لا يتبنّى ما أشرنا إليه وإنما ينسجم مع مطلق التوجّهات العامة في عزل الدين عن الحياة . بل اتّجه الأمر لخلق خطأ شيعي يرفض كلّ المتبنّيات الشيعية تحت شعار التصحيح العقائدي ، والغريب أن تقوم دول علمانية معادية للدين بتمويل هذا المشروع .

إننا ذكرنا هذه الخطوط المعادية عند التحدّث عن الوضع السياسي لا لشيء إلا لنؤكد على أن الأهداف سياسية مصلحية تحاول إيقاف المدّ الثوري الإسلامي عن تحقيق مطامحه ، بل ووأده فلا يبدو له حراك أبداً .

وإلا فإن للشيعية جوابهم عن كلّ التهم الموجهة إليهم ظلماً ، وهم يؤكّدون على وحدة المنطلق ووحدة الأسس الفكرية ووحدة المناهج بل ووحدة النتائج إلى الحدّ الباهر حتى لا يكاد يبقى خلاف إلا في ساحة ضئيلة تفرضها طبيعة الحرية الاجتهادية .

ولقد استمعت يوماً إلى حديثٍ للاستاذ المرحوم محمد المبارك وهو المفكر الكبير فأخبرني بأنه درس الساحة الفقهية المشتركة بين الشيعة والسنة

فوجدتها تصل إلى أعلى نسبة متصورة . كما حدثني أستاذ عراقي معروف ،
هو الاستاذ الكبير حسين محفوظ عن أن شقة الخلاف تضيق إلى مالا يتصور .
هذا على الساحة الفقهية وكذلك الأمر على الساحة العقائدية ، أما الساحة
الاجتماعية والأخلاقية فلا تكاد تبصر خلافاً بينهما .

ولسنا نحاول هنا الإجابة عن التهم بقدر مانحن بصدد الإشارة إليه من
أنها لا تعدو كونها وضعية خلقتها عقلية المصالح السياسية والتبعية الذيلية
للأجنبي .

خاتمة :

في ختام هذا البحث أجد لزاماً عليّ كي أخلص إلى نتائج عملية أن أ طرح
الأمر التالي على بساط البحث عسى أن نصل فيها إلى نتائج إيجابية وهي :
أ- على كلّ الغيارى والمخلصين للقضية الإسلامية أن يعوا دورهم
التاريخي المناط بهم فيعملوا على تقوية حركة التقريب بين المذاهب الإسلامية،
فالتفهم هو السبيل للتفاهم ، وإذا تمّ التفاهم انسدّ الطريق على المتصيديين في
الماء العكر .

وما حركة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بقيادة قائدها الكبير الامام
الخامني في مجال التقريب إلا خطوة إيجابية في هذا السبيل .

ب- موضوع التعرّف على فكر أهل البيت (عليه السلام) وفقههم ونظراتهم وحلولهم
للمشاكل موضوع هام يجب أن نوليهِ العناية البالغة ولا نحرم أنفسنا من ثروة
بالغة خصوصاً إذا لاحظنا أن نصوص الثقلين (١٣) تؤكّد على أهليتهم للمرجعية
العلمية للأمة وأن التمسكّ بهم عصمة للأمة من الضلال ، وهذا ما أكّده الإمام
الخميني (رحمه الله) في مقدمة وصيته السياسية العبادية . وإنني لأقترح أن تقوم
الجامعات العلمية في أنحاء العالم بإيجاد كراس لفقه أهل البيت (عليه السلام) .

ج- فكرة الحركة الحرة للكتاب الإسلامي يجب أن يتمّ تنفيذها ليطلع القراء
على نتائج الفكر غنّه وسميته ، وليميزوا بأنفسهم ذلك ، أما حالة الحجر

(١٣) والمصادر الشيعية كلّها
تذكرها وكذلك تؤكّد عليها
المصادر السنية . راجع
الترمذي ١٩٩: ١٣ باب مناقب
أهل بيت النبي (عليه السلام) ، وكنز
لعمال ٤٨: ١ ، وصحيح
سلم باب فضائل علي بن
أبي طالب (عليه السلام) ، ومسنّد أحمد
: ٣٦٦ وسنن الدارمي ٢ :
٤٣١ باختصار ، وسنن
بيهقي ١٤٨: ٢ و ٣٠٠: ٧ ،
الطحاوي في مشكل الآثار ٤
٣٦٨ وغيرها .

المفروضة على الكتاب الشيعي في كثير من الدول فهي أمر اعتبره خاطئاً ،
وطبعاً يجب أن يلتزم الكاتب بالروح الموضوعية ويتجنب عنصر الاهانة .

د - من الطبيعي أن يتم التركيز على الإفتاء المجمع لما فيه من تجمّع آراء
وقرب من الحق وتنقيح للموضوع بشكل أكبر ، وقد تمّت بعض الخطوات في
هذا السبيل ، كما في الأمر الذي أصدره القائد بتشكيل مجمع لفقه أهل
البيت عليه السلام لدراسة القضايا الحديثة ومعرفة الحكم الشرعي فيها ، وهي تجربة
تقابلها على الصعيد الإسلامي تجربة تشكيل مجمع الفقه الاسلامي بجدة وهي
تجربة حميدة أيضاً .

هـ - إن تعميم الروح الحوزوية في الدراسات الجامعية - إلى الحد الممكن -
يمكن أن يترك أثره الكبير في إخراج العمل الجامعي من الرتابة ويؤصل العمق
والموضوعية فيه ، وهي تجربة تستحق الدراسة ، على أن علينا أن لا نجفف
الميادين التي تتمتع فيها هذه الروح بالحيوية ، بل نؤصلها ونشجعها . وإنني
لأعتقد أن تحويل الأزهر من حالته الحوزوية إلى حالته الجامعية الصرفة ،
أضرّت به كثيراً .

و - إن من وظيفة العاملين في حقل التحرك الإسلامي النضر إلى الحركة
الإسلامية ككل والدفاع عنها ككل ونسيان الحالة الحزبية الضيقة والمصالح
الفئوية المحدودة وتقديم مصلحة العمل الإسلامي التغييري على المصالح
الجانبية والاصلاحية ، وهي وظيفة خطيرة تؤكدها الآيات القرآنية الشريفة ،
حيث تدعو للولاية بين العاملين بعد أن كان أعداء الحركة الإسلامية
متضامنين في عملهم ضدها .

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعُصَمَاءَ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ﴾ (١٤) .

(١٤) الانفال : ٧٣ .

ومن هنا فمن الطبيعي أن يتم تشكيل مجلس لتضامن كل الحركات بوجه
أعدائها .

ز - في كلّ مذهب من المذاهب الإسلامية زوائد وحشو وتطرف وآراء

فردية شاذة ، وهذه الزوائد لها دورها في إذكاء نار الفتنة بين المسلمين ، وإذا
 شئنا أن نتخلص من النتائج السيئة كان على حكماء كل مذهب أن يؤدّبوا
 مفرطيهم ويعزلوا الشاذين عنهم ولا يؤكّدوا على نقاط يستحسن الإغضاء
 عنها كي نصل جميعاً إلى الهدف المنشود .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :

إِنَّ شَيْعَتَنَا مِنْ
 شَيْعَتِنَا وَتَبِعَتَنَا
 فِي أَعْمَالِنَا

بخلاف الزوائد ٦٨ : ١٥٥

تعريف

كتاب في مقال : الاسلام وشبهات المستشرقين

* الدكتور
محمد جواد الطريحي
(العراق)

□ هوية الكتاب :

اسم الكتاب : الاسلام وشبهات المستشرقين.

المؤلف : الشيخ فؤاد كاظم المقدادي.

الناشر : المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

القطع : وزيري .

عدد الصفحات : ٣٧٨ صفحة .

الطبعة : الأولى (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) .

لم تعد حركة الاستشراق حدثاً عادياً طرأ على مجتمعنا الاسلامي، بل إنها تكتسب أهمية بالغة باعتبارها أسست تعويضاً عن هزيمة الصليبيين وبخاصة فيما هدفت إليه من غاياتها وما انتجته آثارها الممتدة في عمق التاريخ إلى حقبة زمنية، ربما كانت بدايتها بإنشاء مدرسة الدعاية عام ١٦٢٧ التي أسسها البابا الثامن، حيث إن الاستشراق أول ما ظهر بين الرهبان عندما قامت روما بمحاولة تنصير العرب فأعدت لهم الوعاظ الذين علمتهم العربية ... ، وكان أن أنشأ الأب ماتوريبا المعهد العالي للغات الشرقية في نابلس سنة ١٧٣٢ ، ثم أنشئ المعهد البابوي للغات الشرقية والحقت به مكتبة غنية بالمخطوطات العربية.

وإذا حاولنا التمعن في آثار هذه الحركة وليدة الاستعمار وربيبته - ولا سيما فيما تركته على العالم الاسلامي في افكاره ونظمه وقيمه وعقيدته - فإننا نكتشف مثلاً أن ما قام به بعض المستشرقين يفوق في خطره أكثر مما تقوم به الجيوش، كما عبر عن ذلك الكاردينال (لافيجري) بحديثه عن نفسه في الجزائر وتونس إبان خدمة للاستعمار في محاولة منه لمحو الاسلام من نفوس الجزائريين؛ لأنه هو الموجع لروح المقاومة فيهم.

ولا يسعنا إلا أن نقوم بدراسة موجزة من أجل التعرف على الاحداث التي سببت ظهور هذه الحركة ودفعتها بقوة إلى عالمنا الاسلامي. حيث إن الحركة الاستشراقية لها ابعاد عديدة اهمها السياسي والفكري.

فالبحث في الجانب الاول (السياسي) يمنحنا فائدة الاطلاع على اصول ومراكز الافكار التي يعيشها مجتمعنا، بما فيها من أدواء تنال من شخصيتنا وتقتص من ذاتيتنا.

ولا عجب أن الهدف الرئيس هنا هو محاولة الهيمنة والاستعمار للعالم الاسلامي، ولهذا الغرض تزايد المستشرقون في عالمنا فدرسوا افكارنا ومجتمعنا وديننا بصورة خاصة بغية معرفة النواقد التي يستطيع المستعر أن يدخل منها فيما لو توفرت، وفي حالة عدم وجودها فلا بد من ايجادها. يضاف إلى ذلك ما تحمله نفوس الاوربيين من العداة التقليدية والحقد كأثر مباشر من آثار الحركة الصليبية وقد أوضح جوستاف لوبون: أن أوروبا ما زالت تنظر إلى العالم الاسلامي نظرة ما بعد الحروب الصليبية ولم تتحرر منها. وفي هذا الصدد نجد أن علماء الإسلام ادركوا منذ وقت مبكر هذه المسألة، ومن أولئك ما افاده الامام المصلح الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء رحمته الله حيث يقول: «ولقد علم حتى الابكم والاصم أن في كل قطر من اقطار العالم الاسلامي حيتاً من حيتان الغرب، وافعى من افاعي الاستعمار فاغراً فاه لالتهام هذا القطر وما فيه».

واما الجانب الفكري الذي يبدو أكثر خطراً فإنه ينبغي دراسته في ضوء الجانب السياسي الذي المحنا إليه، فكل فكرة حاولت مدرسة الاستشراق أن

تنتجها لم تكن في حقيقتها الا نبت الاستعمار السياسي. «لقد شوه المستشرقون كثيراً من الحقائق وادخلوا في التاريخ الاسلامي ما ليس منه. وكانت لهم اليد الطولى في توسعة شقة الخلاف بين طوائف المسلمين بما ينشرونه من دفائن، ويبرزونه من اقوال شاذة، وآراء مقبورة بأسلوب ماكر خداع»^(١).

(١) العلامة المرحوم الشيخ
أحمد حيدر، الامام الصادق
والمذاهب الاربعة ٢: ٣٧٩.

وإن مما يثير الدهشة حقاً، ويضيف أهمية أخرى لدراسة حركة الاستشراق هو حالة الانبهار بها من قبل الكثير من المسلمين ممن لهم مكانة في تأسيس البنية الثقافية في مجتمعنا إلى حد بعيد؛ وذلك نتيجة للظروف التي عاشتها شعوبنا الاسلامية.

فلو رجعنا إلى الماضي القريب الذي صاحب بدايات النهضة الحديثة، لأدركنا كيف أن غالبية رجال النهضة - وخاصة في البلاد العربية - ممن تخرج من مدرسة الاستشراق متأثراً بأفكار اساتذته الذين سكبوا في ذهنيتهم تفكيرهم السيئ وانحرفهم عن جادة الصواب بما شوهوا به وجه الحقيقة، فاصبحوا بعد تخرجهم يرددون هذه الافكار.

ولا ادل على ذلك من أن يضم مثلاً مجمع اللغة العربية في مصر بين اعضائه عالماً فرنسياً.

وبهذا فقد توغل الاستشراق في الحياة العقلية للبلاد الاسلامية مؤثراً في غالب الاحيان بتأطير حركة الاتجاه الثقافي وتفسير التاريخ، وأيهام طلاب البحث والدراسات بمتبنيات بعيدة عن الواقع. فمثلاً نجد أن هؤلاء المستشرقين «إذا عثروا على حكاية شاذة، أو نكتة فاردة في زاوية كتاب قد يكون محرفاً سقطوا عليها تهافت الذباب على الحلوى، وجعلوها معياراً ومقياساً، لا بل صيروها محكاً يعرضون عليه سائر الحوادث، ويغفلون أو يتغافلون عن الاحوال الخاصة، والاسباب المستثناة. ويرجع كل هذا التهور إلى قلة الاطلاع في الاصل. هذا إذا لم يشب ذلك سوء قصد، لأن الغربي لم يبرح عدواً للشرقي ورقيباً له والنادر لا يعتد به»^(٢).

وبالرغم من الوعي المبكر لدى رجال الاسلام لهذا الخطر الذي داهم عالمنا

(٢) الامير شكيب ارسلان،
حاضر العالم الاسلامي ١:

الاسلامي وجدنا أن حالة الاتباع والتقليد لم تزل تعيشها الحالة الفكرية لدينا والنشاطات التي تصاحبها في عالم الثقافة وخدمة التراث والأدب والفن، كما تظهر جلية فيما يكتب من دراسات اسلامية. وما هذا التأثير إلا من نفاذ حركة الاستشراق في اغوار تفكير مجتمعنا، وما يتقمصه بعض الذين يحاولون أن يلحقوا بركابهم في هذا المسار العاثر تحت غطاءات متعددة وبدوافع شتى، كالتجديد وإعادة النظر في المناهج، وصياغة الافكار والاساءة للشخصيات والتراث الفكري على انه لا ينسجم مع روح المعاصرة في ضوء ما يروونه سبباً للنهضة وداعياً للنهوض والبناء للمجتمع الحديث.

يتضح مما تقدم أن الاستشراق بمفهومه الصحيح ليس اتجاهاً علمياً لدراسة الشرق الاسلامي وحضارته، كما ادعاه المستشرق الفرنسي الشهير (مكسيم رودتسون)، بل هو في حقيقته حركة واسعة الدوافع والقوى الكامنة وراءه حتى استوعب في كثير من مراحل وادواره آخر التطلعات الحضارية لأوروبا وحركتها الاستعمارية في الشرق خصوصاً الاسلامي منه.

ومن هذه النتيجة في بحث نشأة الاستشراق اود أن ابدأ الحديث عن الكتاب، القيم الذي صدر مؤخراً بعنوان (الاسلام وشبهات المستشرقين) لسماحة الاستاذ الشيخ فؤاد كاظم المقدادي في سلسلة كتاب الثقلين، فبالرغم من وفرة الدراسات والبحوث في هذا الباب عن الاستشراق والمستشرقين ونشاطاتهم عبر اتجاهات وتيارات متعددة، إلا أن الميزة الرئيسية فيه هو الكشف عن ناحية مركزية هامة فيما يتعلق بالشبهات المثارة حول الاسلام، على أن هذه المحاولة الجادة التي سجلها الشيخ المقدادي تكتسب اهمية اخرى من خلال تتبعه الموضوعي لحركة الاستشراق.

الكتاب يقع في (٣٧٨) صفحة ومنهجه الذي اعتمده يتضمن:

المدخل وقد بحث فيه أهل الكتاب والثقلين.

الفصل الاول - نشأة الاستشراق.

الفصل الثاني - المراحل والادوار التي مرت بها الحركة الاستشراقية.

الفصل الثالث - المدارس الاستشراقية.

الفصل الرابع - نماذج من ابرز الموضوعات التي ركّز عليها المستشرقون

في دسهم وتشويههم.

الفصل الخامس - نماذج من كبار المستشرقين في منهج تناولهم للشرق

الاسلامي.

الفصل السادس - نماذج من الدس والتشويه في الانتاج الموسوعي

للمستشرقين.

الخاتمة.

وفيما نحاول أن نستعرض موضوعات الكتاب للوقوف على اهمية هذه

الدراسة، نجد أن توزيع المعلومات فيه انصب على ناحيتين رئيسيتين:

الناحية الاولى: تضمنت التعريف بحركة الاستشراق في نشأتها ومراحل

تطورها وما انتجته من مدارس عديدة. وهي الناحية التي تكفلتها الفصول

الثلاثة الاولى، وقد تمت في (١٢٩) صفحة اوفت فيها الغاية التي يستطيع

القارئ أن يتعرف بها على هذه الحركة، وهي مسألة من الأهمية بمكان لمعرفة

النتائج التي وصلت اليها.

الناحية الثانية: عرض فيها المؤلف الكريم نماذج من دسائس

المستشرقين ووسائلهم في تشويه الاسلام. وفي هذا الحقل من الكتاب تبرز

أهمية موضوعه من حيث طرح الشبهات التي حاولت حركة الاستشراق

تقديمها تحقيقاً لاغراضها السيئة في الحقد ومحاربة تعاليم الاسلام ومفاهيمه

الصحيحة والرد العلمي للمؤلف عليها.

وفيما نستعرض فصول الكتاب نجد أن الفصل الاول (نشأة الاستشراق)

وفيه سبعة مباحث درس فيها الباحث هوية الاستشراق. النشأة والبدائيات.

نشأة الاستشراق والاقتران بالتبشير. نشأة الاستشراق بين النهج العلمي

والاستعداد التبشيري. مبدأ الاستشراق اختراق ثقافي لدحر المسلمين في

أوروبا. الاستعراب أولاً ثم الاستشراق. بروز نظريات الاستشراق الاستعماري.

وفيما نقرأه في مباحث هذا الفصل:

أ - تأكيد المؤلف على أن كتابه ليس من مقاصده ترسيخ المجادلات

المتناخضة كما هي طريقة المستشرقين، ومن امثلتهم الأب لامانسي الذي كان شديداً في تعصبه حيث ركز في كتبه على كرهه للاسلام ونبي الاسلام، فعنده أن الحديث إذا وافق القرآن كان منقولاً عن القرآن^(٣).

(٣) راجع ص ٢٢ وما بعدها من كتاب الشيخ المقدادي.

ب - فضح الزيغ الذي زين صورة المستعمرين وبرر ممارساتهم وازهارهم بمظهر المنقذ والمحرر وحامل راية الحرية والحضارة مثلاً.

ج - معرفة أن غالبية المستشرقين ممن يعمل في إحدى مؤسسات الدول الاستعمارية بصورة رسمية، وهذه المعرفة تكشف ما يحاول امثال هؤلاء من توظيفهم من خلال رسم مناهج بحثهم ودراساتهم الاستشراقية في ضوء الدوافع الاستعمارية لبلاد الشرق الاسلامي.

د - ومما بلغه المؤلف من نتائج هنا هو بيان ما لهذه الحركة من دوافع عديدة باتجاه اغراض مشتركة، فيندفع في مرحلة تاريخية واحدة باتجاهات متعددة هدفها تشويه وتحريف العقائد والمتبنيات الفكرية السائدة في الدائرة التي تتناولها دراسات المستشرقين وأبحاثهم.

ومن ذلك ما يفيد بمحاولة الاستشراق لغرض مفهومه بان الدين ظاهرة اجتماعية لم تنزل من السماء، وإنما خرجت من الارض كما خرجت الجماعة نفسها، وغير ذلك. وفي ذلك ما يوضح معالم المنهج الغربي للاديان من خلال مقولة مضللة تقول: إن الاديان ظاهرة اجتماعية وظاهرة مرحلية تلت مرحلة الوثنية، واعقبها مرحلة العلم التي لم يعد الانسان أو المجتمع خلالها في حاجة إلى وصاية الدين.

هـ - وأخيراً يستفاد من هذا المبحث أن الاستشراق يمضي إلى التشكيك في قاعدة (عالمية الاسلام) وختم الرسالة، ويفتح الباب واسعاً امام دعوات البهائية والقاديانية في الدعوة إلى وحدة الاديان وهو غاية ما ترمي إليه الماسونية في دعوتها إلى دين البشرية (الهومينيزم)^(٤).

(٤) اقرأ ص ٢٧ من الكتاب.

ومما توصل إليه المؤلف الفاضل أن نشأة الاستشراق اقتربت باتخاذ قرار بتأسيس عدد من الكراسي لتدريس اللغة العربية واليونانية والعبرية والسريانية في جامعات باريس واكسفورد وبولونيا وافيونيون وسلامنكا

وبعض الجامعات الاوربية من قبل مجمع فينا الكنسي عام ١٢١٢م فاتحة لبداية الاستشراق.

ولابد من معرفة ان وطن النشأة الاول للاستشراق كان الاندلس بعد الفتح الاسلامي لها واستقرار المسلمين فيها عام ٧١١م. حيث استعرت قلوب المستعربين الذين آثارهم مدى نفوذ الاسلام وقوة تأثير الثقافة الاسلامية واللغة العربية في واقع الشعب الاسباني، فتحركوا لمواجهته وسعوا لتفريغ محتواه. وقد قامت الكنيسة الكاثوليكية بتأجيج الصراع وتغذية الشعور المعادي للمسلمين، ومن ذلك تصوير المستشرقين للعالم الاسلامي بأنه بشع في عاداته، قبيح في اخلاقه، مليء بالبدع والخرافات والانحرافات عن الدين السماوي الحق.

وحين يقف المؤلف على مبدأ الاستشراق يلخص بروزه في مسارين:
الأول: المسار الديني، ويظهر في سعي الكنيسة لاسترداد اسبانيا من المسلمين، واستعارة اسلوب المسلمين في الجهاد المقدس، وبناء الحس الديني الرهف في ابناء اسبانيا.

الثاني: المسار الفكري والسياسي، وهو فيما ينظر غلاة رجال الكنيسة إلى المسلمين من أنهم محتلون غزاة برابرة وقد أوجد ضعف السلطة الاموية فرصة سانحة لاثارة الفتن والحروب، وتنامي الشعور القومي والحساسية العرقية وبروز صراعات سياسية وقبلية بين المسلمين العرب انفسهم، ومن ثم الدعم الذي قدمه النصارى الاوربيون من الفرنسيين وغيرهم للتصدي للانتشار الاسلامي في اوربا.

ثم عندما يكون الحديث عن الاستعراب فبالرغم من وجود طبقة من المستعربين الذين حسن اسلامهم ابا ن فتح الاندلس، وكانت لهم مكانة علمية مرموقة وظهر فيهم العلماء والادباء، إلا أن هناك طبقة اخرى تشبهوا بالمسلمين ظاهرياً ولم يكن هذا كله يصرفهم عن عدائهم الشديد للرسالة الدينية والايديولوجية الاسلامية؛ ولذلك فقد برزت فيهم ظاهرة الانتقام أو التقليل من شأن الرسالة والفكر الاسلامي. وقد اشتد الصراع بين العرب

والمستعربين مؤطراً بالدين حتى وصلت قوة العداء بين الطرفين إلى الحد الذي دفع عمر بن حفصون إلى الارتداد عن الاسلام والعودة إلى النصرانية لكي يستميل النصارى إليه في قتاله ضد الحكم العربي. كما أن حركة الترجمة من العربية إلى الاسبانية وإن كانت لاغراض عقائدية إلا أنها لم تتحول إلى حالة ثقافية شاملة إلا في القرن التاسع الميلادي. وهكذا نشأ الاستشراق ليبدأ بالتكرس والتحول إلى مؤسسة وفق خطط واهداف.

ومن نتائج المؤلف أن الاستشراق كان الابرز في معادلة الصراع الحضاري بأشكاله الدينية والسياسية والفكرية، لا سيما وأن الأوربيين بشكل خاص ينظرون إلى كون المشرق الاسلامي (ملكاً للامبرطورية الرومانية) يجب استرداده. «وليس من المستبعد أن تكون حركة الكشف الجغرافية حول شواطئ العالم الاسلامي قد جاءت بهدف السيطرة على المنطقة خدمة للمصالح الاوربية الاستعمارية، ووفق هذه الرؤية يمكن تفسير اعمال (هنري الملاح) أو (ماركوبولو) أو (كريستوفر كولومبس) على أنها حلقة من حلقات المؤامرة التي حبكت لاستعمار المشرق الاسلامي»^(٥).

(٥) انظر ص ٦٦ من الكتاب.

وعالج الفصل الثاني المراحل والادوار التي مرت بها الحركة الاستشراقية. وهي تنقسم إلى:

المرحلة الاولى: الانفتاح لاحتواء الحضارة الاسلامية وقد بدأت مقدمات الاستشراق منذ بدايات الفتح الاسلامي لاسبانيا حيث انفتح الاسبان والمستعربون على المسلمين بشكل مدروس، وتمت ترجمة الكتب الاسلامية، وكان لليهود منذ العهد المدني أثرهم في خدمة هذا السبيل.

وهنا يقرر المؤلف خطأ تحديد الاتصال الاوربي بالثقافة الاسلامية بنتيجة الحروب الصليبية، كما كان للمسلمين في الاندلس - لما عرفوا به من التسامح - أن يفتحوا خزائن معارفهم ويستقبلوا طلاب العلم الاوربيين؛ وهو الذي يفسر لنا نشوء الجامعات الاوربية على غرار الجامعات العربية.

المرحلة الثانية: الفرز لاستلاب الحضارة الاسلامية. حيث تم فيها اختيار النظريات الفكرية التي تنفع في خدمة النهضة الاوربية، ولذلك «بذل كبار رجال

الاستشراق جهدهم من أجل استثمار الحضارة الإسلامية والفكر الانساني الاسلامي في بناء الفكر والحضارة الاوربية والغربية»^(٦).

المرحلة الثالثة: تغريب افرازات الحضارة الاسلامية المستلبة. وهي التي تمثل عصر النهضة الحقيقية لاوروبا، وبها بلغت حركة الاستشراق أوجها في تجربتها ومحاولة تغريب الثقافة الاسلامية والعربية لاستثمارها من قبل الغرب، وفيها تمت سرقة النموذج الثقافي والحضاري في الحرية الفكرية والاخلاقية. ويضيف المؤلف مسألة هنا في غاية الاهمية حيث تعتبر من معالم هذه المرحلة، وهي محق هوية وعوامل القوة والاصالة في الفكر الاسلامي ومنهجه في الحياة.

المرحلة الرابعة: استثمار الشرق وتطبيعه على الحضارة المغربية. حيث عمل الاستشراق من أجل امتزاج البلدان الاسلامية مع الحركة الاستعمارية، ولا سيما بعد منتصف القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين، وكان للمستشرقين الدور الكبير في تطبيع الثقافة المغربية وتصديرها إلى البلدان التي يُراد استعمارها. وقد بقي اثر هذا واضحاً حتى بعد انتهاء الاستعمار العسكري.

وحين نقرأ الفصل الثالث تستقبلنا المدارس الاستشراقية في موضوعين رئيسيين هما:

اولاً: خلفية المستشرقين.

ثانياً: المدارس الاستشراقية.

وفي الموضوع الاول نجد ما يثبت أن الاستشراق استوعب اغلب التطلعات الحضارية لاوروبا ومهد لحركتها الاستعمارية في الشرق. وذلك من خلال الخلفيات التالية:

اولاً: التبشير النصراني: وكان فيه طابع الاحتقار للاسلام والمسلمين هو السمة البارزة في هذا الاتجاه. ومن ذلك قول المستشرق المنصر الأمريكي هنري جيسب: «المسلمون لا يفهمون الاديان ولا يقدرونها قدرها. إنهم لصوص، وقتلة، ومتأخرون وإن التبشير سيعمل لتمدينهم».

(٦) راجع ص ٧٤ من الكتاب.
وقد ذكر المؤلف الجليل جملة نتائج هامة.

ثانياً: بدأ المستشرقون يعتقدون أن الاسلام الاصيل يشكل خطراً حقيقياً يقف سداً منيعاً امام كل التطلعات الاستعمارية لدولهم الاوربية في الشرق. ولذلك يشير لورانس براون في كتابه: «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الاسلام وفي قدرته على التوسع والاختضاع وفي حيويته. إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الاوربي».

ثالثاً: ونجد في النتيجة أن منهجية البحث في حركة الاستشراق مؤسسة على الابتعاد عن المسلك الالهي والمنطق العقلي الذي تتميز به المدرسة الاسلامية، ولذلك نجد أن المستشرقين يحاولون أن يجعلوا من خلال كتاباتهم أن النبي محمداً مثلاً يتحدث بلهجة المانية إذا كان المؤلف المانياً، وبلهجة ايطالية إذا كان الكاتب ايطالياً، كما أنهم يقدمون صوراً خيالية هي ابعد ما تكون عن الحقيقة.

واخيراً نجد أن الخلفيات فيها تفسير ما يمهد لعالمية اوربا وسيطرتها كقاعدة تأسست عليها الحركة الاستشراقية العالمية.

وفي بحث المدارس الاستشراقية يتجسد تقويم الجهد الاستشراقي في:

١ - استعراض ابرز الشخصيات العاملة في حقل الاستشراق.

٢ - اسس الجهد الاستشراقي.

٣ - نماذج من الاعمال الموسوعية للمستشرقين.

وفي ضوء ذلك يمكن تقسيم المدارس الى نوعين:

الاول: المدارس الرئيسية الممتدة لدراسة كافة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

الثاني: المدارس الثانوية، وهي التي انحصر نشاطها في فترات زمنية محدودة وكانت لها رابطة مع احدى المدارس الرئيسية.

وبعد ذلك نجد المؤلف يفرد دراسة مفصلة للمدرسة الاستشراقية الفرنسية باعتبارها نموذجاً تجسدت فيه الاهداف العامة للمدارس الاستشراقية. وقد وفق ايما توفيق في دراسته لهذا النموذج حيث تطرق إلى النشأة بعد فشل الحروب الصليبية، بعد أن كان لفرنسا الدور الكبير في قيامها

وقيادتها قرابة ثلاثة قرون- على أن من المسائل التي ينبغي معرفتها أن أول ترجمة للقرآن الكريم قد تمت في فرنسا وبقيت محفوظة في دير كلوني بجنوبي فرنسا حتى سنة ١٥٤٣م، وأن أول مؤتمر عالمي للمستشرقين كان في باريس عام ١٧٨٣م، وغير ذلك من أمور.

وأما المميزات الأساسية للمدرسة الاستشراقية الفرنسية فكانت باختصار:

١ - العداء والحدق للإسلام ديناً وللحضارة الإسلامية بكافة وجوهها ومعطياتها.

٢ - الروح الصليبية النصرانية الغالبة على كتابات المستشرقين الفرنسيين.

٣ - تعميق الروح العنصرية للثقافة الفرنسية في دراسات الاستشراق، وتمجيد حضارة الاغريق، والحد من قيمة الحضارة الإسلامية، والتقليل من شأن اللغة العربية (لغة القرآن الكريم).

٤ - نزعة التعصب الاستكباري في اغلب الدراسات في هذه المدرسة.

ثم يجري الحديث عن مناطق نفوذ المدرسة الفرنسية وعن صيغها واساليبها وتشكيلاتها واثرها على الفكر الاستشراقي العام.

عود على بدء

ونعود هنا إلى حيث بدأنا الحديث في مفتتح هذا المقال، حيث يبدو استعراض النماذج التي تمثل ابرز الموضوعات مما ركز عليه المستشرقون في دسهم وتشويههم كما هو في الفصل الرابع. فالحديث هنا حول ما أثير بخصوص القرآن الكريم وسيرة الرسول ﷺ، واهل بيته الكرام.

فأما الحديث الذي خص به القرآن فقد جرى في وجهين:

الاول: محاولة ابراز النقص والخطأ في الاسلوب والمحتوى القرآني من

خلال ثلاث شبهات:

١ - ادعاء عدم الاعجاز القرآني نظراً لأن القرآن لم يراع نهج القواعد

العربية واصولها.

٢ - اختلاف ما يتحدث به القرآن عن قصص الانبياء كما وردت في الكتب الدينية الاخرى كالتوراة والانجيل.

٣ - ان اسلوب القرآن في تناول الافكار والمفاهيم وعرضها لا ينسجم مع اساليب البلاغة العربية لجعله المواضيع المتعددة متشابهة مع بعضها البعض. الثاني: محاولة اثبات أن القرآن الكريم ليس معجزة بطرح الشبهات التالية:

- ١ - امكانية أن يأتي ذو المعرفة باللغة العربية بمثل الكلمات القرآنية.
 - ٢ - أن العرب ممن عاصر الرسالة أو بعدها بقليل لم يعارضوا القرآن بدافع الحفاظ على اموالهم وانفسهم وليس لعدم قدرتهم البلاغية مثلاً.
 - ٣ - المعجزة لا يكفي أن تكون معجزة لجميع البشر عن الاتيان بمثلها بل يجب أن تكون صالحة لأن يتعرف جميع الناس على جوانب التحدي فيها.
- ثم كان من اهتمام المستشرقين الحديث عن الوحي القرآني حيث انقسموا إلى قسمين:

الاول: حاول نفي الاعجاز لينفي بذلك دليل الوحي الكاشف عن الارتباط بالغيب.

الثاني: حاول ابراز شخصية النبي محمد ﷺ بأنها شخصية ذات ملكات وقابليات نادرة.

والادهي في هذه الشبهات أنها أعدت فقرات في المناهج والبرامج الدراسية لبعض الجامعات، وتبناها جيل من طلاب المستشرقين ونجحت حركة الاستشراق في استقطاب مجموعة كبيرة من طليعة الكتاب واساتذة الجامعات. وربما لا يزال كثير من هذه المسائل قيد الاثارة والاعتقاد لدى الجيل الحاضر. ومن اولئك الدكتور طه حسين، والدكتور أحمد امين وغيرهم كثير.

وهنا لابد من الاشارة إلى أن اغلب ترجمات القرآن إلى اللغات الشرقية قد تم على يد المستشرقين، حيث ترجم ترجمة كاملة إلى ٧٩ لغة وترجمة ناقصة إلى ٤٩ لغة. وكانت صياغة هذه الترجمات باسلوب يساعد على استنباط مبادئ مغايرة للنظريات الاسلامية، أو انها غير ملتزمة وموافقة لاهواء الاستشراق.

وقد حاولوا البحث في القراءات الشاذة وتشويه بعض الكلمات ووضعها على اساس من الحقد والتعصب إلى غير ذلك.

واما سيرة الرسول ﷺ واهل بيته الكرام فقد مارس الاستشراق طريقة خبيثة لتدوينها مليئة بالتزوير بأسلوب ذكي متتبع لمفردات التاريخ الاسلامي لاستقصاء موارد الشذوذ، والنقوذ من نقاط معينة من رواسب الماضي الذي درج عليه الناس في انحراف السلطات المتعاقبة التي ارتدت لبوس الدين زوراً وبهتاناً. وقد كشفوا بذلك عن حقدهم على الرسالة والنبي والائمة، فمثلاً نجد (المونينيوركولي) يقول في كتابه (البحث عن الدين الحق): «لقد وضع محمد السيف في ايدي الذين تبعوه وتساهل في اقدس قوانين الاخلاق، ثم سمح لاتباعه بالفجور والسلب، ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات في الجنة».

واما اهل البيت فمن النماذج التي تناولت سيرتهم ما ورد في دائرة المعارف الاسلامية تحت مادة (ابن تيمية) طعناً في عصمة الامام علي عليه السلام من أن علي بن أبي طالب عليه السلام اخطأ ثلاثين مرة، أو ما وصفوا به الامام الحسن عليه السلام من الميل إلى الشهوات والافتقار إلى النشاط والذكاء، وأنه لم يكن على وفاق مع اخيه الحسين.

وبالنتيجة تمخضت الحركة عن ثلاثة ابعاد اساسية:

الاول: مسح ميداني للشرق الاسلامي فكرياً وحضارياً.

الثاني: التشويه الموضوعي للفكر الاسلامي والحضارة القائمة وتركيز الانهزام على تخلف المسلمين.

الثالث: النيل من العقائد الاسلامية في القرآن وفي الرسول.

ثم قام المؤلف بدراسة مفيدة لنماذج من كبار المستشرقين في منهج تناولهم للشرق الاسلامي وهم:

١ - ارندجان فنسك (١٨٨٢ - ١٩٣٩م) وهو مستشرق هولندي قام مع زملائه بعملين مهمين هما دائرة المعارف الاسلامية وفهرسة السنة، وقد

اصدر كتابين هما معجم بالانكليزية للالفاظ الواردة في اربعة عشر كتاباً من كتب السنن والسيرة نقل إلى العربية بترجمة الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي وسماه (مفتاح كنوز السنة)، ومعجم مفهرس لالفاظ الحديث النبوي الذي نشره بالعربية وتوفي قبل اتمامه.

٢ - صموئيل زويمر (١٨٦٧ - ١٩٥٢م) وهو مستشرق امريكي كان له ميدان عمل في منطقة الشرق الاوسط خاصة جنوب العراق ودول الخليج العربي، وهو محرر المجلة الاستشرافية (عالم الاسلام) وله مؤلفات عديدة منها (يسوع في احياء الغزالي) وكتاب (الاسلام تحد لعقيدة). ومن اولى اعماله عضويته للارسالية الامريكية العربية عام ١٨٨٩م ذات الاهداف التنصيرية، وقد ترأس عدة مؤتمرات للتنصير العالمي عقدت في القاهرة والهند والقدس.

٣ - لويس ماسينيون (١٨٨٣ - ١٩٦٣م) من اكبر مستشرقى فرنسا. شغل مناصب كبيرة فقد كان مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال افريقيا، والراعي الروحي للجمعيات التنصيرية الفرنسية في مصر. وقد اسدى في اعماله خدمة للاستشراق في تشويه الفكر الاسلامي؛ ولذلك يؤكد الكاتب الاسلامي مالك بن نبي في دور ماسينيون قائلاً: «إن ماسينيون قد تفرغ آخر حياته للتبشير، وقد مدّ وزارة الخارجية الفرنسية بالمعلومات والتوصيات حول البلاد الاسلامية وتهيئة العملاء والكتاب». ومما يذكر عنه أنه زار بلاد العالم الاسلامي وكتب الكثير عن رحلاته ونتائجها، وكان عضواً في المجمع اللغوي المصري، وعضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وكان يجيد اللغات العربية والفارسية والتركية والالمانية والانجليزية، واستهواه التصوف الاسلامي فكتب عن مصطلحات الصوفية واخبار الحلاج، وعن ابن سبعين الصوفي الاندلسي وعن سلمان الفارسي، ونشر منتجات عربية خاصة بتاريخ الصوفية في الاسلام، وتولى تحرير مجلة العالم الاسلامي الفرنسية، وكتب كثيراً في دائرة المعارف الاسلامية عن القرامطة والنصيرية والكندي وفلسفة ابن سينا.

وكانت له عناية بطلابه وعشاق افكاره ومن جملتهم (ميشيل عفلق) مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي ومنظره الفكري. وقد قال عنه ماسينيون: «إنه انبغ واعز تلميذ في حياتي». ولعلّ اخطر ما طرحه عفلق واسس عليه فكر حزبه مقولته: «الايمان قبل المعرفة».

واخيراً نجد ماسينيون من دعاة الكتابة بالعامية وبالحرف اللاتيني، والهدف من ذلك جلي، وهو ضياع اللغة الفصحى لغة القرآن والحديث النبوي الشريف.

وعندما نصل إلى الفصل السادس يعرض المؤلف نماذج من الدس والتشويه في الانتاج الموسوعي للمستشرقين وهي: دوائر المعارف البريطانية والأمريكية ولاروس الفرنسية، والموسوعة العربية الميسرة، وقاموس المنجد، والموسوعة الإسلامية الميسرة، ودائرة المعارف الإسلامية، حيث يتحدث عن هوبة ابرز كتابها وما ورد فيها من شبهات وردود حول ذكاء النبي محمد ﷺ وأن خياله عماد دعوته، وتناقض القرآن والتردد في بعض آياته، وتأثر محمد ﷺ باليهودية والنصرانية والجاهلية وما استفاده منها في صياغة قرآنه، وأن شعائر الاسلام وليدة ابداعات وتأثيرات متنوعة، إلى آخر ما طرحه الاستسراق.

وقد كانت هذه المسائل التي تناولتها دوائر المعارف المشار إليها بما تضمنته من اثار وشبهات مصدراً لتحقيق هدفين:

الاول: تأسيس ثقافة الشرق الاسلامي على ضوء النظرة الغربية الهادفة الى تركيز الاتجاه العلماني ومنطقه في تناول العلوم والمعارف الانسانية (تغريب الثقافة الاسلامية).

الثاني: خلق الارضية وتشبيد اسس علمنة الشرق الاسلامي ثقافياً ومنهجياً، واستعمار سياسياً وحضارياً من خلال اعتماد الثقافة المغربة في الجامعات والمعاهد والمدارس.

إلى هنا حيث نكتفي باستعراض محتويات الكتاب تبدو اهميته من خلال ما

يطلع عليه القارئ الكريم من معلومات في غاية الاهمية والاستقصاء والفائدة العلمية التي حاولنا - ما امكنا - الحديث عنه بايجاز. على أن من النافع جداً أن نسجل كلمة اخيرة:

١ - بالرغم من صدور العديد من الكتب والبحوث حول حركة الاستشراق فانها كانت تتناول دراسات في صميم هذه الحركة، أما الاحاطة الوافية فقد وفق اليها المؤلف البارع في تتبعه لمفردات فصول الكتاب بقدر يغني القارئ بمعرفة تامة.

٢ - التتبع الواعي لأمهاث الدسائس والشبهات التي حاول المستشرقون في إنتاجاتهم إلصاقها وإثارتها حول أصول الاسلام ونبيه الكريم ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام، وبراعة المؤلف في كشف مواردها وإبراز تهافتها والرد العلمي عليها.

٣ - كانت للمؤلف اشارات وانتباهات في مطاوي البحث جديرة بالقراءة والاستفادة، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على استيعابه الدقيق ووصوله إلى نتائج ما كان يهدف إليه من عرض الموضوعات العديدة بأسلوب شائق ومنهج رصين.

٤ - الكتاب يسد حاجة ملحة في نفوس أبناء جيلنا الحاضر ويفتح لهم باب الاطلاع على الحركة الاستشراقية في نشوئها واهدافها ونماذج من تزويرها والشبهات المثارة من قبلها. ولئن حاول البعض أن يكتب حول هذه الناحية فإنها كانت تنظر إلى الموضوع من زاوية معينة، بخلاف ما أحاط به هذا الكتاب. على أن قيمة كل امرئ ما يحسنه، ومن المزايا التي يمكن أن نشير اليها هو أنه ملاً فراغاً كان ينتظر هذه المبادرة الطيبة التي سجلها وعي المؤلف الفاضل واهتمامه.

٥ - من خلال عرض الكتاب حاولت ألا اشير غالباً إلى صفحات المصادر التي استقى منها المؤلف بعض الاقتباسات رغبة في تشجيع القارئ لمراجعة الكتاب للاستفادة منه مباشرة.

٦ - اعتمدت طريقة تلخيص المضامين الهامة التي تمثل المطالب الرئيسية التي بحثها المؤلف في مطاوي بحثه القيم، ويجد القارئ الكثير من نتائج كل بحث أثناء المطالعة.

وفي الختام نبارك بالاعجاب والتقدير صدور هذا الكتاب الذي سيتلقاه قراء العربية باهتمام وعناية. والله الموفق للصواب.

مكتبة
العلماء
الوقوف عند الشريعة

شماره ١٥٢

الكتابية خارج الزمّين الرديّ

راي

* حسن التل (الاردن)

رئيس تحرير

صحيفة اللواء الاردنية

﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذَمَّةً يُرْضَوْنَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ
وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (١).



(١) التوبة : ٨ .

لقد بلغ به الغيظ حدّاً سلب كلماته القدرة على اخفاء ما يجيش به صدره من
استعلاء واستصغار وأطماع ، فلم يكتف بالرسائل المكتوبة أو الهاتف
الساخن، بل ضغطت عليه اعصابه إلى الحد الذي دفعه إلى قطع المحيط ،
ليفجر ما في صدره على مسمع مثيله في واشنطن ، كأن واشنطن بحاجة إلى
من يضغط عليها ويستثيرها ، ولكنها الصيحة التي كشفت المستور وأظهرت
الامر على حقيقته عارياً من كل تورية .

فقد قذفها بكل عصبية وحدة واستعلاء ، وكأنه يحذر من أمر جلل إذا لم
تؤخذ له العدة ويحتاط له بكل تدبير ، ويغير تضاريس الارض ويعيد ترتيب
المؤثرات المختلفة ويرسم خريطة جديدة للعالم ، ليس على الأرض فقط ولكن
في النفوس والعقول والسلوك .

ذلك ما تضمنته كلمات وزير خارجية فرنسا إلى مثيله الأميركي وهو
يحذره من الخطر الداهم في بعض الاقطار العربية ، التي عجزت بها الانظمة
- على زعمه - عن مغالبة الارهاب الاسلامي ، الذي استعمل كل المحرمات
ومضى يعيث في الأرض فساداً ، فإذا لم يضاعف الدعم لتلك الانظمة فإنّ

الخطر الداهم من الاسلام القادم لن يقف عند حد .

يا سبحان الله ! كأن الفرنسيين والأميركيين وأجدادهم عمروا الأرض وملؤوها عدلاً ، فلم يذيقوا الناس مرارة الجوع والخوف ، وكأن تلك الاقطار التي لم تجد ملاذاً لها إلا الاسلام ، بعد أن صنعت بها سياستهم وسياسة من استخلفوهم عليها ما صنعت ، فأجذبت الأرض عليها وجفت الينابيع وانقطع قطر السماء ، وسيم الناس فيها ألوان الخوف والظلم ، وحرّموا من أبسط الحقوق ، وبلغ المنع إلى الحد الذي حاولت فيه أن تطبق قيمك على سلوكك في اللباس والحركة ، فأنت خارج عن اطار الشرعية الغربية ، تحمل مفاهيم مختلفة وتمارس ابشع أساليب الارهاب على الشعوب الاخرى ، لأنها تستعلي على غيرها على رغم كل الاقنعة والصياغات الدبلوماسية المختلفة ، وأنّ حاضرها لم يختلف عن ماضيها ، فمنذ الحروب الصليبية وموجات الاقتحام العسكري تتتابع ، والاستعلاء الفكري الذي ينفي الآخر ويرفض أن يبيع له ما يبيع لنفسه ، لم يأل جهداً على مدار التاريخ في دفع الحملات الصليبية التي رفعت راية الصليب قديماً ، كما رفعت بالأمس القريب راية الاعمار ، وها هي اليوم تحمل راية الديمقراطية والتقدم . وقد كانت في كل الظروف تكاد تنفجر غيضاً وحقداً علينا ، وقد أصبح هذا الحقد جزءاً من نسيج الحياة كلها ، حتى رجال المبادئ والأفكار ، مثل مارتن لوتر ، لم تسلم منهم حركة التشويه التي قادها الغرب الحاقد على الاسلام ، بل تجاوز هذا اللوتر عملية التشويه العام ، وتناول بقسوة وبشاعة على سيد الخلق الرسول المصطفى ﷺ ، كما توجه الشاعر الانجليزي بيرون لقتال المسلمين في جبهات المعارك ، ليس على ارض انجلترا فقط ، بل ذهب بعيداً إلى اليونان . ولا اريد ان ازيد بضرب الامثلة في الماضي ، فإنها تحتدم في كل نقطة تماس ، ولكنني انتقل إلى الواقع واكتفي بعار العصر الذي كشف زيف هذه الحضارة ، وأماط اللثام عن احقادها وأنيابها . وهذا هو رئيس وزراء بريطانيا يحذر وزير خارجيته من خطر قيام أي وجود سياسي للإسلام في اوربا ، فأصرّ على حظر أي نوع للسلاح على المسلمين في البوسنة والهرسك ، وهدده بالخطر الذي قد يلتقي مع العرب

الأفغان الذين ساعدت أوروبا وأميركا في اعدادهم ، على أمل أن تستعملهم في وجه أعدائنا الشيوعيين ، ولكن الله أراد شيئاً آخر ، فأسقط الشيوعية ، وأسقط بأيدي الذين اوجدوا ظاهرة العرب الافغان ، وحمقاتهم هي التي فجرت العلاقة بين العرب الافغان وبين بعض الأنظمة ، فبدلاً من استيعابهم والاستفادة من قدرتهم في المرافق التي يحسنونها ، اخذوا يصوّرونهم تصويراً يبعث على الريبة والشك فيهم ، واستغذت عليهم الانظمة فكان الصدام الدامي الذي جعل وزير خارجية فرنسا يبعث انذاره ، ويعلن عن خوفه من الخطر الداهم .

أما موقف الغرب من مسلمي البوسنة فقد كسر الابريق ، وجعل نيكسون وهو على فراش الموت يقول : إن حالة مسلمي البوسنة ما كان لها أن تكون لو كانوا غير مسلمين ، وإن الاسلام هو الذي أجج الحقد العالمي عليهم ، وفعل فيهم ما فعل ، فقد كان حظر السلاح واقعياً محصوراً بالبوسنة ، لأن صربيا من أكثر البلدان الأوروبية تصديراً للسلاح ، فالحظر لم يطل سوى المسلمين الذين كانوا يحاربون ببنادق متهزئة ، وكذلك الحصار فقد كان مقصوراً على المسلمين ، لكنهم محصورين بين الغرب من جهة وبين حلفائهم الكروات من جهة اخرى ، فلا مصانع سلاح ولا بحار ولا شواطئ لديهم . واذن فقد تُرك المسلمون تحت رحمة الغرب . وعندما رفع الغطاء عن معسكرات الأسرى المسلمين لدى الصرب ، وظهروا على شاشات التلفزيون بهياكلهم العظمية ، وكراماتهم المستباحة ظن المسلمون ان العالم سيهرع لتجديتهم ، ولكن واقع الحال كان وما زال غير ما فكّر به المسلمون وظنّوه لأن كل مخابرات العالم وأجهزة رصده كانت تعلم بوجود معسكرات الاعتقال والتعذيب والموت ، لكنها غطّت على الموضوع أملاً أن تبادر الصرب وتضرب ضربتها في تصفيتهن من الأرض كلها .

ترى أين ارباب ما يسمى بالاصولية الاسلامية إلى ما يصنع في البوسنة والهرسك ؟ بل أين ردود الأفعال التي يقوم بها هؤلاء المحرومون من أبسط الحقوق الانسانية ؛ من حرية التعبير عن الرأي ، وممارسة قناعاته العقائدية

في اطار القانون ، قياساً لما تقوم به الأنظمة من وسائل وأساليب تأجيج النار ومضاعفة الفتن ، فبدلاً من ترشيد التدّين وتوجيه الأمة إلى التحلي بفَضائله ، قَلَّلوا جرعاته في مناهج التعليم ، وسعوا إلى تجفيف ينابيعه في المجتمع ، الامر الذي عكس النتائج وضاعف من بؤر الاختراق ، إلى الحد الذي جعل الاسلام الحركي هاجس الغرب ، فبرز تناقضه في التعامل مع الاسلام والمسلمين ، فالجمع بين الغرب والاسلام في عنوان واحد ، كما يقول الأستاذ فهيمي هويدي، يثير الكثير من المشاعر المتضاربة ، فهو الذي احتفى به في الخمسينات والستينات ، حينما دعا إلى ما سمي بالحلف الاسلامي ، وأيد الجهاد الاسلامي في افغانستان ، وقد احتفظ بعلاقات مع عدة دول اسلامية في الوقت الذي صنع فيه ما صنع مع المسلمين البوسنيين من وسائل الابادة . وهذا موقفه من الديمقراطية عندما صفق بحرارة للذين قطعوا الطريق على فوز الاسلاميين ، بالاضافة إلى ما يمارسه من مختلف الضغوط على الدول التي تحاول المضي على النهج الاسلامي . وأحسب أن موقفه من الثورة الاسلامية الايرانية ، وما حاول من وسائل ودبّر من حروب ومؤامرات، والذي ما زال يفعله من حصار وتضييق عليها وعلى السودان ، لا يكفي اللبيب فقط للتدليل على نواياه بل غيره أيضاً .

فالعرب لا يريد للمسلمين أن يكونوا أصحاب قرار ، ولا يريد لهم أن ينهجوا الطريق الطبيعي في حركة الحياة ، بل إنه يفرض عليهم التبعية بالقوة ليبقوا حيث هم أدوات بين أصابعه ؛ لا يتحركون إلا بالمقدار الذي يحدده لهم ، يتحكم بنفطهم ومواردهم الأخرى ، بل إنه يراقب مسارهم العام ويسعى لإجهاض كل محاولة للتقدم بهم إلى الأمام ، ليبقوا هم وما تحت أيديهم في اطار مشروعه السياسي المهيمن ، الذي لا يرى إلا مصالحه وعوائده ونفوذه ؛ فهو مع الاسلام الذي يرضى بتطلعاته ونفوذه ، ولكنه إذا تمرد على نفوذه ومسّ مصالحه ورفض هيمنته ، فهي الحرب المدمرة التي تبني كل الوسائل . ومن هنا جاءت هذه التجزئة للاسلام ، وهذا الاختلاف بالنظرة والتعامل ، فإن كان الاسلام هو اسلام الخائفين المستسلمين القابلين بما يملئ عليهم ،

فالعرب قد يكظم غيظه ويخفي حقه وإن كان يغيظه في حقيقة الأمر بناء مسجد في الصحراء، لأن المسجد يحتاج إلى مؤذن والأذان يجمع المصلين، واجتماع المسلمين في المسجد وبين أيديهم القرآن يذكره بقول (جلادستون) رئيس وزراء بريطانيا سابقاً: « ما دام هذا القرآن بأيدي المسلمين فلن تقوم للاستعمار قائمة في الشرق » فكيف إذا ظهرت على امتداد الساحات الاسلامية حركات اسلامية قادرة على فهم سياسة ملمة بوسائل العصر، مدركة لأهداف القرآن بالوحدة والحرية والاستقلال؟! إن في ذلك الخطر الذي لا يفقد التوازن فحسب، بل إنه يفقد الوعي، فعلى رغم الدعاوى العريضة للديمقراطية وحقوق الانسان، وغيرهما من شعارات، حُرِّم على الاسلاميين في معظم أقطارهم أن يقيموا أحزاباً وتجمعات سياسية تحت شعارات اسلامية، وأن يتحركوا كذلك في اطار المضامين الغربية في السياسة والثقافة، إذا تجاوزت الحدود المرسومة لها. وفي الجزائر والسودان شاهد على ذلك، بل إن الأزمة التي افتعلتها بريطانيا مع ماليزيا، وما ترتب عليها من عقوبات لأنها حاولت أن تحترم نفسها في تعاملها مع الأسياذ، غطى عليها الاعلام الغربي فبقيت نسبة المطلعين عليها محدودة.

أما نتيجة الانتخابات البلدية في تركيا فقد كانت زلزالاً قلب الموازين والمعادلات السياسية؛ فتوحدت الأحزاب في وجه هذا الزلزال وتشكلت الميليشيات، والتهديد بتحريك الجيش متوقع. كل ذلك لأن حزب الرفاه أحسن مخاطبة الوجدان التركي، وذكره تاريخه ودينه، فوجد فيه ضالته ليتخلص من هذا الضياع الذي أعقب سقوط الخلافة، فاستجاب لدعوته وقدمه إلى الصفوف الاولى، فضاعت جهود العلمنة وفشلت عملية التتريك، وعاد الشعب التركي إلى ذاته واستحضر وعيه، كما حدث مع الشيوعية بالنسبة للمسلمين بعد أن انهارت الشيوعية، سواء أكان ذلك في الاتحاد السوفياتي أم في الاتحاد اليوغسلافي.

لقد كان من المفروض على الغرب أن يدرس المتغيرات التي أفرزتها حركة التاريخ، ليعرف كيف يتعامل مع الواقع الاسلامي من خلال المستجدات،

ويرسم سياسته ويكيف تحركه ويقيم تعامله مع المسلمين ، حتى يحافظ على ما يستطيع من مكتسباته ، وليس على أساس عقدة التاريخ التي قامت على الصراع .

إن العقل والمنطق والمصلحة تفرض على الغرب ، إن كان في مستوى المرحلة الحضارية التاريخية ، أن يستفيد من معطيات المعرفة والعلم التي وصلت إليها الانسانية التي يمتلك ناصيتها ويسخر انجازاتها ، فإنه إن يفعل ذلك يكن قد سار على الطريق الأسلم ، لأن التكيف مع الاحداث هو سمة العاقل القادر على مواصلة مشواره مع حركة الحياة .

أما إن بقي محكوماً بعقدة الصراع ونفسية الاستعلاء ومفهوم الحضارة الاسبارطية ، فإن نظرية الصراع تؤكد حتمية التغير . ومن هنا يبدو الفرق بارزاً بين التعاطي الياباني مع الصحوة الاسلامية ، والتصرف المحكوم بالهوى الذي يحدد السلوك الغربي معها .

لقد تحركت مجموعات عديدة من الخبراء ورجال الاعمال والمشتغلين بالدراسات الفكرية والسياسية ، وقامت بزيارات واتصالات مباشرة على ارضية الواقع ، لفهم الظاهرة الاسلامية والتحولات المؤثرة في المنطقة ، لتقييم تواصله بالعالم الاسلامي الذي هو سوق منتجاتهم ، ومصدر لتوفير احتياجاتهم .

إن حركة الاستشراق الياباني تنشط نشاطاً واسعاً في الوطن العربي والعالم الاسلامي ، لتقيم علاقاتها المختلفة على اساس من المعرفة ، التي تحقق لهم حسن التعامل والتعرف الذي يحقق لهم المصلحة ، ويرشدهم إلى الواجب الذي عليهم أن يقدموه للإبقاء على استمرار هذه المصلحة ، وتطوير الأسباب التي تنمو في اطرافها العلاقات بإيجابيات مشتركة .

لقد استحكم الحقد والغرور على الغرب فلم يستطع أن يخفي أطماعه ، فكشر عن انيابه وفرض رغبته دون أن يلتزم بأدب مع ما تفرضه الاخلاق والواجب ، بل لقد أعمته مصلحته عن ادراك المتغيرات التي طرأت على حركة التاريخ ، ونسي وهو خاضع لتأثير مصلحته انكشاف المخبوء من مخزون

احقاده ، حتى لدى الذين ائتمنهم على هذه المصلحة في ديار الاسلام ، فاستشعر الجميع خطر هذا الجنون ، وأخذوا يضيقون به ذرعاً لمعرفتهم بالنتيجة التي ينتهي اليها الجنون في كل زمان ومكان .

ولست صيحة وزير خارجية فرنسا في واشنطن إلا مظهراً من مظاهر هذا الجنون . فماذا يريد لنا الغرب بعد هذا الانهيار الذي انتهت اليه مرحلة كاملة من تعاملنا معه ، نهايةً أفقدتنا كل اسباب المناعة ؟!

إن الامر الطبيعي لكل أمة آلت اوضاعها إلى ما آلت إليه احوالنا ، هو أن تعود إلى دينها تتحصن به وتقيم استراتيجيتها الجديدة على تعاليمه ، لتعيد تكوين استقلال شخصيتها وبناء ذاتها .

ولقد أدرك العرب والمسلمون ، من خلال تعاملهم كل هذه المدة الطويلة مع الغرب ، أن الاسلام وحده هو القادر على أن يعيد لهم ذاتهم ويرمم وجودهم ، وإلا فإن الفناء مآلهم .

وإن كان هذا الغرب قد أنساه غروره أنه ليس هو الوحيد في هذا الكون ، يتصرف به كما يوحى إليه هواه وتزينه له شياطينه ، فهو مخطئ مغرور ، فقد عرفت حركة التاريخ نماذج بشرية كثيرة أصابها ما أصابه ، اجتالتها الايام وطواها التاريخ ، لأن لهذا الكون رباً بيده كل المقاليد التي تقلب الايام والاحداث .

وصدق الله العظيم حيث قال : ﴿ قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (٢) .

من غرر حكم
أهل البيت

الوفاء والغدر

* أهداف

مبدأ القادر فرج الله
(العراق)

في هذا الباب نحاول أن نوجه أنظار القراء الكرام إلى مفهوم أو فكرة معينة عن طريق التركيز عليها والتجميع الموضوعي لما أشر من نصوص كلمات المعصومين عليه السلام فيها ، لما تمتاز به تلك النصوص من رؤية واقعية صادقة وبيان شمولي بليغ يرتبط بمعين القرآن الكريم الذي لا ينضب ، تصديقاً لقولهم عليه السلام : «شرفاً أو غزياً فمن تجداً علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت» .
التحرير

* الوفاء أصل في الدين

١ - قال رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليوف إذا وعد (١).

٢ - وعنه عليه السلام : لا دين لمن لا عهد له (٢).

٣ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : أصل الدين أداء الأمانة ، والوفاء بالعهد (٣).

٤ - وعنه عليه السلام : من دلائل الإيمان الوفاء بالعهد (٤).

٥ - وعنه عليه السلام : الوفاء عنوان وفور الدين ، وقوة الأمانة (٥).

٦ - وعنه عليه السلام : لا إيمان لغدور (٦).

٧ - وعنه عليه السلام : ثلاثة هن شين الدين : الفجور والغدر والخيانة (٧).

٨ - عن أبي مالك قال : قلت لعلي بن الحسين عليه السلام : أخبرني بجميع شرائع الدين. قال : قول الحق ، والحكم بالعدل ، والوفاء بالعهد (٨).

(١) ميزان الحكمة ١٠: ٦٠٢.

(٢) البحار ٧٥: ٩٦.

(٣) غرر الحكم ١: ٨٨.

(٤) ميزان الحكمة ١٠: ٦٠٢.

(٥) غرر الحكم ١: ٧٠.

(٦) غرر الحكم ٢: ٣٤٣.

(٧) غرر الحكم ١: ٣٢٦.

(٨) البحار ٧٥: ٩٢.

* الوفاء من سنن الكرم والمروءة

١ - قال رسول الله ﷺ : من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته ، وحرمت غيبته^(٩) .

(٩) البحار ٩٢ : ٧٥ .

٢ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : بالصدق والوفاء تكمل المروءة لأهلها^(١٠) .

(١٠) غرر الحكم ١ : ٢٩٧ .

٣ - وعنه عليه السلام : شئ الكرام الوفاء بالعهود^(١١) .

(١١) ميزان الحكمة ٨ : ٣٦٧ .

٤ - وعنه عليه السلام : من الكرم الوفاء بالذمم^(١٢) .

(١٢) غرر الحكم ٢ : ٢٤٨ .

٥ - وعنه عليه السلام : ثلاث من جماع المروءة : عطاء من غير مسألة ، ووفاء من غير عهد ، وجود مع إقلال^(١٣) .

(١٣) ميزان الحكمة ٩ : ١١٥ .

٦ - وعنه عليه السلام : من المروءة أن تقصد فلا تسرف ، وتعد فلا تخلف^(١٤) .

(١٤) غرر الحكم ٢ : ٢٥٦ .

٧ - وعنه عليه السلام : المروءة إنجاز الوعد^(١٥) .

(١٥) ميزان الحكمة ٩ : ١١٢ .

٨ - وعنه عليه السلام : الكرم بذل الجود ، وإنجاز الموعد^(١٦) .

(١٦) ميزان الحكمة ٨ : ٣٦٢ .

٩ - وعنه عليه السلام : من علامات اللؤم الغدر بالمواثيق^(١٧) .

(١٧) غرر الحكم ٢ : ٢٥٠ .

١٠ - وعنه عليه السلام : الكريم إذا وعد وفى ، وإذا توعد عفا^(١٨) .

(١٨) غرر الحكم ١ : ٧٦ . وفي

١١ - وعنه عليه السلام : من وفى بوعده أعرب عن كرمه^(١٩) .

فهارس الغرر «توعد» في

١٢ - وعنه عليه السلام : الوفاء كرم^(٢٠) .

جميع المواضع .

(١٩) غرر الحكم ٢ : ١٨٣ .

١٣ - وعنه عليه السلام : الوفاء سجية الكرام^(٢١) .

(٢٠) غرر الحكم ١ : ١١١ .

(٢١) غرر الحكم ١ : ٢٢ .

* الوفاء جنة

١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : عليك بالوفاء فإنه أوقى جنة^(٢٢) .

(٢٢) غرر الحكم ٢ : ١٩ .

٢ - وعنه عليه السلام : إن الوفاء توأم الصدق ، ولا أعلم جنة أوقى منه ، وما يغدر من علم كيف المرجع^(٢٣) .

(٢٣) البحار ٩٧ : ٧٥ .

* الوفاء بين الصدق والأمانة

١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : الوفاء توأم الأمانة وزين الأخوة^(٢٤) .

(٢٤) ميزان الحكمة ١٠ : ٦٠٢ .

٢ - وعنه عليه السلام : أفضل الأمانة الوفاء بالعهد^(٢٥) .

(٢٥) غرر الحكم ١ : ١٨٨ .

- ٣ - وعنه عليه السلام : أحسن الصدق الوفاء بالعهد ^(٢٦) .
- ٤ - وعنه عليه السلام : نعم قرين الأمانة الوفاء ^(٢٧) .
- ٥ - وعنه عليه السلام : نعم قرين الصدق الوفاء ^(٢٨) .
- ٦ - وعنه عليه السلام : الوفاء توأم الصدق ^(٢٩) .
- ٧ - وعنه عليه السلام : كن صادقاً تكن وفياً ^(٣٠) .
- ٨ - وعنه عليه السلام : فاز من تجلبب الوفاء وأدّرع الأمانة ^(٣١) .
- ٩ - عن الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ : أقربكم غداً مني في الموقف أصدقكم للحديث ، وأداكم للأمانة ، وأفاكم بالعهد ، وأحسبكم خلقاً ، وأقربكم من الناس ^(٣٢) .
- (٢٦) ميزان الحكمة ١٠ : ٦٠٣ .
- (٢٧) غرر الحكم ٣ : ٣٩٤ .
- (٢٨) غرر الحكم ٢ : ٢٩٣ .
- (٢٩) ميزان الحكمة ١٠ : ٦٠٣ .
- (٣٠) غرر الحكم ٢ : ١٠٤ .
- (٣١) غرر الحكم ٢ : ٥٨ .
- (٣٢) البحار ٧٥ : ٩٤ .

* الوفاء بين مكارم الأخلاق

- ١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : حسب الخلائق الوفاء ^(٣٣) .
- ٢ - وعنه عليه السلام : أشرف الخلائق الوفاء ^(٣٤) .
- ٣ - وعنه عليه السلام : الوفاء حلية العقل ، وعنوان النبيل ^(٣٥) .
- ٤ - وعنه عليه السلام : بحسن الوفاء يُعرف الأبرار ^(٣٦) .
- ٥ - وعنه عليه السلام : من أشرف الشيم الوفاء بالذمم ^(٣٧) .
- ٦ - وعنه عليه السلام : الوفاء نبيل ^(٣٨) .
- ٧ - وعنه عليه السلام : نعم الخليقة الوفاء ^(٣٩) .
- (٣٣) غرر الحكم ١ : ٣٤٣ .
- (٣٤) غرر الحكم ١ : ١٨٠ .
- (٣٥) ميزان الحكمة ١٠ : ٦٠٢ .
- (٣٦) غرر الحكم ١ : ٢٩٨ .
- (٣٧) غرر الحكم ٢ : ٢٥٦ .
- (٣٨) ميزان الحكمة ١٠ : ٦٠٣ .
- (٣٩) غرر الحكم ٢ : ٢٩٢ .

* متى يجب الوفاء ؟

- ١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما أخلق من غدر ألا يوفى له ^(٤٠) .
- ٢ - وعنه عليه السلام : لا عهد لمن لا وفاء له ^(٤١) .
- ٣ - وعنه عليه السلام : الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله ، والغدر بأهل الغدر وقاء عند الله ^(٤٢) .
- ٤ - وعنه عليه السلام : الخائن لا وفاء له ^(٤٣) .
- ٥ - وعنه عليه السلام : ليس من الخلف أن يعد الرجل ومن نيته أن يفي ، ولكن الخلف أن يعد الرجل ومن نيته ألا يفي ^(٤٤) .
- (٤٠) غرر الحكم ٢ : ٢٧٧ .
- (٤١) غرر الحكم ٢ : ٣٦٠ .
- (٤٢) نهج البلاغة ، الحكمة ٢٥٩ .
- (٤٣) ميزان الحكمة ١٠ : ٦٠٤ .
- (٤٤) ميزان الحكمة ١٠ : ٥٣٤ .

٦ - وعنه عليه السلام : إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفي له ، فلم يف ولم يجئ للميعاد فلا إثم عليه ^(٤٥) .

(٤٥) ميزان الحكمة ١٠ : ٥٣٤ .

* بين الود والوفاء

١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تمنحن وذك من لا وفاء له ^(٤٦) .

(٤٦) غرر الحكم ٢ : ٣١٩ .

٢ - وعنه عليه السلام : من كان ذا حفاظ ووفاء لم يعدم حسن الإخاء ^(٤٧) .

(٤٧) غرر الحكم ٢ : ٣٠٩ .

٣ - وعنه عليه السلام : من أحسن الوفاء استحق الاصطفاء ^(٤٨) .

(٤٨) غرر الحكم ٢ : ٢٠٧ .

* الوعد دين يجب قضاؤه

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : البعد دين . ويل لمن وعد ثم أخلف ، ويل لمن وعد ثم أخلف ، ويل لمن وعد ثم أخلف ^(٤٩) .

(٤٩) ميزان الحكمة ١٠ : ٥٣٦ .

٢ - وعنه عليه السلام : عدة المؤمن نذر لا كفارة له ^(٥٠) .

(٥٠) البحار ٧٥ : ٩٦ .

٣ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تعدن عدة لا تثق من نفسك بإنجازها ^(٥١) .

(٥١) ميزان الحكمة ١٠ : ٥٣٣ .

٤ - وعنه عليه السلام : الوعد أحد الرقيين ^(٥٢) .

(٥٢) ميزان الحكمة ١٠ : ٥٣٢ .

٥ - قال الصادق عليه السلام : في وصية له للمفضل بن عمر : ولا تعدن أخاك وعداً ليس في يدك وفاؤه ^(٥٣) .

(٥٣) البحار ٧٨ : ٢٥٠ .

* التحذير من الغدر

١ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : إياك والغدر ، فإنه أقبح الخيانة ، إن الغدور لمهان عند الله بغدره ^(٥٤) .

(٥٤) ميزان الحكمة ٧ : ١٧٤ .

٢ - وعنه عليه السلام : الغدر يُعظم الوزر ، ويُزري بالقدر ^(٥٥) .

(٥٥) ميزان الحكمة ٧ : ١٧٤ .

٣ - وعنه عليه السلام : الغدر يضاعف السيئات ^(٥٦) .

(٥٦) ميزان الحكمة ٧ : ١٧٤ .

٤ - وقال عليه السلام : يا أيها الناس ، لولا كراهية الغدر كنتُ من أدهى الناس . ألا إن لكل غدره فجرة ، ولكل فجرة كفرة . ألا وإن الغدر والفجور والخيانة في النار ^(٥٧) .

(٥٧) الكافي ٢ : ٣٣٨ .

٥ - قال الصادق عليه السلام : ثلاثة لا عذر لأحد فيها : أداء الأمانة إلى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد للبر والفاجر ، وبرّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين ^(٥٨) .

(٥٨) البحار ٧٥ : ٩٢ .

من أئمة القرن



نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت عليهم السلام في
أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير.

■ الجمهورية الإسلامية

انتخابات مجلس الشورى الإسلامي

■ حرية التعبير عن الرأي

إن حرية التعبير عن الرأي
لم تكن أطروحة حديثة
جاءت بها السياسات الجديدة لعالمنا
المعاصر ، بالرغم من أن العصر
الحاضر تحكمه ظاهراً قوانين وضوابط
عصرية تعطي لآراء الناس أهمية
وفاعلية في تحديد العلاقات السياسية
فيما بينهم ، حسب الموقع والمسؤولية
التي يتمتع بها الأفراد . والانتخابات هي
أحد تلك القوانين والضوابط التي من
شأنها أن تنظم العلاقة بين الناس ،
للوصول إلى أفضل الصيغ لحل

المشاكل والمعضلات ، وسد
الاحتياجات المتجددة عن طريق إبراز
نخبة من الناس تتمتع بميزات معينة
تؤهلها للتصدي لتحمل هذه المسؤولية ؛
إلا أن هذه الحرية أو «حق الانتخاب» لم
تمارس ممارسة عادلة وحقيقية في
أغلب مناطق العالم ، ولم يتحقق الجانب
العملي منها سوى اظهار شكلي ودعائي
لم يصل إلى مستوى عملي له اثره
وانعكاساته الايجابية على حياة الناس .
ولعل دول ما يسمى بالعالم الثالث ،
وخصوصاً دول العالم الإسلامي ، من
الشواهد البارزة لهذه الظاهرة المؤسفة ؛
فقد مورست ضد أبناء الامة الإسلامية
شتى اساليب التضليل ، والاكراه لسلب

مضاجع الظالمين ويأخذ بيد
المستضعفين ، وبرزت إلى الوجود
ممارسات سياسية واجتماعية حقيقية
اعطت للانسان دوراً فاعلاً ومؤثراً في
حياة الشعوب والامم .

ومن ابرز المجالات التي جسدت هذه
الحقيقة هو حق الانتخاب وحرية التعبير
عن الرأي ، فلم تجد الانتخابات في اكثر
بلدان العالم طريقها معبداً ما لم تعبت بها
الاصابع الاميركية الخبيثة ؛ وحادثة
الجزائر غير غائبة عن الازهان ، بل
حادثة مصر أدهى وأمر حيث تم تزوير
الانتخابات وكانت النتيجة في غير صالح
الاسلاميين ؛ فهذه امثلة قريبة توضح
هذا المعنى وترفع اللبس والغموض عن
الازهان .

أما في الجمهورية الاسلامية
الايرانية فقد بترت اصابع الاستغلال
بفضل الثورة الاسلامية ، وراحت
الايادي الخيرة تبني وتعمر البلد وتنشر
العلوم الالهية الحققة وفق ما ترضيه
الشريعة الاسلامية السمحة ؛ لذا
فالانتخابات في الجمهورية الاسلامية
هي عبارة عن تغليب أفضل وأكمل لقوى
الخير لتعم السعادة ابناء هذا البلد
المبارك . وحرية التعبير عن الرأي في
الجمهورية الاسلامية تمتاز بأنها حرية

الارادات وكبت الحريات وحرف الآراء
عن المسار الصحيح ، ومن ثم استغلال
حق التعبير عن الرأي استغلالاً مغلوطاً ،
فتتحول هذه الحرية من وسيلة لظهور
الأصلح والأفضل وما ينفع الناس إلى
حالة من عدم الوضوح والعبودية
واستغلال الآخرين .

إن الشواهد التاريخية المدونة تثبت
لكل ذي بصيرة أن الدول الاستكبارية
تمكنت بالتدريج من تكييل الارادات
وكبت الحريات ، وفرض الهيمنة بقوة
الحديد والنار وبمساعدة الوسائل
الاعلامية والدعائية المضللة ، فتشكلت
حكومات هزيلة وضعيفة مرتبطة بشكل
أو بآخر بعجلة الاستعمار ، فسامت
شعوبها الذل والهوان ، واستمرت هذه
الحالة حتى بداية العقدين الاخيرين من
هذا القرن ؛ حيث تفجرت الثورة
الاسلامية وامتد صداها إلى أغلب بقاع
العالم ، وبرزت آثارها جليلة على احوال
الشعوب المستضعفة بعد أن قضت
قروناً طويلة تحت وطأة الاستعمار
وتحكّم الجالدين والطواغيت ،
فاصبح الاسلام قوة جديدة تنافس
القوى العالمية التاريخية ، وامتد
شعاعه إلى نقاط بعيدة من المعمورة ،
فراح الصوت الاسلامي هادراً يقض

العدالة والكفاءة ليكون مؤهلاً لتمثيل منتخبيه في كثير من القضايا التي تهم البلد والأمة الإسلامية، خدمةً لأبناء الشعب الإيراني أولاً، ومواصلةً لطريق الثورة الإسلامية ثانياً؛ لإشعار المواطن أن مسيرته ما زالت مستمرة وأن الثورة لم تنته بعد.

هكذا شقّت حرية الرأي بأفقهها الإسلامي طريقها إلى العالم الجديد؛ لتنبّه أن الحرية الحقيقية هي ما كانت خارجة عن الأطر العنصرية والفئوية، مع غياب السياط والتأثيرات الإعلامية والهيمنة الفكرية، ليكون الانتخاب معبراً عن صدق الولاءات والمشاعر.

■ فلسطين

إسلامية الهوية

نشطت الأحزاب والحركات الجهادية والتحررية في فلسطين مع أول قدم دنس بها الصهاينة العتاة هذه الأرض المقدسة، وقد غلب عليها الطابع الإسلامي لشمولية السلام ودعوته البشر للتحرر والخلاص من العبودية، كما أن العدو الغاصب كان يمثل التيار الصهيوني اليهودي الذي يعتبر من أعدى أعداء الإسلام والمسلمين ﴿لتجدنَّ أشدَّ الناسِ عداوةً للذين آمنوا﴾

حقيقية يُدلي فيها المنتخب برأيه بكل اطمئنان، بعيداً عن وسائل الرقابة المخيفة أو التأثيرات الإعلامية والدعائية الكاذبة، شاعراً أن صوته معبرٌ عن رأيه الحقيقي، ولا يُستفاد منه لأغراض شخصية أو دعائية، حيث تشرف على هذه الانتخابات لجان خاصة تتميز بالأمانة وحسن السيرة، ممّا يضمن سلامة الانتخابات من أي تزوير أو تلاعب.

لقد أضحت الانتخابات في التجربة الإسلامية المعاصرة وبصورتها الرائدة في الجمهورية الإسلامية بالذات، عبارة عن حرية للرأي بتمام ما لهذه الكلمة من معنى لانتخاب الممثل الأصلح والأجدر؛ ليكون الصوت المعبر عن رأي المنتخبين في المجالس التمثيلية في الحكومة الإسلامية. ومجلس الشورى هو مجلس برلماني في الجمهورية الإسلامية يرشّح له أبناء البلد في كل دورة، وتتم الانتخابات التي تعتبر مواكبة لتطورات العصر، وفق ضوابط المسار العام لهذه الدولة المباركة.

وتشهد الجمهورية الإسلامية بين آونة وأخرى حركة واسعة لانتخابات هذا المجلس من أجل ادامة المسيرة التكاملية؛ حيث يشترط في المنتخب

اليهود ...

التغيير بالنسبة لحركة الجهاد الاسلامي».

وأشار الى ضعف الصهاينة وعدم قدرتهم على الثبات امام الحملات الاستشهادية وصبر المجاهدين الفلسطينيين ومرابطتهم في ميادين الجهاد قائلاً: «إن التجربة أثبتت أن الصهاينة لا يتحملون الحروب الطويلة الأمد، وأنهم عجزوا عن السيطرة على قطاع غزة والضفة الغربية؛ لذا فقد أكلوا مهمة ادارة هذه المناطق إلى عرقات»، ثم أكد أن الحركة هي التي تحدد الظروف المناسبة للقيام بعملياتها الجهادية بقوله: «سنقوم بعمليات عسكرية ضد الصهاينة في الزمان والمكان المناسبين».

إن الساحة الفلسطينية ساخنة بأحداثها، إذ إنها تمثل قمة الصراع بين الاسلام والكفر؛ فأمریکا والدول الاستكبارية تتبنى الحركة الصهيونية وتعمل لمد نفوذها في جسد الأمة الاسلامية، في حين يقف الغياري من أبناء فلسطين ومن يسانداهم من الدول والمنظمات والحركات الاسلامية صامدين قبالة هذه القوى الشريرة، كما أن المجاهدين الفلسطينيين يواجهون

لجأ المجاهدون من أبناء فلسطين إلى اتباع أساليب جديدة في التصدي للغاصبين، فبدأوا بالعمليات الاستشهادية التي أرعبت الصهاينة وأذهلت أميركا ومن يقف معها إلى جانبهم، فكانت عمليتا القدس وعسقلان الاستشهاديتان ثم أردفها مجاهدو حماس بعمليتين أخريين مما أربك الحسابات المادية للصهاينة فراحوا يتشبثون بخيوط وهمية عسى أن تنقذهم من مأزقهم الخطير هذا، فتشعبت الآراء وراح كل يسعى للكيد للإسلام وأهله.

لم يكن اغتيال عياش وفتحي الشقاقي أمراً جديداً، فتاريخ المسيرة الجهادية حافل بمثل هذه الشواهد، إلا أن الرد البطولي للمجاهدين الفلسطينيين كان أشد وطأة على قلوب الصهاينة، وكان يمتاز بالاصرار على مواصلة الدرب حتى تحرير كل الارض الفلسطينية المفتتحة غير آبهين بالتهديدات والمؤامرات الاستكبارية؛ فقد صرح الأمين العام لحركة الجهاد الاسلامي في فلسطين قائلاً: «إن الجهاد ضد الصهاينة يعتبر مبدأ ثابتاً لا يقبل

التيار الاستسلامي الذي يقوده عرفات، ممّا جعلهم أصلب عوداً وأكثر تحملاً للصعاب التي تعترض المسيرة الجهادية الرامية إلى تحرير فلسطين من أيدي المغتصبين الصهاينة. أمّا من حيث الممارسات اللانسانية للصهاينة ضد المجاهدين الفلسطينيين فقد اصدت المحكمة الصهيونية العليا قراراً أجازت فيه لجهاز الامن الداخلي «شين بيت» استخدام التعذيب الجسدي والنفسي لاستنطاق المعتقلين الفلسطينيين وأخذ الاعترافات منهم بالقوة بالاضافة للصلاحيات التي منحها هذه المحكمة للشين بيت لممارسة دوره في تشديد المعاملة والقسوة ضد المعتقلين الفلسطينيين كلّ ثلاثة أشهر من قبل لجنة برئاسة شمعون بيريز وعضوية كلّ من الرئيس السابق للشين بيت كارمي جيلون والرئيس الحالي له عامي ايالون، لكن المجاهدين الفلسطينيين ما زالوا مصرّين على مواصلة المسيرة الجهادية حتى تحرير كامل الأرض الفلسطينية المغتصبة ولم يبالوا بمثل هذه القرارات، لأن التعذيب الجسدي والنفسي يُمارس ضدّهم كلّ يوم سواء صدر به قرار من قبل الجهات

الصهيونية العليا أم لم يصدر، فهذه هي سياسة الصهاينة منذ أن وطئوا هذه الأرض المقدسة. وأمّا مؤتمر «شرم الشيخ» الذي كان محاولة لإيقاف العمليات الاستشهادية للمجاهدين الفلسطينيين، فهو مفردة أخرى من سلسلة مفردات التآمر ضد الأمة الاسلامية، ومحاولة لاقطاع اجزائها - بدءاً بفلسطين - تحقيقاً لمآرب أميركا في إقامة النظام العالمي الجديد كما ترغب وتريد، وما على الدول الاسلامية جميعاً إلا أن تقف موقفاً موحداً لانتشال فلسطين السليبة من مخالب الصهاينة وقطع الايدي الاستكبارية التي امتدت على مهد النبوات، ليعود الامن والاستقرار ويحقق العالم الاسلامي مطامحه في إقامة حكومات عادلة في كل شبر من أرض المسلمين المقدسة. ونرى في الادانات التي صدرت من قبل الحكومات والمنظمات والحركات الاسلامية ولا سيما الجمهورية الاسلامية في ايران ضد مؤتمر «شرم الشيخ» دليلاً واضحاً على الصحو الاسلامية وتجلي قدرة الاسلام الذي يجد فيه المسلمون وحدة كلمتهم وعزتهم، وقد أربكت هذه المواقف

بدلاً من النظام الدكتاتوري في العراق ،
مما دعا أميركا لأن تُصدر العقوبات
ضده بالخطر الاقتصادي ليموت جوعاً .
أما ما نسمعه بين آونة وأخرى من
صرخات ودعوات مطالبة بانقاذ العراق
فلم تكن كلّها صادقة ، وإلاّ فالنتائج رهن
الاخلاص ، وما زالت دعوات الانقاذ
تنتظر من يفعلها لتخرج إلى حيّز الواقع
الخارجي .

من هذه الدعوات مشروع الملك
الاردني الذي يرمي - بحسب الظاهر -
إلى إقامة حكومة فيدرالية متعددة
الأطراف يشترك فيها ممثلون عن كل
طبقات الشعب ، وقد واجه هذا المشروع
الغموضة - تحفظات من دول اقليمية
ومن بعض أطراف المعارضة العراقية ،
فيما رُفض من قبل أطراف أخرى .

الاطراف المتحفظة من المشروع
ترى أنه من الضروري ازالة النظام
الجاثم على صدر العراق بأيّة طريقة
ممكنة ، إلاّ أنهم يخشون المخاطر
المتوقعة ، بعد تنفيذ المشروع رغم أنهم
لا يرغبون في اثارها ، لأنها قد تؤخر
بقاء صدام سنوات أخرى ، مما يعني
موت الأحياء ومسح الأجيال القادمة
- التي يمكن أن تقاوم وتبقى على قيد

أميركا وحلفاءها والمجتمعين معها في
مؤتمر الخيانة والارهاب ، وراح كليتون
يصرخ في قاعة المؤتمر معرباً عن خيبة
أمله : « ليس هناك ضمان لعدم استمرار
العمليات الانتحارية في فلسطين » مما
يعني أن المجاهدين الفلسطينيين اثبتوا
أنهم مقتدرون على طريق تحرير الأرض
السليية واسترجاعها بالقوة ، كما أخذت
بالقوة . وما ضاع حق وراءه مطالب .

❖ العراق

معاناة ومضامير

يبدو أن العراق نُسي على طاولة
التشريع مدّة ليست بالقصيرة ، فعُبثت
به مخالب الأعداء ، فيما راحت مباحض
بعض الدول الاقليمية تبتر الأعضاء
الصحيحة سهواً أو عمداً ، لتزرعها في
غير محلّها تارة أو تحتفظ بها لنفسها
عند الحاجة أُخرى .

جريمة الشعب العراقي - حسب
وجهة النظر الأميركية - ليست في
محاربتة نظام صدام ، بل هذا ما كانت
تبغيه أميركا بعد مسرحية غزوه
الكويت ، ودعوى ردعه وتأديبه ، ولكن
جريمة الشعب تكمن في رفعه الشعارات
الاسلامية ومطالبته بإقامة حكم اسلامي

حيث قطعت أوصال الأمة الإسلامية وجعلتها كتلاً متنافرة ، وإن كانت تدور في فلك واحد ، ولم يخلُ بلد من بلداننا الإسلامية من مشكلة داخلية تتسع وتضيق بحسب الظروف والمصالح الاستكبارية وطبيعة الحاكم المنصب في هذا البلد أو ذاك . ثم أصبحت الحدود المصطنعة بين امصار الوطن الاسلامي الواحد بمرور الزمن وتعاقب الأجيال أمراً واقعاً ؛ حيث ترى لكل بلد حدوداً وكياناً حاكماً ودستوراً ومناهج دراسية وتربوية تختلف عن بقية البلدان وتنسجم مع توجهات المستحويين على السلطة ونظرتهم حول الكون والانسان .

لقد شخص الاستكبار العالمي مواطن القوة ومواقع الضعف في جسم الوطن الاسلامي الكبير ، وأخضعه لدراسات وتجارب ميدانية بعد أن جند مجموعة من المتخصصين من خبراء سياسيين واجتماعيين ، كان هدفهم تقديم اطروحات وخطط بما يلائم طبيعة كل بلد من بلاد المسلمين ، مركزين في خططهم على الجانب القومي أو العرقي ؛ وذلك لسهولة استغلال العواطف والميول وتسخيرها في سبيل تأجيج الفتنة والفرقة بين ابناء الامة الواحدة ،

الحياة - على الطريقة الأميركية .

أما الاطراف الاخرى الرافضة للمشروع فتتفاوت درجات تشاؤمها كتفاوت درجات تحفظ الطرف الأول ؛ فالفتنة الأقل تشدداً ترى أن المشروع لا يخدم مصلحة العراقيين ؛ لأنه مصوغ بأيدٍ أميركية - صهيونية ، وقد يؤدي إلى حرمانهم من كثير من الحقوق التي جاهدوا من أجلها وقدموا الضحايا ، فيما ترفض الفئة الأكثر تشدداً المشروع جملةً وتفصيلاً ، لأنها ترى المخالب الأميركية - الصهيونية وهي تمرق جثة العراق إلى ثلاث دويلات غير متكافئة ، فيما ترى مباضع بعض الدول الإقليمية تقطع الأجزاء الصحيحة كي لا يفوتها نصيبها من الضحية .

وما الغموض الذي يلف مشروع الملك الاردني إلا لدفع نقمة الشعب والمعارضة فيما لو علموا بخطة التقسيم .

الإصالة الإسلامية في كردستان العراق

إن السياسة التي انتهجتها بريطانيا منذ استعمارها الوطن الاسلامي هي سياسة «فَرَقْ تَسُدْ» ، وقد كانت من أدهى الخطط الاستكبارية وأعظمها خطراً ،

وباللاسف ، فإن هذه الخطط والبرامج الاستعمارية وجدت لها ارضية خصبة خصوصاً عندما كان الحل الاسلامي مستبعداً ، ولم يفسح المجال إلا للخطاب القومي المعقوت للأخذ بزمام الامور .

ثم اثبتت بفعل عامل القوة والهيمنة مجالس الأمن والأمم المتحدة والأحلاف ك«الناتو» و«الأطلسي» ، وشُرعت حقوق النقض (الفيثو) ، وما إلى ذلك من حقوق جعلها المستكبرون ضمانات لتكريس هيمنتهم وفرض سلطتهم على غيرهم .

وقضية كردستان العراق هي احدى قضايا المسلمين التي ظلت دون حل منذ سنوات طويلة وذلك للسبب الذي ذكرناه ، فالحلول القومية والعرقية لا يمكن أن تكون في يوم من الأيام منفرجاً وحلاً لمثل هذه الأزمات ، والدليل على ذلك هو سلوك الذين تعاقبوا على دفة الحكم في بغداد ، فقد اضطهدوا أبناء الشعب الكردي ومنعوهم حقوقهم ؛ والعقود الأربعة الأخيرة خير شاهد على ذلك ، ومن المصاديق البارزة التي لا يمكن أن تنساها ذاكرة التاريخ ، حرق مدينة حلبجة بالقنابل الكيماوية وإبادة الآلاف من أهلها ، ثم إلحاقها بعمليات «الأنفال» التي تركت القرى الكردية

أطالاً ؛ وقد نقل أحد المراسلين الصحفيين الذين رافقوا وفد الجمهورية الاسلامية الايرانية في زيارته إلى كردستان قائلاً : إن بعض القرى ليس فيها رجال ، وعندما سألنا النساء عن السر في ذلك قلن : إن هجوم النظام العراقي على قرانا أسفر عن قتل أغلب رجالنا ، ثم اقتاد المهاجمون ما تبقى منهم إلى سن (٩) سنوات ، أي حتى الصبيان .

هذا الأمر يخاطب الضمير الانساني ويدعو المسلمين إلى اسناد مشاريع انقاذ الشعب العراقي واقامة الحكومة الاسلامية العادلة وحل مشكلة نظام كردستان في اطار الاسلام ، وتحسين أوضاعهم الاقتصادية ومعالجة حالتهم المأساوية التي أوجدها نظام الكفر الفاسد الجاثم على أرض العراق .

ويمكننا القول : إن الشعب الكردي في العراق يتميز بأصالته الاسلامية ومحافظته على شعائره ، ومن أبرز مدنه المعروفة بطابعها الاسلامي المتميز هي مدينة «حلبجة» العريقة باسلامها وعلومها الدينية . هذه المدينة «الشهيدة» التي أحرقتها النظام العراقي بطائراته ، وقتل الكثير من أهلها بالقنابل

الكيمياوية سنة ١٩٨٨م ؛ وقد تحولت بعد انتفاضة ١٥ شعبان ١٩٩١م إلى مدينة اسلامية جديدة تتميز بمساجدها ومراكزها العلمية والاجتماعية ، حيث إن لها برامج تربوية وتعليمية قلّ نظيرها ؛ من ابرزها خروج أغلب أبناء المدينة عصر كل يوم لدراسة علوم القرآن المختلفة على مدى ساعتين . أمّا نسبة الحجاب فقد ارتفعت إلى ٩٥٪ ، ومن المتوقع أن يعمّ جميع الفتيات في المستقبل القريب ؛ وهذا أمر يعتبر قمّة في الترقّي والتحول نحو تطبيق الشريعة الاسلامية ، رغم أن مسألة الحجاب مازالت اختيارية ولا إلزام رسمياً بها ، وهذا يعود إلى نشاط الحركة الاسلامية في هذه المدينة ، وجهودها المبذولة لنشر الوعي الاسلامي .

أمّا عن نظرهم حول مستقبل العراق فقد كانت لبعض مسؤوليهم تصريحات ، منها ما جاء على لسان احدهم في مقابلة صحفية ، حيث قال : «نحن في المناظرات التي تمّت اذاعتها ومشاهدتها من قبل الشعب الكردي أكدنا ايماننا بوحدة العراق أرضاً وشعباً وتراباً ، ونطالب ساعين لإقامة دولة اسلامية عادلة إن شاء الله » .

أما من حيث تصدّيهم للمؤامرات والانحرافات فقد تصدّى أبناء الاسلام في كردستان العراق للكاتب الكردي المرتد «ريبوا أحمد» ، وأصدر بعض الزعماء الاسلاميين الاكراد فتوى تقضي بإهدار دمه . وقد خرج أبناء المدن الكردية في چومان وحاج عمران وسوران وديانا وباليكان وبعض المدن الأخرى في كردستان العراق بتظاهرات تأييداً لهذه الفتوى ، واستنكاراً لهذا العمل الذي يعدّ اهانةً لنبي الاسلام واعتداءً على مقدسات المسلمين ؛ وقد شارك في هذه التظاهرات الطلاب والمثقفون وشرائح مختلفة من الشعب الكردي المسلم وهم يرددون : « الله اكبر » و «نحن الأكراد مسلمون» .

وما زال أبناء كردستان العراق المسلمون يواصلون خطاهم نحو تحقيق الأمن والاستقرار في منطقتهم المحررة من يد النظام العراقي ، ويسعون لنشر الوعي الثقافي والديني في اوساط مستضعفيهم ، وهم على أمل تحقيق الأمنية الكبرى لأبناء الشعب العراقي بإزالة النظام المتجبر في بغداد ، وإقامة حكومة اسلامية عادلة محلّه .

القرار ٩٨٦ ورقة ضغط بيد أميركا

والنظام الحاكم في العراق

بات القرار ٩٨٦ ورقة ضغط بيد أميركا من جهة ، وبيد النظام الحاكم في العراق من جهة أخرى ؛ فأمركا تسير في بلاد العتبات المقدسة كيفما شاءت وتدنس الأرض الطاهرة بأقدامها ، لا من أجل الشعب العراقي ، بل من أجل حماية مصالحها وتثبيت هيمنتها ونفوذها ، وحرمان الشعب من أبسط حقوقه وخنق صوته الرافض لكل ألوان الظلم والاستبداد ، والداعي إلى إقامة حكم الله في أرض الرافدين . أما الأمم المتحدة فلم تعترض على تصرفات أميركا وتفردتها بالأمر ، وما الاتفاق الأخير بين كلينتون والملك حسين على جعل (٣٤) طائرة أميركية في الأراضي الأردنية - تكون مهمتها الخروج بطلعات استطلاعية فوق منطقة الجنوب العراقي - إلا لإحباط همم المجاهدين ، وتحوطاً لما يمكن أن يتمخض عنه المشروع الإيراني - السوري الرامي إلى جمع المعارضة ، ودعمها كي تشق طريقها لإسقاط النظام العراقي ؛ فأمركا غير راغبة في إسقاط صدام إلا بإشرافها وفي الوقت الذي يناسبها ، أي لحين تهيئة البديل الذي

يراعي مصالحها .

أما نظام الطاغية صدام فيناور بورقة القرار ٩٨٦ ، ويستخدم ذلك لصالحه في بثّ الاشاعات من أنه وافق على القرار وسيصدر النفط مقابل الغذاء والدواء ، وسيعمّ الخيرُ الشعبَ العراقي وستعود الأسواق إلى حالتها الطبيعية ، وما إلى ذلك من ادّعاءات من شأنها إيقاف الصعود الجنوني في الاسعار ، وإعطاء الشعب أقرصاً مسكّنة وضرب التجار الذين يعملون لمصلحتهم ، فلا هم مع النظام ولا هم مع الشعب ، ثم تأليب الشعب ضد أميركا لكسب وده ، حيث يصوّر له أن أميركا هي التي تماطل في تفعيل القرار ٩٨٦ وليس هو النظام العراقي ، بل تحاول تطبيقه تطبيقاً جائراً ، تمسّ بكرامة الشعب . وهذه كلمة حق يراد بها باطل .

وهذا الادّعاء الأخير يخدم المعارضة الإسلامية ، فقد شاء الله أن يكون العمل (على الطريقة الحديثة) معرضاً للشعب العراقي ضد أميركا ، ممّا يساعد على وجود أرضية لدعم أي تحرك جهادي ، خصوصاً أن الاسلاميين معروفون بعدائهم لأميركا وصدام معاً .

وسمسة أميركا - تحت لواء الصهاينة، وراحت تقاتل أبناء شعبها بدلاً من أن تقاتل الغزاة الصهاينة.

الاصالة الاسلامية في لبنان تمتد إلى عمق التاريخ من خلال جذورها الحية، ولها شواهد كثيرة كان أبرزها «الشهيد الأول والثاني» اللذان أحيا الفقه الاسلامي على يديهما وما زالت كتبهما من المراجع المهمة في الحوزات العلمية. استمرت الدماء التي لا تنضب تغذي شلال العطاء الجهادي وقدم حزب الله خيرة شباب قرابين على هذا الطريق، كان على رأسهم الشيخ راغب حرب والسيد عباس الموسوي الأمين العام لحزب الله الذي استشهد عام ١٩٩٢م إثر غارة جوية شنها الطيران الحربي الصهيوني.

ومن الواضح أن حزب الله بدأ أكثر انفتاحاً على الساحة اللبنانية لأنه يمثل طموحات الجماهير المسلمة، حتى أصبح تياراً أقرت به الحكومة اللبنانية واقعاً على الأرض وتعاملت معه على أنه قوة جهادية تدافع من أجل عزة المسلمين في لبنان وفي الجنون خاصة، واعتبرت جهاد حزب الله في الجنوب اللبناني ضد الصهاينة المفتصين

ومن المتوقع أن تكون الأرض العراقية الخارجة عن سيطرة النظام في الشمال والجنوب عملاً قريب معاقل للمجاهدين والثائرين، تمهيداً للانقضاض النهائي على أوكار النظام في بغداد، وتغيير الحكم بإرادات شعبية، ما لم تبادر أميركا ومن دار في فلكتها إلى قلب النظام الحالي وتبديله بنظام عسكري جديد لإحباط المحاولة الإيرانية - السورية . ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

■ لبنان

الدماء التي لا تنضب

كان حزب الله افرأاً طبيعياً معبراً عن الروح الجهادية والثورية في الجنوب اللبناني، فلا غرو أن يقف بوجه الصهاينة المعتدين، ويقاوم من أجل عزة الدين والمسلمين في هذا البلد. ومن المعلوم أن المستهدف الأول لدى الصهاينة هم المسلمون، أما الحركات والمنظمات الأخرى فيمكن حرقها عن مسارها، كما حدث لحركة التحرير الفلسطينية التي أصابها التعثر والخواء وانضوت أخيراً - بقيادة عرفات

جهاداً مشروعاً، ورفضت نزع سلاحه واعتبرت دفاعه عن أرضه دفاعاً رسمياً حتى يتم انسحاب العدو الصهيوني من الاراضي اللبنانية، في حين راحت تدين الجهات العميلة وتندد بمواقفها، حيث صدر حكم الاعدام من قبل المحاكم اللبنانية بحق العميل «انطوان لحد» واعتُبر هو وزمرته خائنين للبنان، وطالبت السلطات القضائية اللبنانية بتنفيذ حكم الاعدام بحقه وحق عناصره. ولا نتجاوز الواقع إذا قلنا: إن حزب الله هو المرشح الأكبر الذي من المؤمل أن يلعب دوراً مهماً في مستقبل الحياة السياسية في لبنان؛ إذ إنه يمتلك من العناصر القيادية والجهادية ما لا يمتلكه أي حزب أو منظمة أخرى في الساحة اللبنانية، أضف إلى ذلك رساليتهم وإيمانهم المطلق بالله وبوعده الحق في الدنيا والآخرة، وهذا ما يرسخ الروح الاستشهادية ويدفعهم نحو تحقيق أهداف استراتيجية في عمق قوات العدو الصهيوني الغازية، مما يربك الحسابات الصهيونية والأميركية، ويؤذن بطلوع فجر جديد على أرض لبنان وفلسطين السليبة.

أما التهديدات الصهيونية

والأميركية بنزع سلاح حزب الله وتصفية قياداته أو ضرب مواقعه الحساسة وأفراده فتخضع لعدة عوامل داخلية وإقليمية ودولية، كما أن ردود فعل حزب الله ودفاعه عن حقوقه وأرضه خاضعة هي الأخرى للعوامل ذاتها؛ فعلى مستوى الداخل يعيش الصهاينة صراعات حادة كان أبرزها مقتل رابين على يد الجناح الصهيوني المتطرف، في حين يعيش يهود المستوطنات حالة من القلق الدائم خاصة تلك التي تتألف اليد الطولى لفدائيي حزب الله. أمّا عرفات فلم يستطع تمثيل الدور المناط به في قمع الحركات الجهادية والثوار. بينما يمتاز حزب الله بأنه حالة شعبية تأصلت في نفوس الشعب اللبناني وامتدت في عمق الساحة السياسية، فعمليات التصفية التي يهدد بها الكيان الصهيوني لا تتم إلا بضرب المناطق الآهلة بالسكان، وهذا ما يواجهه ردود فعل دولية وإقليمية وشعبية تكون لصالح حزب الله، ولم يجن منها الكيان الصهيوني سوى الفضيحة والهزيمة، كما أن تصفية قيادة حزب الله هي الأخرى غير ممكنة وليست في صالح الكيان الصهيوني؛ لأننا رأينا بعد شهادة فتحي الشقاقي وعياش

وءءل الصهاينة يعيشون ءالة من القلق الدائم؁ فسوريا تعتبر ءزب الله ورقء ضغظ لصالءها ضد الكيان الصهيوني؁ كما أنه (أي ءزب الله) يمثل فصال المصءاء الامامية ءي ءتلقى الهءماء الصهيونية المباشرة؁ فهي تدعمه وتؤيد عملياته ولا يمكنها التءلي عنه؁ كما تعتبر ءركءا الءهاد وءماس الفلستينيين ءهادء امتداداً للعمليات الءهادية في الساءة المواءة ضد الصهاينة؁ وإن اءءلء سبل المواءة وتعدء مواقع العمليات؁ فءزب الله يزداء تماسكاً مع مءءل ءركات الاسلامية ممّا يزيده عزّة ومنعة.

أمّا العامل الدولي فأميركا بءقلها وءبروتها تمدّ الكيان الصهيوني إءلامياً وتسليةياً؁ اما الدءول معه في معارك مصيرية فمستبعد ءداً؁ لأن أميركا لا تريد أن ءءوض ءرباً مباشرة مع ءوار مستمءين ءءسر فيها كل مصالحها؁ كما أن الدول الاستءبارية الأءرى تدعم الصهاينة اءلامياً ءاستمرار ومادياً بنسب مءفاوءة وبءسب نسبة المد والءزر الأميركي والمصالح التي ءدفعها إلى اءامة علاقاء بينها وبين الدول العربية والاسلامية. في ءين ءقف

ازدياء غضب الفلستينيين واشءءاء العمليات الاستءهادية؁ مما دفع بالكيان الصهيوني وءمائه وعلى رأسهم أميركا إلى عقد مؤءمر «ءرم الشيوخ» لمعالجة الموقف. أمّا عملية ءءريد ءزب الله من السلاح فمستءصية ءداً وكءيراً ما شغلء اءهان الصهاينة؁ إذ إن ءزب الله ءالة شعبية - كما اسلفنا - وتسليةه وءركءه العسكرية من النوع الذي لا يمكن ءصره وتءشءيصه؁ فهو ليس ءيشاً ءقليدياً ءءشكل من وءءاء معلومة؁ بل هو شعب يستنفّر قوؤه عند الءاءة ويمارس أءماله وءشاطائه ءارء اءار الصبغة العسكرية المءعارفة في ءيوش العالم؁ ممّا ءءل عملية ءءريده من سلاحه عملية غير ممكنة؁ كما أن الءكومة اللبنانية أقرّء دفاعه عن نفسه وأرضه واعتبرت ذلك ءقاً شرعياً؁ فءءريده يعني انءءار الصهيونية بءراب ءزب الله؁ أمّا العامل الاقليمي المباشء فلم يكن لصالء الكيان الصهيوني؁ إذ إن اءءصابه لأرض فلستين أولاً؁ ثم نفوذه الاستءعماري في بلدان المواءة (الءوار) ءانياً؁ ءعل العامل الاقليمي يصبّ في صالح ءزب الله والمقاومة الاسلامية الفلستينية؁

عدد السكان ، وقد نال استقلاله السوري عام ١٩٧١م ، وشكلت فيه مجالس برلمانية ، لكنها لم تدم طويلاً حتى ألغيت عام ١٩٧٥م وحصر الحكم بالمشايخ الذين تعاقبوا على حكومة البحرين منذ زمن طويل ، ولم يغير الاستقلال من وجه الحكم القديم شيئاً .

وبعد ما سمي بحرب الخليج الثانية واهتزاز الانظمة الاقليمية أمام موجة المتغيرات الحادة في المنطقة ومنها البحرين ، برزت موجة شعبية تطالب بسماع صوتها والسماح لها بالمشاركة في تقرير مصيرها في مسيرة البلاد ومستقبله خصوصاً بعد الوجود العسكري المكثف للغرب وفي مقدمته اميركا ، وتحويل بعض دول الخليج العربية إلى قواعد عسكرية لها .

إلا أن الاجهزة الحاكمة واجهت هذه المطالبة بالرفض والرد ، مما أدى إلى وقوع مصادمات بين الجماهير المسلمة في مدن كثيرة منها العاصمة «المنامة» كان ابرزها ما حدث في كانون الأول عام ١٩٩٤م : حيث ادعى إلى وقوع ١٣ قتيلاً بين الجانبين ، ولكنها اشتدت عام ١٩٩٥م بعد اعتقال الشيخ «علي سلمان» اثر رفعه لمذكرة احتجاج تحمل اكثر من

الجمهورية الاسلامية إلى جانب حزب الله في لبنان وتعتبره امتداداً للصحة الاسلامية العالمية ولما تحمله هذه الجمهورية من آمال لتخليص المسلمين والشعوب المستضعفة من مخالب الاستتكار ، كما أن بعض الدول الاسلامية والعربية على وجه الخصوص تقف إلى جانب حزب الله في لبنان ، بينما تقف الشعوب وحركاتها الاسلامية بأجمعها العربية منها وغير العربية معلنة مساندتها وتأييدها لحزب الله في لبنان ولكل الحركات الجهادية الاسلامية ، كما أنها تبارك لحزب الله وقوفه وتصديه للمؤامرات الصهيونية حتى يحقق الله على يديه النصر ويعيد للبنان حالة الاستقرار والأمان.

٥ البحرين

حقوق شعبية مشروعة

البحرين ذلك البلد الصغير الذي تبلغ مساحته «٦٢٢» كم مربعاً ، ولا يصل عدد نفوسه إلى ثلاثة أرباع مليون نسمة ، يغفو على نوائم الخليج وتداعب أمواجه الرقاقة خصلات العشب المتهدل على الشاطئ الممتد مع حدوده .

يشكل المسلمون فيه نسبة ٨٥ ٪ من

للمدوع والرصاص المطاطي .

وعلى الرغم من أن الشارع البحريني عكس حالة صريحة وسائدة تؤكد أن الحكومة في وادٍ والناس في آخر ، إلا أن بيانات وزارة الداخلية التي يصدرها عادةً الانجليزي الدخيل «اندرسون» تجاهلت كل ما هو حقيقي وكائن ، بل تجاهلت كل نشاطات الاسلاميين ، واعتبرت أن ما يحصل هي أعمال تخريب فردية ، واتّهمت اطرافها بالعمالة لدول أجنبية ، واتهموا الجمهورية الاسلامية الايرانية بأن لها دوراً في التحريض بهدف حرف الرأي العام الداخلي ، وكأن البحرين باتت بدون معارضة تذكر ، بل راح مسؤولو المنامة يصرون على الهروب من مواجهة الواقع والترويج لسيناريو التدخل الخارجي ؛ في حين أن القضية المطروحة في الوسط الجماهيري والتي أجمت الانتفاضة هي اطلاق سراح البرلمان والاصلاحات السياسية ، وهذه القضية تعود إلى سنين متراكمة ولم تكن وليدة الحاضر ؛ فانعدام الحرية وكمّ الافواه على الطريقة العشائرية القديمة والبطالة ، واستيراد الشرطة والعمال من الخارج ، كلّ ذلك أدّى إلى تأجيج نار

(٢٥) ألف توقيع يطالب أصحابها بالعودة إلى المجالس البرلمانية ، على أن تمثل كل طبقات الشعب .

وفي الأيام الأخيرة من العام ١٩٩٥م اشتدت حركة المطالبة الجماهيرية بالحياة البرلمانية ، وكان الاسلاميون في مقدمتها بفضل الوعي السياسي الذي اكتسبه أبناء البحرين بجهود علمائه وجهادهم المرير ونشاطهم التوعوي ، فخلقوا من وحدة الشعب في البحرين صخرة صلبة تتحطم عليها كل مؤامرات الاستكبار والرجعية ؛ فقد هب أبناء الشعب البحريني المسلم بعد أن قامت شرطة الأمن البحرينية بإغلاق مسجدين في البحرين ، كان احدهما المسجد الرئيسي للشيعة في البلاد في «الدراز» حيث كان من المقرر أن يلقي فيه الشيخ «عبد الأمير الجمري» خطبة الجمعة في ٦ / شعبان / ١٤١٦ الموافق ٢٩ / ١٢ / ١٩٩٥م ويقرأ بياناً للمعارضة البحرينية .

وفي حديث للشيخ الجمري مع وكالة فرانس بريس قال : « منعوا الناس من الوصول إلى المسجدين ، وحصلت تظاهرات واسعة في بني جمرة والدراز حيث أطلقت الشرطة قنابل مسيلة

الثورة وخروج أبناء الشعب البحريني المسلم بتظاهرات مطالبين بتشكيل برلمانات تمثل رأي الشعب ، وهو حق مشروع لأبناء الشعب البحريني المسلم . أما اليد الأميركية فقد وجدت لها متسعاً للطعن بالاسلام وأهله ، وكيل التهم للجمهورية الاسلامية الايرانية ؛ فقد زعم مساعد وزير الخارجية الأميركي لشؤون الشرق الأوسط «روبرت بللير» أن ايران تساعد وتشجع الاضطرابات الحالية في البحرين ، فيما أعرب عن ارتياحه وتأييده للطريقة الارهابية التي تعالج فيها الحكومة البحرينية الاوضاع المتفجرة ، وصرّح باستعداد حكومته لمساندة السلطات البحرينية لقمع الانتفاضة .

أما وزارة الداخلية البحرينية فقد أشارت إلى أن قوات الأمن اعتقلت «١٧٤» شخصاً فقط ، وستحيلهم إلى القضاء بتهمة المشاركة في هذه الاضطرابات ، في حين ذكر محامون في البحرين أن هناك ما لا يقل عن ألفي شخص قيد الاعتقال ، وكان ذلك في مطلع العام ١٩٩٦م ، ومن بينهم ثمانية من قادة المعارضة الناشطين .

وقد شهدت البحرين في الآونة الأخيرة مصادمات دامية بين أبناء الشعب المسلم في البحرين والقوات الحكومية ، راح ضحيتها الكثير من النشطين الاسلاميين ، وهتكت الحرمات من قبل اجهزة الحكومة الأمنية وغيرها ؛ حيث تم غلق الكثير من المساجد ، بل الأنكى من ذلك أن تم تعزيق نسخ من كتاب المسلمين المقدس «القرآن الكريم» وكسر أبواب ونوافذ المساجد وتدمير ما فيها من أجهزة وأثاث ، ليعربوا عن هويتهم الحقيقية في عدائهم للاسلام والمسلمين ، بل تم تعريض مجموعة من الفتيات لأبشع أنواع التعذيب والمساس بالشرف ؛ وقد اصدرت «حركة احرار البحرين الاسلامية» بياناً في ١٩٩٦/٤/٩م نددت فيه بالاعمال التي قامت بها الشرطة البحرينية ، جاء فيه : «اعتدت قوات الشعب على ثلاثة من أبرز المساجد بمنطقة بني جمرة وهي مسجد الخضر ، ومسجد زين العابدين ، ومسجد الشيخ فرج ، وهتكت حرمتها بشكل غير معقول وكسرت أبوابها ونوافذها وخربت ما بها من مكبرات صوت ورفوف ، ورشّت حيطانها باللون الأسود وكتبت عليها عبارات لا تليق

الاسلامية يلحق بوزارة العدل والشؤون الاسلامية، من أجل الالتفاف على جهود المخلصين من أبناء الشعب البحريني المسلم ومصادرتها، وتأميم نشاطاتهم الاسلامية كي تصبّ في خانة الحكومة، حيث جاء في البيان: «يتوقع الاعلان قريباً عن انشاء مجلس أعلى للشؤون الاسلامية يلحق بوزارة العدل والشؤون الاسلامية، وتكون مهمته تأميم كل الأنشطة والفعاليات الدينية في البلاد؛ ويتوقع صدور مرسوم أميري بهذا الأمر قريباً بعد اقرار نظامه المقترح والمكون من اثنتي عشرة مادة تحدد تشكيلته وعضويته، ويتوقع أن يضم أربعة من «العلماء» في الشريعة الاسلامية وأربعة أعضاء بحكم وظائفهم، وهم: رئيس محكمة الاستئناف العليا الشرعية (الدائرة السنية) ورئيس محكمة الاستئناف العليا الشرعية (الدائرة الجعفرية) ورئيس مجلس الأوقاف السنية ورئيس مجلس الأوقاف الجعفرية.

ويعتبر انشاء هذا المجلس خطوة أخرى على طريق تأميم النشاطات الاجتماعية والسياسية، الأمر الذي ستكون له تبعات كبيرة خصوصاً وأن

بالمسجد، وبعد ذلك مرّق أفرادها نسخ القرآن الكريم ورمّوا بها في فناء المسجد؛ ولم يكن هناك ما يدعو لذلك، خصوصاً وأن الوقت لم يكن وقت صلاة أو تجمع. ويبدو أن الحكومة تريد أن تنتقم من المساجد وتعاقبها بسبب انطلاق الانتفاضة في بداية الأمر منها». وجاء في جانب آخر من البيان: «ما تزال حادثة الاعتداء على عرض فتيات المدارس تتفاعل شعبياً، وقد تؤدي إلى تصعيد خطير بسبب شعور المواطنين بأن الحكومة ترفض التحقيق في حادثة تصوير أكثر من ثلاثين طالبة بالفيديو، بعد اجبارهن على خلع ملابسهن في أحد مراكز التعذيب؛ وتعتبر هذه الحادثة مرتبطة بالعرض والشرف، الأمر الذي يقتضي من الحكومة فتح تحقيق مستقلّ فيها وتقديم المسؤولين عن الجريمة إلى المحاكم العادلة في أسرع وقت».

وفي جانب آخر ذكر البيان أسماء «٦» من المعتقلين تتراوح أعمارهم بين (١٢ - ١٨) عاماً، من بينهم طالبة من مدرسة الدائرية في مدينة حمد.

وقد رفض بيان حركة أحرار البحرين الاسلامية مساعي الحكومة البحرينية لإنشاء مجلس أعلى للشؤون

الجهات بطوق «السلام» المزعوم الرامي إلى الاعتراف بالكيان الصهيوني الغاصب ، بالرغم من أنه ما زال يقتل أبناء الشعب المسلم في فلسطين ولبنان وأطراف سوريا ، ويحوك المؤامرات ضد الثوار المسلمين في كل مكان ؛ كل ذلك يجري بمباركة أميركا وإيادها الاستكبارية التي تدير العالم وتسير به نحو نظام جديد معدّ خصوصاً لدعم الهيمنة الأميركية على العالم وفرضها على الشعوب المستضعفة بقوة الحديد والنار .

لقد حاولت سوريا اقناع المجتمع الدولي والأمم المتحدة والعرب خصوصاً بأنه لا يمكن الصلح مع اسرائيل وهي تفتصب الأرض الاسلامية ، وتسبني المستوطنات اليهودية وتقتل المسلمين وتمنعهم من أداء طقوسهم وإقامة شعائرهم الدينية ، خاصة في القدس ، وطالبت بالجولان باعتبارها أرضاً سورية اغتصبته اسرائيل في عام ١٩٦٧م وضمتها عام ١٩٨١م . كذلك تطالب ببحيرة طبرية باعتبارها مورداً مائياً مهماً لها ، في حين يصرّ الكيان الصهيوني الغاصب بعناد على أن تبقى بحيرة طبرية تحت

أحداً من المواطنين لن يرضى بمثل هذه القوانين التي تكرس حالة التسلط والاستبداد ومصادرة الحريات . وتسعى الحكومة من وراء هذه الترتيبات إلى مصادرة المطلب الجوهري للحركة الشعبية ؛ وهو عودة الحياة الدستورية والبرلمانية إلى البلاد».

وتنبئ الأحداث أن الحكومة ما لم تستجب لمطالب الشعب البحريني المسلم ، فسوف تعصف بهم رياح الفتنة شرقاً وغرباً ، وتقع البحرين في أزمة يستعصي حلّها ، على أمل أن تكون الحلول ملائمة ومراعية لمصالح ومطالب أبناء الشعب البحريني المسلم .

❑ سوريا

امام المحك الرئيسي

تعيش سوريا دؤامة من الأفكار والهواجس ؛ فهي من دول المواجهة التي يفتصب الكيان الصهيوني جزءاً من أراضيها ، وقد تفردت عن ركب الخونة السائرين نحو «السلام» الأميركي المفروض على الشعوب بالقهر والغلبة ؛ لذلك فهي تواجه ضغوطاً (أميركية - صهيونية - عربية) ومحاصرة من كل

التي احتلتها حسب التصريحات الواردة آنفاً ، وسوريا لا ترضخ لعملية «السلام» المفروض ما لم تنسحب إسرائيل ، وهي على دراية بالمطامع الصهيونية والخطط المتبعة لقضم الأراضي بعملية الانتشار البطيء في عملية خبيثة ، وهي عملية بناء المستوطنات اليهودية من أجل تكثيف اليهود في المناطق المحتلة ، تحسباً لإجراء استفتاء شعبي تكون فيه الغالبية لليهود ؛ في حين أن الأرض عربية اسلامية ليس لليهود حق الاستيطان فيها ، ومضايقة المسلمين الذين من حقهم أن يعيشوا في أرضهم بكل أمان وحرية ، ولكن أثنى لضمير الحكام العرب أن يستيقظ من سباته ليقف مع سوريا لخراج إسرائيل بالقوة كما دخلت بالقوة .

ولعل السند الشعبي هو الأرضية الصلبة التي يقف عليها المقاومون للاحتلال الاسرائيلي ، حيث مازالت الانتفاضة الشعبية مستمرة في فلسطين والعمليات الفدائية الجريئة تتوالى ، والاحتجاجات تجتاح العالم الاسلامي لتزيح الطغاة المتجبرين ، وراحت الصوحة الاسلامية تعم الجميع ليتحول أبناء الأمة الاسلامية إلى عبوات ناسفة

تصرفه ؛ فقد جاء على لسان وزير الخارجية الاسرائيلي ايهود باراك : « لا نريد أن تتمكن أقدام سورية من أن تبتل في مياه بحيرة طبرية » ، وقال أيضاً «ستصير -اسرائيل -على أن يبقى أي متر مكعب يصب في البحيرة تحت سيطرتها» .

وفي مجال الضغط على الدول العربية الأخرى قال باراك : «نريد سلاماً كاملاً ... تطبيقاً كاملاً يشمل لبنان ودول المغرب وبعض الدول الأخرى في شبه الجزيرة العربية» ، مما يعني أن إسرائيل تسعى لأن تترك سوريا وحدها في ساحة المواجهة .

كما استبعد وزير الأمن الداخلي الاسرائيلي موشي شاحال انسحاب إسرائيل إلى حدود الرابع من حزيران عام ١٩٦٧م حسب ما تريد سوريا ، وقال : «لن نقبل أبداً بالانسحاب إلى هذا الخط ، لأن ذلك يعني تخلينا عن مصادرها المائية ، والقبول بوجود سوري على ضفة بحيرة طبرية» .

ومازالت سوريا تتشدد من جانبها وتطالب بـ«الأرض مقابل السلام» ، وهي مقولة تخفي وراءها مغالطة مقصودة ، إذ إن إسرائيل لا تنسحب من الأراضي

وقنابل موقوته إن أبطل مفعول واحدة
انفجرت الأخرى ، وستبدأ - بإذن الله -
الحالة المعاكسة من الهجوم التحرري
لطرذ الرموز الاستكبارية الصهيونية
عن فلسطين الاسلامية وكل الأرض
المحتلة .

❖ هــ

الاخوان المسلمون يسعون

إلى تشكيل حزب سياسي

صرح الزعيم الجديد لجماعة
الاخوان المسلمون أن اعضاء جماعة
الاخوان المسلمون تقدموا بطلب لتكوين
حزب سياسي ، وكان من المقرر أن
يطلق على هذا الحزب الذي يبلغ عدد
مؤسسيه (٧٤) شخصاً اسم «حزب
الوسط» .

بدأت هذه المحاولة منذ عام ١٩٩٢م ،
حيث كانت المحكمة المصرية قد رفضت
محاولة للاخوان المسلمون للظهور إلى
الساحة العلنية حزباً سياسياً ؛ إذ إن
الدستور المصري يمنع من تشكيل
الأحزاب التي تقوم على أساس الدين ؛
أما الحريات فهي مطلقة العنان للأحزاب
العلمانية على الطريقة الغربية ، وهذا ما
ابتلي به وطننا الاسلامي ؛ حيث يعاني

أبناءؤه مما زرعه الاستكبار ودوائره من
منهجية في جميع نواحي حياتهم
السياسية والاجتماعية والثقافية ، ومكّن
عملاءه من رقابهم حكماً لا يراعون إلا
ولا ذمة ، وكأنهم بتروا من هذه الامة
وصبأوا عن دينها الاسلامي واغتربوا
عن اصالتها الرسالية .

وفي محاولة لاقتناع الحكومة
المصرية قال مصطفى مشهور المرشد
العام الجديد للجماعة لصحيفة الأهرام:
«إن التقدم بطلب تكوين حزب جزء من
استراتيجية حوار مع الحكومة داخل
إطار قانوني» ، إلا أن تنظيم الاخوان
المسلمون ما زال محظوراً في مصر ،
وقد قدمت السلطات عشرات من
الأشخاص للمحاكمة بتهمة الانتماء إليه ،
وأغلقت الشرطة مقر التنظيم المذكور في
القاهرة قبل عامين .

وجماعة الإخوان المسلمون هذه
أسست في عام ١٩٢٨م على يد المفكر
الاسلامي المصري الراحل «حسن
الينا» ، وهي أكبر المنظمات الاسلامية في
العالم الاسلامي ، وقد حظرت نشاطها في
عام ١٩٥٤م بعد اتهامها بمحاولة اغتيال
الرئيس المصري الأسبق «جمال عبد
الناصر» ؛ ولا يزال قرار حلها سارياً ، إلا

الفلسطينيين لفلسطين المحتلة ، حتى إذا كانت بذريعة زيارة الأماكن المقدسة والمسجد الأقصى ، تعدّ حراماً شرعاً ، إذ لا يوجد مبرر لها في شرع الدين المقدّس . وهذه الفتوى تعدّ بحق صفة أزهريّة أربكت أركان النظام المصري وغيره من الخونة السائرين في ركب «السلام» الأميركي المفروض على أبناء فلسطين والأمة الإسلامية .

هذا وقد وضّح الدكتور القرضاوي في تصريحه الذي نشرته صحيفة «الشعب» المصرية قائلاً : «الجهاد لاسترجاع فلسطين فرض على المسلمين ، وإذا كان المسلمون قد تعذّر عليهم تحرير القدس لأسباب ما ، فإن الاسلام يفرض عليهم مقاطعة العدو اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً» ، مشيراً إلى التوجّه الذي أبداه بعض حكام المسلمين الخونة للانفتاح على الكيان الصهيوني فسي كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وأضاف الدكتور يوسف القرضاوي «باستثناء الفلسطينيين لا يحقّ لباقي المسلمين الذهاب إلى فلسطين المحتلة ، سواء للسياحة أو للزيارة ، لأنّ ذلك حرام» .

أنها عادت لتمتّع بحرية نسبية منذ أواسط السبعينيات ، ثم تعرضت مرة أخرى في عام ١٩٩٢م إلى ملاحقات ومضايقات من قبل النظام المصري ، وحُكم على (٥٠) شخصاً من مسؤوليها بالسجن مدداً تراوح بين ثلاث سنوات وخمس سنوات ، وما زال اعضاء هذه المنظمة محاصرين ، ويُزجّ الناشطون من أفرادها بين حين وآخر في السجون المصرية . وكان «محمد حامد أبو النصر» الذي توفي في ٢٠ / ١ / ١٩٩٦م رابع مرشد عام للاخوان المسلمين بعد مؤسس الجماعة «حسن البنا» ، الذي اغتيل في سنة ١٩٤٩م ، ثم تلاه «حسن الهضيبي» ، ومن بعده «عمر التلمساني» .

■ شخصيات ومواقف

الشيخ يوسف القرضاوي

بيّن الشيخ يوسف القرضاوي ، أحد علماء الأزهر ، أن زيارة المسلمين غير الفلسطينيين للأرض المحتلة حرام حسب الشرع المقدس ، وصرّح في فتواه التي نُشرت في جريدة «الشعب» القاهرية ، أن التعاون مع الكيان الصهيوني يعتبر معصية بسبب نزعته العدوانية ، كما أن زيارة المسلمين غير

خاصة أبناء بلده في مصر ، وله مواقف حاسمة ضد حكام الجور الذين تعاقبوا على دفة الحكم في أرض الكنانة ، كما أن له مواقف ايجابية إزاء الجمهورية الاسلامية في ايران ، وله مساعٍ للتقريب بين المذاهب .

وقف الشيخ الغزالي في خطبة صلاة عيد الفطر للعام الهجري ١٤١٦ ، التي حضرها مئة ألف مصلٍ في مسجد اتحاد المهندس المصري ، موقف الشجاع المستصدي واصفاً الحكام ورؤساء المنظمات المستسلمين للكيان الصهيوني بأنهم حمقى ، ولا يحصلون بتخليهم عن الاسلام على شيء ، وأنهم خانوا الاسلام والمسلمين في مواقفهم هذه ، كما فضح سياسة ياسر عرفات المتذبذبة ، وانجرافه مع التيار الاستسلامي الرامي إلى الاعتراف بالكيان الصهيوني والتنازل عن أرض فلسطين الاسلامية ، ووصفه بأنه خائن كبير للأمة الاسلامية ، وطالب المسلمين بالجهاد ضد الكيان الصهيوني بالخاص.

ورداً على هذا الموقف البطولي للشيخ الغزالي بدأ النظام المصري بحملة اعتقالات عشوائية في عدة مدن

واستنكر الدكتور القرضاوي اتفاقيات بعض الأنظمة العربية مع الكيان الصهيوني قائلاً : «إن اتفاقيات الكيان الصهيوني وبعض الأنظمة العربية لم تحلّ القضية الفلسطينية ؛ فالقدس ما زالت في قبضة الصهاينة ، حيث يدعى الصهاينة ملكيتها ، وما زالوا يقومون ببناء المستوطنات من حولها » . وهذا الموقف يعدّ نقطة تحوّل كبيرة لعلماء جامعة الأزهر ، وذلك سن أجل تحريض الأمة على الثورة والجهاد ، ورفض الاستسلام وإن فرض من قبل السلطات الحاكمة بقوة الحديد والنار .

حذر الشيخ القرضاوي ابناء الأمة الاسلامية من الانصياع إلى المشاريع والحلول المستوردة والتخلي عن الاسلام الذي فيه حلّ كلّ مشكلاتنا وعلاج كلّ أمراضنا ، وحثّ المسلمين على التمسك بدينهم الحنيف والالتفاف حول علماء الدين الذين بيدهم نجاة الأمة الاسلامية .

الشيخ محمد الغزالي رحمه الله

للشيخ الغزالي مواقف مشهودة في الدفاع عن المسلمين ووحدتهم ، وتأجيج جذوة الصحوّة الاسلامية في نفوسهم

علوم الفقه الاسلامي من جامعة الأزهر عام ١٩٤١م ، ثم تدرّج في وظائفه الدينية حتّى وصل إلى رئاسة الجامعة المذكورة . ومن مواقفه البارزة تصريحاته في عام ١٩٩٣م التي أشارت جدالاً في الاوساط الاسلامية والعالمية ؛ حيث أكد صحة حكم المحكمة بارتداد الكاتب حامد نصر أبو زيد .

■ السودان

بين المخاوف والآمال

يبدو أن حكومات الدول العربية السائرة في ركب السلام العربي - الاسرائيلي تسعى حثيثاً من أجل احباط مسيرة الرفض الجماهيري ، وتقويض دور الأمة في تقرير مصيرها . والسودان أحد الشواهد الحية على ذلك ؛ ففي حين يسعى التيار الاسلامي المتنامي لتحريك المسلمين ونيل تأييدهم للحكومة الاسلامية القائمة هناك ، يسعى أكثر من طرف لتشويش أذهان الشعب السوداني بوصف حكومته بالارهاب تارة وبالتطرف أو الأصولية أخرى . وقد حوصر هذا البلد المسكين من الخارج بمرجع خطير يتمثل بـ (مصر، وارتيريا واثيوبيا ، واوغندا) ، ويساهم بين آونة

مصرية ، طالبت (٤٦) شخصاً مؤيداً للإخوان المسلمين ، وفي وقت اداء صلاة العيد نفسه ؛ مما يشير إلى قلق النظام المصري وخوفه من علماء الدين وما يتركونه من آثار بالغة في نفوس الأمة الاسلامية ، خصوصاً فيما إذا اثاروا القضايا السياسية الحساسة كقضية فلسطين .

رحيل الشيخ الغزالي

في مساء السبت ٩/ آذار ١٩٩٦م أعلن عن وفاة الشيخ محمد الغزالي في الرياض ، حيث كان ذاهباً لإلقاء كلمة له في ندوة أُقيمت هناك حول «الاسلام والغرب» ، وودّع الدنيا ليدفن في المدينة المنورة ، تاركاً لأبناء الأمة الاسلامية أكثر من (٥٠) مؤلفاً في مجالات شتى من العلوم الاسلامية وأوجه الحياة المعاصرة ، وذكريات امتدت (٧٩) عاماً من الدعوة والارشاد الاسلامي لأبناء مصر والعالم الاسلامي .

لقد خلف رحيل الشيخ الغزالي فجوة في الساحة المصرية والاسلامية ، خصوصاً وأنه كان رئيساً لجامعة الأزهر .

حصل الشيخ الغزالي على شهادة

لصديقه المخلص وزميله في الدراسة ،
 وسمح لعسكريين سودانيين بالمرابطة
 على الحدود الاوغندية - السودانية
 لمراقبة تنفيذ الاتفاق بين الرئيسين ،
 الذي نصّ في قسمه الثاني على أن
 تتوقف الخرطوم بدورها عن دعم منظمة
 (جيش الرب) الاوغندية ؛ وهي منظمة
 مسيحية متطرفة تناهض الرئيس
 موسيفيني ، وتمتّع بنفوذ كبير في
 شمال اوغندا على الحدود مع السودان ،
 ممّا أدّى إلى سحق جبهة التمرد سياسياً
 وعسكرياً ، وتوجّهت الحكومة
 السودانية بعد ذلك لترتيب شؤونها
 الداخلية والخارجية . ولكن هذا الاتفاق
 لم يدم طويلاً لتدخل الاطراف المعادية
 الاخرى التي تخشى من امتداد الحالة
 الاسلامية السودانية .

ففي عام ١٩٩٥م فعّل المثلث
 المعادي (مصر ، ارتيريا ، اثيوبيا) دوره
 التأمري تتصدّره الحكومة المصرية ؛
 بغية اضعاف السودان وتقويض
 الصلوة الاسلامية التي يمكن أن تسري
 إلى البلدان المجاورة . كما أن المصلحة
 الاوغندية تستدعي نقض اتفاقية عام
 ١٩٩٠م ، واعادة العلاقات مع قوات قرنق
 التي تساهم بذورها بضرب المعارضة

وأخرى بإثارة النعرات الطائفية والفتن
 بتحريك عناصر معادية في الداخل ،
 واتباع سياسة الضغط والمحاصرة من
 الخارج .

ويظهر للمتتبع أن الحكومة
 المصرية تلعب دوراً خطيراً في هذا
 المضمّار ، وما زالت بإذلة قصارى
 جهدها من أجل إفشال التجربة
 الاسلامية في السودان ؛ كي لا تتكرر في
 مصر البلد الذي تلعب فيه الصلوة
 الاسلامية دوراً كبيراً ، وبات الاسلاميون
 ينافسون السلطة على كرسي الحكم ؛
 ولو أُتيح للانتخابات أن تأخذ مجراها
 الطبيعي دون تزوير ، لأصبح زمام
 الأمور بيد الاسلاميين ولأزيع مبارك من
 منصبه .

وقد حاول الزعماء السودانيون
 التقليل من شدة الحصار المفروض
 وكسر الطوق السياسي المناهض
 للتوجهات الاسلامية الصاعدة في هذا
 البلد تدريجياً ، ففي عام ١٩٩٠م استطاع
 الزعيم السوداني عمر البشير أن يُقنع
 الرئيس الاوغندي موسيفيني بسحب
 يده من مساعدة زعيم التمرد جون
 قرنق؛ وقد وافق موسيفيني على شروط
 الخرطوم فأوقف دعمه التاريخي

تحرش مصر في منطقة (حلايب) لفتح
ثغرة أخرى وإضعاف السودان عن صد
الهجوم الاوغندي .

هذا ما رددته ألسنة الصحف ، أما ما
يدور خلف الكواليس فهو أدهى و أمر ،
حيث يبدو أن هناك خطة أميركية تدعم
هذه الدول من أجل إسقاط الحكومة
السودانية ، وأد هذه الثورة التي جاءت
بما لم يحتمله اعداء الاسلام ؛ وقد بين
السنوسي (مساعد الأمين العام للمؤتمر
الاسلامي) في حديث له بتاريخ
١٩٩٥/١٢/٤م أن السودان يتعرض
للتحرشات من خلال ثلاثة محاور عبر
حدوده الشرقية والشمالية والجنوبية ،
بدعم ومساندة الولايات المتحدة
الأميركية لغرض اجهاض مشروعه
الحضاري .

أما المساعي الأخيرة للنظام
المصري فقد مكنته بمباركة أميركية من
استصدار القرار ١٠٤٤ من مجلس الأمن
في ٣١ / ١ / ١٩٩٦م ؛ حيث اعتبر القرار
السودان مسؤولاً عن عمليات الارهاب ،
ودعا الحكومة السودانية إلى تسليم
ثلاثة اشخاص متهمين بالتورط في
محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني
مبارك في اديس أبابا في حزيران

الاوغندية الموجودة على الحدود
الشمالية لأوغندا . وهكذا شككت اوغندا
زاوية في مربع خطير يحاول إحكام
قبضته على السودان ، مما دعا الحكومة
السودانية إلى دعوة الشعب السوداني
لاستنفار كل طاقاته البشرية والمادية
للدفاع عن نفسه ؛ وتكشف هذه التدابير
عن مخاوف سودانية من وجود اتفاق
سري بين اوغندا واثيوبيا وأرتيريا
ومصر ، لفتح جبهات طويلة مع الحدود
السودانية تبدأ من حلايب - على البحر
الأحمر - حتى اوغندا ، وتترافق مع دعم
التمرد والمعارضة السودانية بهدف
إسقاط النظام وتفتيت الدولة .

لقد ساهم كل من هذه الدول الأربع
بتأدية دوره المرسوم له بحسب طاقته ؛
فالعلاقات بين أثيوبيا والسودان شهدت
توتراً منذ محاولة اغتيال مبارك، حيث
تزعم أديس أبابا أن الخرطوم قد تورطت
في هذه المحاولة .

وفي الهجوم الاوغندي الذي اجتاحت
جنوب السودان لمساعدة المتمردين
ضد الحكومة السودانية ، شاركت
ارتيريا بالدبابات والأسلحة الثقيلة . في
حين شاركت مصر بنقل هذه المعدات
بواسطة طيرانها الحربي ؛ إضافة إلى

استمرّ بتحكيم الدستور الإلهي ، وأبعد نفسه عن أساليب التضليل والركض وراء السراب ؛ فإن الصحوة التي تجتاح عالمنا الاسلامي خير سند للسودان ولكل التواقين لتحكيم الاسلام في الامة من جديد ، بل هي إنذار للحكومات الظالمة بالانهيار والزوال وهو وعد الله للمجاهدين في سبيله ﴿ ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ﴾ .

ولقد سعت السودان لاثبات هويتها الشعبية ردّاً على هذه المؤامرات فبادرت لاجراء الانتخابات الرئاسية والبرلمانية، وبذلك قوّمت كيانها بارادة الشعب واعطته ثقةً وزادته تعلقاً بحكومته ، ممّا بدّد المطامع المصرية والاستكبارية الرامية إلى فصل الشعب عن الحكومة واتّهامها بالإرهاب .

على الرغم من هذه الضغوط من دول الجوار والاستكبار ، تسعى دولة السودان للانفتاح على دول العالم الاسلامي وإقامة علاقات حسنة معها ؛ لأنها ترى - كما جاء على لسان الأمين العام للمؤتمر العربي الاسلامي الدكتور حسن الترابي - أن لها دوراً مستقبلياً سوف تلعبه في ترتيب شؤون

١٩٩٥م ، ولكن الحكومة السودانية واجهت الحدث بصبرٍ وثبات وراحت تردّ بأعصاب باردة وحجّة قوية ؛ فقد جاء على لسان وزير خارجيتها أن بلاده «ستدرس بدقّة الجوانب السياسية والقانونية للقرار» ، كما أعرب ممثل السودان لدى الأمم المتحدة عن اعتقاده بأن قضية القرار مسألة معدّة سلفاً ضدّ السودان ؛ لأنه تمرّد على الخطوط التي رسمها النظام العالمي الجديد ، وأوضح أن بلاده « وضعت كل الاحتمالات في الاعتبار ، وهي مستعدة لأيّ تصعيد ؛ فالسودان غير قلق من احتمال فرض عقوبات عليه ، وهو واثق من خطواته » .

أمّا الصحف السودانية فقد ندّدت بالحكومة المصرية ، واعتبرتها عاملة ضد مصالح الشعب السوداني ، وتحاول تعكير العلاقات بين البلدين ؛ فقد كتبت صحيفة (السودان الحديث) الحكومية : «إن النظام المصري بتحريضه المجتمع الدولي على الوقوف في وجه السودانيين يُشثير عداء الشعب السوداني ضدّ الحكومة المصرية لأجيال عدّة» .

ويبدو رغم كل هذه المؤامرات أن السودان مقلّب على مستقبل زاهر يضمن له سعادة أبنائه حكومةً وشعباً ، إذا ما

بين هذه وتلك ، حتى كادت تذروه مع
السنين المتتالية على رمال التحضر
المزعوم في عالم التيه والتصحّر
الروحي . ومع اشراق القرن العشرين
على الانتهاء ، دبّت الصحوة في جسد
الأمة الاسلامية وراحت الجماهير تكسر
أطواق الصمت وتهدم أسوار الظلم
وترفع أغشية الوهم ، وتنفض غبار
السنين العجاف فكشف عنها غطاؤها
فبصرها اليوم حديد ، فراحت تسعى إلى
النور المحمدي الأصيل لتروي ظمأ
قلوبها المتيسسة ، فعمّها الخصب وأنبتها
الله نباتاً حسناً .

وتركيا لها تاريخ عريق وجذور في
عمق التربة الاسلامية ، حاول أتاتورك
قبل أكثر من سبعين عاماً قطعها والتعلّق
بأذيال الحضارة الغربية ، فكانت بداية
الانحراف والسقوط في احضان
الاستكبار الذي راح يلحق دماء الأبرياء ،
دون وازع من ضمير أو خوف من
مواجهة ، ويزرع بذور النفاق ويملي
أفكاره على أبناء الاسلام في تركيا ، حتى
وصل بهم المطاف إلى أن بُدلت حروف
لغتهم إلى اللاتينية وأصبح اللباس
الاسلامي عملة نادرة بل محظورة في
ذات الواقع المعاش ولم يُصدّر إلى تركيا

المسلمين؛ لتكون قاعدة مخ ايران
الاسلامية لكل مسلمي العالم . وقد امتدح
الدكتور الترابي الثورة الاسلامية في
ايران ومنجزاتها ، وقال : «ايران
والسودان هما قاعدة الاسلام ، وهذا ما
يشكّل خطراً على أعداء الاسلام ، الأمر
الذي سيجعلهم يحاولون ضرب
البلدين» مشيراً إلى الأخطار التي ينبغي
أن يحسب لها حسابها .

ومن المتوقع أن تكون هناك مساعي
بين البلدين لتبني مشروع وحدوي
لاستقطاب الدول الاسلامية ، كما أن
هناك حركات اسلامية وتحررية في دول
العالم الاسلامي تدعو إلى الانفتاح على
ايران ، واقامة علاقات طيبة معها لما لها
من دور ريادي مستقبلي في مواجهة
الخط الاستكباري ، ممّا يُبنى بمشروع
وحدوي كبير ، فيما إذا حدثت تغييرات
متوقعة في الأنظمة القائمة في المنطقة
اثر الصحوة الاسلامية المطالبة بإزالة
حكم الطواغيت .

✻ تركيا

أمل الصوحة إلى عز الاسلام

عصفت الأفكار العلمانية بالعقل
التركي وشرقت وغربت به وهو يتأرجح

يشكل المسلمون ٩٩/٢٪ منهم، ولهذا لم تجد الأفكار العلمانية التي جاء بها أتاتورك في مطلع الثلاثينيات من هذا القرن أرضاً ملائمة لتخترق جسد الأمة - وإن مكثت هنيئة -، بل إن الصحوۃ الاسلامیة التي اجتاحت تركيا تهدد بقطع جذور العلمانية الاتاتورية والقائما في مزبلة التاريخ، بعد أن أدرك أبناء تركيا أن لا حياة بلا دين . ولكن الغريب هو القلق الأميركي والصهيوني والغربي، حيث بدأ كلٌ يعمل على شاكلته من أجل إحباط دور حزب الرفاه وتشيتيت قواه ، كما فُعل بالأمس القريب في الجزائر .

لقد انتهت الجولة الانتخابية في تركيا في نهاية عام ١٩٩٥م بحصول حزب الرفاه الاسلامي بزعامة اربكان على نسبة ٢١/٣٢٪ من الأصوات المنتخبۃ ، حيث نال مركز الصدارة بـ ١٥٨ مقعداً من أصل ٥٥٠ مقعداً في البرلمان التركي الجديد ، وقد جاء في المرتبة الثانية حزب الطريق القويم بزعامة يلماز حائزاً على نسبة ١٩/٦٥٪ من الأصوات ، وكاسياً ١٣٥ مقعداً في البرلمان المذكور ، في حين جاء حزب الوطن الأم بزعامة تشيللر بنسبة ١٩/٢٠٪ من الأصوات ، و ١٣٢ من

من حضارة الغرب سوى التحلل الخلقي وعزل الدين ، وتمت علمنة الدوائر الحكومية تمهيداً لعلمنة الشارع التركي ووسمه بالصبغة الغربية .

ومرت الأيام وتركيا في سبات عميق، وهي تعوم في بحرٍ لحيّ ، فكان لزاماً على الانسان المؤمن أن يفكر في الخروج من هذا المأزق الخطير ، فتضافرت الجهود الخيرة ، وكان الشاهد الحيّ أن تصدر حزب الرفاه الاسلامي الموقع الأول في الانتخابات التي أجريت نهاية عام ١٩٩٥م ؛ حيث فاز بأغلبية الأصوات ، معلناً صرخة الضمير التركي: نعم للاسلام والوحدة ، لا للعلمنة والفرقة .

عقبات الطريق

ليس غريباً أن يفوز حزب الرفاه الإسلامي في زمن الصحوۃ واليقظة التي عمت أرجاء الأمة الاسلامية، بل لم يكن ذلك سوى دعوة لتنقية الفطرة الانسانية من ادران الافكار المستوردة؛ كي ترى النور المحمدي الأصليل: فتركيا البلد الثاني بعد اندونيسيا من بين البلدان الاسلامية من حيث نسبة المسلمين، حيث يبلغ عدد سكانها (٦٠) مليون نسمة

الدينية واتّصالهم بالمجموعات الإسلامية ، كذلك ظهرت للعيان بعض الحشريات من قبل رئيس الأركان في الجيش التركي - وهي دعوة خبيثة لفصل الجيش عن الشعب - ؛ حيث هدد مرتين خلال أسبوع واحد حزب الرفاه الإسلامي بعد فوزه من أي محاولة لتغيير الاتاتورية وطالب بالإبقاء عليها، علماً أن الانتخابات كانت حرة ولا يحقّ له أن يتفرد برأيه .

أمّا الاسرائيليون فقد طفحت تصريحاتهم بالعداء ، حيث عبّر رئيس وزراء الكيان الصهيوني شيمون بيريز عن قلقه قائلاً : « نتابع بقلق تعزيز التيار الأصولي في تركيا » .

وقال أيضاً : « نأمل أن تبقى تركيا دولة علمانية على خطى أتاتورك » .

ويبدو أن حزبا الطريق القويم والوطن الأم أعارا سمعهما هذه التصريحات ، وطلبا من اسرائيل مذهباً بنص الاتفاق الذي أتاح تعاقب حزب (العمل) الاسرائيلي وتجمع (الليكويد اليميني) في الحكم بين عامي ١٩٨٤م و١٩٨٨م ، ولكن ممّا يعيق ائتلافهما هو عدم اكمالهما النصاب الرسمي ، حيث تبلغ مقاعدهما ٢٦٧ مقعداً ، مما يعني

المقاعد ليحصل على المرتبة الثالثة . أمّا الأحزاب الأخرى فقد حصلت على مقاعد قليلة كان أكثرها ٧٥ مقعداً لحزب اليسار الديمقراطي (قومي الاتجاه) ؛ ولهذا فإن باقي الأحزاب لم يدخل قائمة المنافسة على تشكيل الحكومة ، وإن استحق بعض المقاعد في البرلمان .

ولم يكن ممكناً حسب الدستور التركي لأيّ حزب من الأحزاب الثلاثة المتنافسة تشكيل حكومة بمفرده ، حيث يشترط أن يكون الحزب حائزاً على ٢٧٦ مقعداً ولو بطريقة ائتلافية مع أحزاب أخرى ، وإن كانت أعرافهم تقتضي الإيعاز إلى زعيم الحزب الأكثر أصواتاً بتشكيل حكومة بالائتلاف مع أي حزب شاء ؛ وهذا ما دعا أن تتضاعف الجهود الأميركية والاسرائيلية والغربية لاحتواء الأحزاب العلمانية ، ودعوتها للائتلاف فيما بينها وترك الائتلاف مع حزب الرفاه الإسلامي للوقوف حائلاً أمام تشكيله حكومة جديدة .

ولابدّ من الإشارة إلى أن بعض هذه الجهود قد سبقت الانتخابات ، ففي بداية تشرين الثاني - أي قبل إجراء الانتخابات بأسبوعين - تمّ طرد ٤٣ من الضباط والمراتب من الجيش التركي لميولهم

أن يعيش الشعب التركي المسلم خمس سنوات قادمة تحت هيمنة حكومة مهزوزة، تراوح رئاستها بين حزبي (الوطن الأم والطريق القويم)، وستأتي الأيام بما هو غائب عن الأبصار.

ومع كل الافتراضات والتوقعات لما سيراه الشعب التركي المسلم تبقى آماله معقودة بحزب الرفاه الاسلامي، على أن يعدل بعض القوانين ويعمل من أجل المواطن التركي، إلى أن يأتي اليوم الذي يصل فيه إلى موقعه المرجو له، لتعيش تركيا حياة الكرامة والعزة في ظل الاسلام العزيز.

■ المسلمون في اميركا

اليه السوداء، تصفع البيت الأبيض

لم تكن الصواريخ العابرة للقارات أقوى من العقيدة الراسخة، ولا الأقمار الصناعية أبلغ من الكلمة الصادقة، في عالم بات يقضم حقوق البشر بأنياب أميركية، ويمزقها بمخالب صهيونية، وهو يدور في فلك النظام الأميركي الجديد بأناس مسلوبي الإرادة مشتتي القوى. في كل موطن قدم لها نائحة على دم مسفوك أو شرف منتهك أو حق مضيع. لم يكن غرور فرعون ليقفل

احتياجهما إلى ٩ مقاعد، وهذه المقاعد التسعة سوف تحدث لهما مشكلات لا يمكنهما تجاوزها بسهولة، ولو اختلف أحدهما مع الرفاه لحلت الأزمة.

ومما ينبغي ذكره أن زعيم حزب الرفاه الاسلامي اربكان حاول اقناع يلماز وتشيللر فيما بعد بتشكيل حكومة ائتلافية، فامتنع الطرزان مما دعاه إلى سحب يده وترك الأمر لمن يليه في الأصوات. وهكذا عجز يلماز وتشيللر - كل في دوره - من اقناع أحدهما الآخر بتشكيل حكومة ائتلافية، واستمر الحال قرابة ثلاثة أشهر دون نتيجة، إلا أن المساعي المحمومة من أميركا وبعض الأطراف العلمانية والجيش، حاولت الضغط على يلماز وتشيللر لتشكيل حكومة ولو مهزوزة، لزعزعة الاسلاميين وابعاد حزب الرفاه من تأدية دوره المطلوب، والوقوف حائلاً دون إعادة الانتخابات التي لو أُعيدت لكانت لصالح الرفاه قطعاً. ولكن الموازين ما زالت لصالح الرفاه حيث إنه يمتلك ١٥٨ مقعداً في البرلمان التركي، يمكنه من خلالها معارضة أي قرار يمس بكرامة المواطن التركي، أو يتعرض بالإساءة للدين الحنيف. وسيؤدي هذا الأمر إلى

الاسلامية الكبرى المرتقبة ، فأيقظ الأمة
الاسلامية من سباتها ، وبُهِتَ الذي كفر .
زار لويس فرقان عدّة دول اسلامية
منها تركيا ، حيث التقى زعيم حزب
الرفاه الاسلامي ، وليبيا والعراق وبعض
الدول الاسلامية ، ونحن نتناول هنا
زيارته للجمهورية الاسلامية في ايران .
يتحدث لنا زعيم حركة «أمة
الاسلام» عند زيارته لمؤسسة كيهان
للصحافة فيقول : « إن إيماننا بالله هو
سبب شجاعتنا ووقوفنا بكل صلابة
أمام الآخرين في الولايات المتحدة ،
بينما يعتبر البعض من سياسيين الدول
الاسلامية واشنطن وكلينتون قبلتهم » .
وعندما سُئل عن «سلمان رشدي»
صاحب كتاب «آيات شيطانية» ، قال
بسخرية : «إن سلمان رشدي انسان
حقير لا يستحق أن أفكر به » .

أمّا عن تنبؤاته عن مستقبل
المسلمين في أميركا وغيرها من الدول
غير الاسلامية فقد قال زعيم حركة «أمة
الاسلام» : « إن الغرب ولا سيما أميركا
على وشك السقوط ، وإن الله سيمنح
المسلمين شرف اسقاط هذه الحكومة
الظالمة ، ولن يتم هذا السقوط على يد
أوروبا أو اليابان ، بل سيتكفل الله

موسى عليه السلام في المهدي ، أو يمنع امرأة
صالحة من أن تعيش في بيته ، فالمشيئة
الإلهية واليد الغيبية التي تسيّر العالم لها
الأثر البالغ في صحوه الضمير
الإنساني ، وهي تمهّد لظهور ولي الله
الأعظم وخليفته في أرضه (عج) .

لا يكاد يصدق الانسان المسلم
المتابع لأعمال أميركا الاجرامية
وأفعالها الخبيثة ضد المسلمين في كل
أرجاء العالم ، بل ضد البشرية جمعاء ،
عندما يسمع أن هناك أكثر من (٦)
ملايين مسلم أميركي يعيشون في
أميركا نفسها متحدّين أعتى طواغيب
العصر الحديث ، وهم يقيمون طقوسهم
الدينية ، ويمارسون عباداتهم الشرعية
بالرغم من كل الضغوط الاميركية
وأساليب التخليل والتشويه التي
تُمارس ضدهم .

و«لويس فرقان» أحد المسلمين
السود في أميركا ، وزعيم حركة «أمة
الاسلام» ، زار الجمهورية الاسلامية في
ايران بمناسبة عشرة الفجر ، الذكرى
السابعة عشرة لعودة الامام الخميني عليه السلام
واضعاً أول خطوة على أرض بلده الذي
ولد فيه بعد فراق دام (١٥) سنة ، معلناً
عن إقامة دولة اسلامية هي نواة الدولة

كلماته أن بعض سياسيي الدول
الاسلامية يعتبرون واشنطن وكلينتون
قبلة لهم ، أفلا ينبغي لأولئك الخونة الذين
يجلسون مع الصهاينة الغاصبين على
طاولة واحدة ، ويصافحونهم على
قراراتهم الدرامية إلى قتل الروح الثورية ،
ألا ينبغي لهم أن يعوا وتحملهم الغيرة
على شعوبهم ليصرخوا بمستوى ما
صرح «بيرنز» من أن الجلوس مع الذين
تلطخت أيديهم بدماء المسلمين أمر
معيب ؟! ولكن أئن لهم ذلك ؟!

نعم ، سيأتي المد الإسلامي عن
قريب ، وستتهزّ عروش الظلمة
بصرخات التكبير التي هي أقوى من
القنابل الذرية ، وستعلو راية الاسلام في
كلّ شبرٍ من أرض المسلمين ؛ فما زالت
جيوش الحسين عليه السلام معبأة ، وما زالت
الدماء تسقي الشجرة المحمدية لتتفتأ
ظلالها من جديد ، فديننا محمدي الوجود
حسيني البقاء . ومن الجميل الهادف
دعوة آية الله جنتي لويس فرقان للاطلاع
والتمعن في سيرة الامام الحسين عليه السلام
وثورته .

سبحانه وتعالى أمر هذه الدولة
وسيبيدها بنفسه « مذكراً بانتهاء دور
الشيوعية وسقوطها في هاوية اللاعودة.
هذا وقد اهتزّت اركان البيت الأبيض
وأضحى يمحج بأهله ، وكأن لويس
فرقان لم يكن رجلاً مسلماً كبقية رجالات
الأمّة الاسلامية التي تضمّ بين جنبيها
آلاف الرجال العظام ، فارتعدت فرائض
الحكومة الأميركية ، وراح المتحدث
باسم وزارة الخارجية «نيكولاس
بيرنز» يردّ على تصريحات فرقان
بصوتٍ ملؤه القلق ، لينشر في صحيفة
«واشنطن بوست» مصرحاً أن مجرد
وقوفه إلى جانب هؤلاء الملوثة أيديهم
بالدم الأميركي يعتبر عملاً معيباً ، وأنه
صادق الطغاة «الذين يدعمون الارهاب»
- يقصد الجمهورية الاسلامية - ، إلى غير
ذلك من التصريحات التي تعبّر عن القلق
الأميركي ازاء زيارة بسيطة قام بها رجل
مسلم إلى دولة اسلامية تحكم بما أنزل
الله ، فكيف بهم إذا أعلنت الوحدة بين
أبناء الأمّة الاسلامية ، وتكاتفت القوى ،
ودقّت أجراس الثورة الاسلامية الكبرى
في أنحاء بلاد المسلمين ؟!

ومن الجدير ذكره أن زعيم حركة
«أمّة الاسلام» لويس فرقان ذكر في

العقد أهل في سياسة الصدا، الأميركيين المسلمين

تحاول أميركا بين الحين والآخر إيذاء المسلمين والاساءة اليهم بأية طريقة ممكنة ؛ فمرة بالتمسك بكرامة القرآن الكريم ، وأخرى بتشويه سمعة نبي الاسلام العظيم ، كتأييدها ودعمها للكاتب المرتد «سلمان رشدي» ، وثالثة باستهداف أبناء المسلمين شعوباً كانوا أو جماعات أو أفراداً ، وتصيب كلّ جهودها من أجل إهانة علماء الاسلام وتوهين دورهم الريادي ، لما تعلمه من تأثيرهم الكبير في الاوساط الاجتماعية . حتى محاكم القضاء الأميركي التي يفترض فيها الاستقلال في القرار لا تعدو أن تكون ببغاء تردد ما يلقنها أصحاب القرار الأعلى في البيت الأبيض ، ولم يعد لها دور يذكر ، خصوصاً فيما يتعلق بالقضايا السياسية وشؤون اللاجئين ؛ ومصادق ذلك الحكم القضاء الأميركي الجائر على الشيخ عمر عبد الرحمن المرشد الروحي لمنظمة «الجماعة الاسلامية» وتسعة آخرين من جماعته بعقوبات مشددة تراوحت بين السجن مدى الحياة والسجن (٢٥) سنة . وتفتية للجريمة الأميركية بالتعدي

على علماء المسلمين ، ومحاولة للحد من نيلهم المكانة الاجتماعية ، كي لا يوقظوا الشعوب المستضعفة من سباتها ، قال القاضي الاتحادي «مايكل موكازي» قبل تلاوة الحكم على الشيخ عبد الرحمن : «أنت متهم بالتآمر الارهابي وبتهريض آخرين على القيام بأعمال لو تم تنفيذها لسببت دماراً يفوق حجمه التصور» .

وهذا أمرٌ مبهم لا يستوجب الحكم عليه بالسجن مدى الحياة ؛ إذ كيف يدان المتهم على أعمال لم تقع ؟ وعلى أسوأ الفروض كيف يدان المدعى عليه على النوايا لو صحت ؟ وهل هذا إلا أسوأ صور الظلم الذي لم تقع فيه حتى محاكم أوربا في القرون الوسطى .

أما الشيخ عبد الرحمن فقد وقف بكل صلابة قائلاً : «إنني أدفع ثمن تمسكي بالاسلام ودفاعي عن حقوق المسلمين» ، وتحديث مدة ساعة و«٤٥» دقيقة دون أن يتمكن القاضي من منعه ، كما فعل بالمتهمين الآخرين ؛ إذ لم يسمح لهم بالتحدث أكثر من ساعة واحدة فقط حداً أعلى .

وقال الشيخ عبد الرحمن في صدد المؤامرة الأميركية لحجبه عن المجتمع وخنق صوته الاسلامي : «إن أميركا

تريد قتلي تدريجياً بإصدارها حكماً بالسجن مدى الحياة ضديّ»، وأضاف موجهها الكلام إلى مؤيديه: «لا تبكوا من أجلي، وإن الله أكبر من الظالمين، وهو الذي سينتقم منهم... نحن لا نخشى الشهادة في سبيل الله وفي سبيل قضايانا المقدسة».

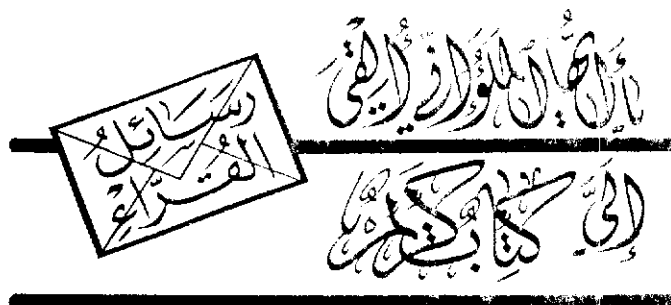
لقد خشيت أميركا بالرغم من جبروتها من رجل ضريع لا يملك سوى الايمان بالله تعالى وهذا ما يدعو المؤمنين، بل أبناء الأمة الاسلامية

جميعاً، لأن يقيموا نظرية الاستكبار ويعرفوا اساليبه في مواجهة الاسلام وحركته الرائدة، وأنه يوجه اعماله ودعواته الكاذبة؛ كي يلمّوا شتاتهم ويوحّدوا صفوفهم، ويقفوا في ميدان الصراع العقائدي وقفة رجل واحد، ليقطعوا أيادي الاستكبار الممتدة في وطننا الاسلامي، ويعلموا كلمة الله ويطبقوا حكمته في كل شبر من الأرض الاسلامية العريضة، التي جعلها الله تعالى مركز اشعاع فكري لبني البشر.

قال الإمام الخميني عليه السلام :

عَالِي الْمَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا
بِزَمَانِهِ مُقْبِلًا عَالِي شَأْنِهِ
حَافِظًا لِلِسَانِهِ .

بحار الأنوار ٧١ ص ٣٠٧



باب ننتفح منه على عوالم قراء مجلة «رسالة الثقليين» بكل ما تزخر به هذه العوالم من آراء . فتكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلتهم فكرياً وثقافة ومعرفة . وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة :
«للتحرير»

● «رسالة الثقليين»

تتصدى للتعريف بأحوال المسلمين

إني منذ فترة اتابع مجلتكم المباركة التي تحمل عنوان (رسالة الثقليين) ، وهي تحوي مجموعة جيدة من المقالات الاسلامية والسياسية والاجتماعية ، وتنقل لنا احوال العالم الاسلامي والمآسي التي تمر بها الأمة الاسلامية ، ونشاطات الدولة الاسلامية المباركة في ايران ودورها الرائد في تصعيد المد الاسلامي الصحيح والشامل امتثالاً لأمر الله تعالى ، كما تنقل لنا الكثير من

المعلومات التي غالباً ما تفوت أو تخفى علينا ، من اقوال وحكم ومواعظ وتفسير واحاديث وروايات عن الرسول ﷺ وأهل البيت  وصور من سيرتهم المباركة وسيرة اتباعهم من علماء ورواد جهاد ، رحم الله السالفين منهم وادام في عمر الباقين . هذا وإنني اطمح في أن احوي اعداد مجلتكم الكريمة في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى .

عباس سلمان الاصمعي
ايران - دزفول

* * *

• ندعوكم للمساهمة

توجيهاتكم السديدة

أرجو من سعادتك الموافقة على إرسال مجلتكم الغراء على عنواننا عن طريق التبادل .

وبهذه المناسبة يطيب لي أن أوجه إلى سعادتك الدعوة الحارة للإسهام في مجلتنا بكتاباتكم في الفكر الاسلامي وشئون المسلمين والعمل الاسلامي ، وكذلك تقديم توجيهاتكم السديدة لنا لتحسين مجلتنا قلباً وقالباً ؛ ليكون هذا التبادل الفكري والاعلامي جسراً اسلامياً يربط بين عالمنا والعالم العربي إن شاء الله . وأدعوا الله العلي القدير لكم بالنجاح والسعادة . ولكم خالص تحياتي.

د. كوثر اليزداني

رئيس التحرير لمساعد لمجلة الدعوة

للحركة الاسلامية في الهند

• • •

• « رسالة الثقلين »

عطاء كريم

قبل كل شيء اتمنى لاسرة مجلة (رسالة الثقلين) الغراء التوفيق والسداد. واحب أن اعلمكم بأن هناك جالية عراقية مسلمة في مدينة ليدز في

بريطانيا ، حيث أقيم هناك ، وهي بحاجة إلى الكثير من المصادر الاصيلة للفكر الاسلامي ، خصوصاً المجالات الثقافية والفكرية ، وهناك مكتبة اسلامية عامة في مركز دار أهل البيت (عليه السلام) ، وهي تحتاج إلى من يمدّها بالعون الثقافي والمعنوي ، ونتطلع إلى الجمهورية الاسلامية في ايران بصفتها مصدراً اصيلاً لنشر الثقافة والفكر الاسلامي من وحي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، كما أن لنا املاً كبيراً أن تساهموا في تزويد مكتبتنا بمجلة وكتاب الثقلين وغيرهما من عطاءات كريمة تساعدنا في تطوير نشاطنا الاسلامي ، وتعميق الوعي الرسالي والفكري لأبنائنا . ولكم مني ومن هيئة دار أهل البيت (عليهم السلام) جزيل الشكر وخالص الدعاء .

يحيى محمد

مركز دار أهل البيت (عليهم السلام)

• • •

• « رسالة الثقلين »

تساعدنا في الرد على

شبهات الاعداء، حول الاسلام

إن لمجلة (رسالة الثقلين) الغراء الاثر الكبير في تصحيح الكثير من

المجلة ، ولا بأس أن تنطرقوا إلى
مسألة التقية والرد على الشبهات التي
تحوم حولها وبقيّة المسائل الأخرى
التي تهم المسلمين .

حيدر الحلي
للمكتبة الإسلامية - مالمو - السويد

* * *

« رسالة الثقلين » رعد عظيم

استلمت بكل شوق وتقدير هديتكم
المباركة ، وهي مجلة (رسالة الثقلين)
وملحق الثقلين للأطفال . واغتنم هذه
الفرصة لأقدم لكم شكري ، وقد شكرت
الله قبل ذلك لتوفيقى للتعرف عليكم من
خلال مجلتكم واصداراتكم .

اخوتي المجاهدين في سبيل الله ،
ارجو منكم أن تستمروا بإرسال
مجلتكم ، وأن لا تنسونا ولا تحرمونا
من هذا الفيض العظيم الغزير والمنبع
الصافي الإلهي المحمدي . ونسأل الله
عزّ وجلّ أن يتقبل منكم هذا العمل
المبارك إنه لا يضيع اجر العاملين .

واخيراً ندعو لكم بالتوفيق وبلوغ
درجات الكمال فيما تقدمون من
خدمات لمدرسة أهل البيت (عليه السلام)
ولأتباعهم والسائرين على خطاهم ،
ولكل الأخوة الذين ساهموا في هذا

الآراء والأفكار المنتشرة بين المسلمين
حول مذهب أهل البيت (عليه السلام) ؛ فنحن
بحاجة إلى معلومات ومواضيع جديدة
تساعدنا في الرد على الشبهات
والشائعات الباطلة التي يبثها أعداء
المسلمين والمناوئين لمدرسة أهل
البيت (عليه السلام) ، والتي أخذت طريقها إلى
أذهان بعض المسلمين منذ زمن طويل ،
وما زالت تجد من يروج لها ويبثها في
أيامنا هذه لنشر الفركة بين المسلمين .
لقد وجدت في رسالة الثقلين بغيتي
حيث عازمت على نشر بعض المواضيع
المهمة التي يجب أن تثار لإزالة ما علق
في أذهان بعض المسلمين من
الشبهات ، مثل مسألة تحريف القرآن
الكريم ومسألة البداء وغيرها ؛ وقد
انطلقت في هذا المجال مستفيداً من
رسالة الثقلين ، ونشرت كراساً حول
التعريف مستعيناً بأحد مقالات
العديدين الخامس والسادس من
مجلتكم ، وإن شاء الله سيصدر
الكراس الثاني تحت عنوان البداء عند
الشيعة . وإني أرجو منكم أن تستمروا
في الرد على الشبهات على صفحات
مجلتكم المباركة في باب شبهة ورد ،
وأن يبقى هذا الباب مفتوحاً مادامت

● «رسالة الثقلين» خستفيد منها

كثيراً في مباحثاتنا العلمية

(رسالة الثقلين) مفيدة جداً ، ونحن نستفيد منها كثيراً خلال مباحثاتنا العلمية ، ونأمل منكم مزيداً من الاهتمام في مباحث علوم القرآن الكريم وتفسيره لحاجتنا الماسة إليها ، ولفائدتها العظيمة لنا .

أسأل الله لكم مزيد التوفيق لنصرة الاسلام ونشر علوم أهل البيت (عليه السلام) .

سيد ظفر ياب حيدر
الهند

* * *

● «رسالة الثقلين» مرموقة

ومتميزة بين المجلات الاسلامية

يطيب لي أن أتقدم اليكم بتحية الحب والاخوة الاسلامية ، شاكراً لكم هديتكم الثمينة وهي مجلة (رسالة الثقلين) ؛ ولا يفوتني أن اسجل شكري وتقديري واحترامي لجهودكم المخلصة والخيرة المبذولة في سبيل نشر ثقافة ومنهج أهل البيت (عليه السلام) ، وإعلاء كلمة الاسلام المحمدي الاصيل من المنبع الاصيل الصافي «القرآن والعقيدة الطاهرة» ، سائلاً الباري جل جلاله أن يبارك لكم اعمالكم في الدنيا ،

الرفد العظيم متمنين لهم النجاح والتوفيق والسعادة والسداد في خطواتهم المباركة على نهج الاسلام العظيم .

موسى علوش
هولندا

* * *

● قرأت «رسالة الثقلين»

فعمررتني بها

احيطكم علماً أيها الاخوة في الله بأنني منذ أن اطلعت على مجلتكم الغراء (رسالة الثقلين) تفتحت امامي آفاق جديدة من الهداية ، وشعرت بأثر مطالعة موضوعات مجلتكم في نفسي ؛ لذا ارسل لكم هذه الرسالة طالباً منكم أن ترسلوا لي جميع إصداراتكم .

اخوتي في الله ، لا أبالغ إذا قلت لكم: إنكم مصداق قوله تعالى ﴿وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ ؛ فجزاكم الله خير الجزاء . اطلب منكم ارسال الكتب التي تطرح مبادئ مدرسة أهل البيت (عليه السلام) .

ادريس عبد القادر
مالي

* * *

ارسال هذه الاصدارات وملحقاتها تابع
من العلاقة الرسالية ومبدأ التواصل
الاسلامي القائم بيننا .

صادق بحر العلوم

أميركا

* * *

● (الفتى) ملحق

« رسالة الثقلين » تثير عواطف

الاطفال ويزيد من حماسهم

إن مما لا شك فيه أن طالب العلم
يبحث دائماً عن شيء من الثقافة
الاسلامية يشبع به طموحه للمعرفة
وينير عقله ، وقد اطلعت على مجلتكم
الغراء وأعجبت بها لما تحتويه من
مقالات ومواضيع علمية واخلاقية
وادبية اسلامية ، كما أنني اطلعت على
(الفتى) ملحق مجلة (رسالة الثقلين)
للاطفال ، فوجدتها مجلة تثير عواطف
الاطفال وتزيد من حماسهم وتوجههم
نحو الاسلام ؛ فأشكركم على ما
تقدمونه من جهود مضيئة لنشر الفكر
الاسلامي ورفع راية الدين ، كما أرجو
منكم أن تستمروا في ارسال مجلتكم
لي ، وأن تعتبروني صديقاً دائماً .

اسماعيل سوري

جمهورية مالي

وأن يمنحكم الاجر والثواب في الآخرة
إنه سميع مجيب .

ولا نبالغ إذا قلنا : إن مجلة رسالة
الثقلين تعتبر المجلة الاسلامية
المرموقة والمتميزة بين المجالات
الاسلامية . كيف لا وكتّابها هم من
صفوة علماء مدرسة أهل البيت
ومفكرها ، وموضوعاتها جاءت
جامعة ملبية لما يحتاجه المسلم في
عصرنا هذا .

صادق السوداني

القوات الاسلامية العراقية

المربطة / العراق

* * *

● خطابكم جموالة ارسال

مجلة « رسالة الثقلين »

نشكركم على التفاتكم الكريمة
بإرسال مجموعة من اعداد مجلة
(رسالة الثقلين) ، ويدعونا الرغبة لطلب
المزيد من الكتب النافعة ، واللاحاق في
التكرم بالاستمرار بإرسال المجلة
وغيرها من اصداراتكم وملحقاتها ،
كالبوسترات واللوحات الاسلامية
الهادفة الصادرة عن مجلتكم ؛ حيث إن
فائدتها لشبابنا ذات اثر كبير .

إن رجاءنا ونحن نطلب منكم

● «رسالة الثقلين»

لنساعدنا في الدعوة والتبليغ

لرسالة الاسلام الاصيل

أحييكم تحية اسلامية واقول لكم :
إننا من اتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في
بوركنافاسو ، حيث نطلب منكم أن
ترسلوا لنا مجلة (رسالة الثقلين)
وملحقاتها وغيرها من الكتب
الاسلامية، وخصوصاً الكتب التي
تبحث في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وأهل

بيته الطاهرين عليهم السلام ، وثبتت حقهم
وتبيين فضائلهم وتعرّف بمعالم
مدرستهم الاسلامية الاصلية ، ترسيخاً
لعقيدتنا والتمسك بافكارها الاصلية ؛
ليكون ذلك مناراً ووسيلة لنا في الدعوة
والتبليغ لرسالة الاسلام الاصيل.

الاستاذ يوسف ويدراغو
(بوركنافاسو)

* * *

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

رَدُّ جَوَابِ الْكِتَابِ وَاجِبٌ
كَجُوبِ رَدِّ السَّلَامِ ، وَالْبَارِئُ
بِالسَّلَامِ أَوْلَى بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

المجلد ٢ : ص ٦٧٠

رسالة الثقلين
مجلة إسلامية جامعة

قسمية
الاشتراك

الاسم

العنوان

المدينة

البلد

التمهيد

مدة الاشتراك

ابتداء من

عدد النسخ

بلد

الاشتراك

الارسل

٨٠٠ ٥٠٠٠

الجمهورية الاسلامية

في ايران (بالرأل)

٣٠ ٥٠

باقي دول العلم بالدولار

الأميركي

(أو ما يعادلها)

يرافق اشتراكك: ١- صك ٢- صك بريدي ٣- حوالة بريدية
أرسل هذه القسمية مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى العنوان التالي:
* الجمهورية الاسلامية في ايران - قم - ص.ب ٣٧١٨٥/٨٩٤

الاشتراكات

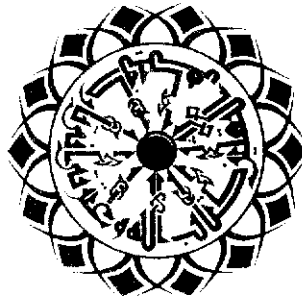
١- في داخل الجمهورية الاسلامية في ايران: تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٨٠٠٠ ريال)
بحوالة مصرفية على العنوان التالي:
الجمهورية الاسلامية في ايران - قم - بنگاه تجارت - شعبه مركزى - رقم الحساب الجارى
٢٦١٨ (بالريال) مجلة رسالة الثقلين.
٢- قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولاراً أميركياً أو ما يعادلها) تسدد بحوالة
مصرفية على العنوان التالي:

ACCOUNT NO. 03563 33268 BANK TEJARAT IRAN

6 - 8 CLEMENTS LANE, LONDON EC4N 7 AP ENGL. ENGLAND.

ثمن النسخة:

١- الجمهورية الاسلامية الايرانية ٣٠٠٠ ريال ٢- العراق ١٠ دنانير ٣- لبنان ٢٥٠٠ ليرة ٤- سوريا ٥٠ ليرة
٥- الاردن دينار واحد ٦- الكويت دينار واحد ٧- البحرين دينار واحد ٨- الامارات ١٥ درهما ٩- قطر ١٥ ريال ١٠-
عمان ريال واحد ١١- السعودية ٢٥ ريال ١٢- اليمن ٣٥ ريال ١٣- مصر ٧٥ قرشاً ١٤- ليبيا ١٠٠٠ درهم
١٥- السودان ١٠٠ جنيه ١٦- تونس دينار واحد ١٧- المغرب ١٥ درهما ١٨- الجزائر ١٢ دينار.
١٩- وفي باقي دول آسيا وإفريقيا وأميركا واسرائيل وأوروبا ٧ دولارات أميركية أو ما يعادلها



AHL UL BAIT
WORLD ASSEMBLY

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol.4, No.15- Nov. 1995 - Feb. 1996

الغلاف من الداخل

الصفحة الاولى: لوحة فنية تتضمن حديثين لرسول الله ﷺ في حق فاطمة بنت ابي طالب وعرضا

من القابها الشريفة.

الصفحة الثانية: منظر عام لمرقد الامامين الهمامين موسى بن جعفر الكاظم ومحمد

ابن علي الجواد عليه السلام - بغداد - العراق.